تعطُّل التعليم
وإعادة تصوّره

آراء ومشاركات روّاد التعليم
أثناء جائحة "كوفيد-19" وما بعدها

المحرّرون

أسماء الفضالة

جوليا كيربي

عمر زكي

أحمد بغدادي

دومينيك ريجستر

وايز WISE

مؤسسة قطر Qatar Foundation
Unlocking human potential إطلاق قدرات الإنسان

SALZBURG GLOBAL SEMINAR

DIPLOMATIC COURIER

تمت الترجمة إلى اللغة العربية بواسطة:

تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره

تمهيد
ستافروس يانوكا

مقدمة
سعادة الشيخة هند بنت حمد آل ثاني

المحرّرون
أسماء الفضالة
جوليا كيربي
عمر زكي
أحمد بغدادي
دومينيك ريجستر

المؤلفون

جينيفر آدامز
أسماء الفضالة
مريم الخلف
مانوس أنتونينيس
أحمد بغدادي
ستانيلا ميدي بيكلي
لورينزو بينوسي
سوتشيثا بهات
بيدوريا بوسان سين
مارك أ. براكت
سعادة السيد غوردون براون
دارين برابنت
دانييلا لابرا كارديرو
آرون إيدن
مارسيلو إنيا نيومان
مارغوت فوستر
أندرو فريشمان
ستيفانيا غيانيني
توماس هاتش
أولي بيكا هينونين
باسم حجازي
محمد الإدريسي
روبرت جينكنز
جويسي جون
ديبورا كيماثي

جوليا كيربي
جوان مسياشين
غيل مكميلان
غريغوري جيه. مونكادا
ديبورا إم. نيتوليكي
ديفيد نغ
آزاد أومن
دارلين أوبفر
لوكا باري
بياتريز بونت
كارولين بونتيفراكت
دومينيك ريجستر
سارة روتو
أورفاشي ساهني
عاصف صالح
أندرياس شلايشر
راجارشي سينغ
فيشال تالريجا
ريبيكا تلفورد
نادين تريبانييه
ليزلي أودوين
آلان ووكر
روبين ويتاكر
جيانغ تشيا تشن
عمر زكي

حقوق التأليف والنشر محفوظة © وايز - مؤسسة قطر 2020
جميع الحقوق محفوظة بموجب الاتفاقيات الدولية والأمريكية لحماية حقوق التأليف والنشر.

نبذة موجزة: هذا المؤلَّف بعنوان "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوره" من إصدار مؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" و"دبلوماتيك كوريير".

شكر وتقدير: يودّ فريق المحرّرين التوجه بالشكر إلى جميع المشاركين في مؤتمرات "تعطُّل التعليم وإعادة تصوره" وجهودهم المحمودة التي أسهمت في خروج هذا العمل إلى النور؛ والشكر موصولٌ كذلك إلى السيدة آنا رولد على ما بذلته من دعم وجهد دؤوبين في تحرير مادة الكتاب.

استعراض سلسلة مؤتمرات "تعطُّل التعليم وإعادة تصوره":
الجزء الأول: مؤتمر وايز الافتراضي بالشراكة مع مؤسسة سالزبورغ جلوبال سيمنار
الجزء الثاني: من الاستجابة السريعة إلى الاستعدادات المستقبلية
الجزء الثالث: قيادة المدارس إبان أزمة "كوفيد-19" وما بعدها

إشعار قانوني: لا يجوز استنساخ أي جزء من هذا الكتاب بأي صورةٍ كانت – باستثناء المقتطفات الموجزة المأخوذة لأغراض المراجعة – دون موافقة كتابية من الناشر والمؤلفين. وقد بذل فريق العمل قصارى جهده لضمان دقة المعلومات الواردة بين طيات الكتاب؛ وعلى الرغم من ذلك، لا يقدم المؤلفون والمحرّرون ومؤسسة قطر أي ضمانات – صريحةً كانت أم ضمنية – فيما يتصل بتلك المعلومات، كما يخلون مسؤوليتهم عمّا يقع من خسائر أو أضرار أو أخطاء أو سهو في هذا الصدد.

المحرّرون: تعبّر المقالات المطبوعة والإلكترونية عن آراء المؤلفين وحدهم ولا تعكس آراء المحرّرين أو الناشرين لهذا العمل. وفي حين يضطلع المحرّرون بمسؤولية انتقاء المقالات الواردة، فإن المؤلفين مسؤولون عن الحقائق والتفسيرات المتناولة في مقالاتهم.

الموافقات: لا يجوز استنساخ أيٍ من المقالات دون الحصول على إذن مؤلفيها وجهات نشرها. ولاستصدار مثل هذه الموافقات، يُرجى إرسال طلب الحصول عليها مكتوبًا على البريد الإلكتروني: **research@wise.org.qa.**

الاقتباس المرجعي للكتاب:
الفضالة، أسماء؛ كيربي جوليا؛ زكي، عمر؛ بغدادي، أحمد؛ ريجستر، دومينيك (المحررون). (2020) "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوره: آراء ومشاركات روّاد التعليم أثناء جائحة "كوفيد-19" وما بعدها". سلسلة أبحاث مؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم (وايز).

فريق العمل الإبداعي: غلاف الكتاب من تصميم مارك غارفيلد، مدير القسم الفني بصحيفة "دبلوماتيك كوريير".
مصدر الصورة (ص. 10 و13): وكالة ناسا؛ مصدر الصورة (ص. 12): مؤتمر وايز؛ مصدر الصورة (ص. 15): وكالة ناسا؛ مصدر الصورة (ص. 20): أندريا تومونز؛ مصدر الصورة (ص. 28): كيو أزوما؛ مصدر الصورة (ص. 34): شارو شاتوفردي؛ مصدر الصورة (ص. 42): فيكتور ناكوي؛ مصدر الصورة (ص. 46): أليكسس براون؛ مصدر الصورة (ص. 51): مؤلف المقالة؛ مصدر الصورة (ص. 54): عزيز الشرقي؛ مصدر الصورة (ص. 58): آرون بردن؛ مصدر الصورة (ص. 64): جوش كالابريس؛ مصدر الصورة (ص. 68): سامنثا سانتي؛ مصدر الصورة (ص. 76): بيري غرون؛ مصدر الصورة (ص. 80): سيج فريدمن؛ مصدر الصورة (ص. 94): فيليب بوت؛ مصدر الصورة (ص. 104): روبرت ميتز؛ مصدر الصورة (ص. 130): مؤلف المقالة؛ مصدر الصورة (ص. 138): يانيس هوا؛ مصدر الصورة (ص. 142): ستيفاني بليفي؛ مصدر الصورة (ص. 152)؛ مات ريدينغ؛ مصدر الصورة (ص. 156)؛ فيكا شارتيير؛ مصدر الصورة (ص. 160)؛ برنامج الأونروا للتعليم؛ مصدر الصورة (ص. 166)؛ كارلي جين؛ مصدر الصورة (ص. 170)؛ إيّان غوديارد؛ مصدر الصورة (ص. 174)؛ آني سبرات؛ مصدر الصورة (ص. 178)؛ رينيه برنال؛ مصدر الصورة (ص. 184)؛ أندي فالكونر؛ مصدر الصورة (ص. 189)؛ آني سبرات؛ مصدر الصورة (ص. 192)؛ مارغريت وير؛ مصدر الصورة (ص. 196)؛ أحمد حسن؛ مصدر الصور (ص. 197-198)؛ مؤلف المقالة؛ مصدر الصورة (ص. 200)؛ أنجيلا كومبانيوني؛ مصدر الصورة (ص. 206)؛ كريستينا غوتاردي. جميع الصور الأخرى عبارة عن صور أرشيفية مجانية جمعتها صحيفة "دبلوماتيك كوريير" من خلال موقعيّ "بيكسابي" (Pixabay) و"أدوبي ستوك فوتوز" (Adobe Stock Photos).

المحتويات

الجزء الأول: تعطُّل التعليم | أبريل 2020
الحاجة أمُّ الاختراع

تمهيد

بناء مستقبل التعليم في عالم ما بعد الجائحة

| ستافروس يانوكا 010

مقدمة

المفهوم التقليدي للمدارس وضرورة تلافيه عقب أزمة كوفيد-19

| سعادة الشيخة هند بنت حمد آل ثاني 016

ماذا لو ساد التعاطف في الوضع الجديد؟ دعوة إلى إعادة تصور الغرض من التعليم في عالم ما بعد الجائحة

| سوتشيتا بهات وفيشال تالريجا 019

إدراك دَلالات المشاعر | مارك أ. براكت 024

موجز تجميعي | تعطُّل التعليم: قصص وحكايات من خط الدفاع الأمامي لأزمة التعليم إبّان جائحة كوفيد-19

| جوليا كيربي 028

الوضع الاعتيادي الجديد: التطوير المهني الإلكتروني لقادة المدارس

| بيدوريا بهوسان سن وآزاد أومن 034

الاهتمام والرعاية في زمن "كوفيد-19": لقطات موجزة من خطوط الدفاع الأمامية:

التدخلات والممارسات والاستجابات السريعة | روبين ويتاكر وغيل مكميلان 037

ما الذي نحمله في جعبتنا للأطفال المحرومين؟ | ديبورا كيماثي 040

الواقع المتغافَل عنه | مارسيلو إنيا نيومان ولورينزو بينوسي 043

التواصل من خلال التعلُّم المهني | نادين تريبانييه 046

منظمة "علّم لأجل المغرب" ومجابهة أزمة "كوفيد-19" تحت شعار "حافظ على سلامتك وواظب على التعلُّم"

| محمد الإدريسي 050

موجز تجميعي | تعطُّل التعليم: قيادة النُظم التعليمية في أوقات الأزمات وعدم وضوح المسار

| أسماء الفضالة 054

قيادة الجاهزية | غريغوري جيه مونكادا 059

دفع مسيرة التعليم من التعطُّل إلى "الوضع الاعتيادي المأمول" | ديبورا إم. نيتوليكي 062

ما بعد جائحة "كوفيد-19"، هل سيستعين التعليم الصيني بالذكاء الاصطناعي؟
| جيانغ تشيا تشن 066

قيادة التعليم في أوقات عدم اليقين: مجابهة التحديات القائمة | بياتريز بونت 070

التعليم لأجل الرفاه: الحاجة إلى التعلُّم النظامي الاجتماعي والوجداني والقيادة المُحفِّزة
| دانييلا لابرا كارديرو 074

الجزء الثاني: إعادة التصوّر | يونيو 2020: تسريع وتيرة الابتكارات أثناء الأزمات

مقدمة | إعادة تصوّر التعليم | دومينيك ريجستر 079

التعلُّم لأجل عالمٍ جديد | أندرياس شلايشر 082

موجز تجميعي | إعادة تصوّر التعليم: آراء الخبراء التربويين في أزمة التعليم إبّان جائحة "كوفيد-19" | عمر زكي 085

استكشاف المتعلمين من جديد: تعزيز قدرات الطلاب في جنوب أستراليا | مارغوت فوستر 091

القيادة وقت الأزمة: الأزمات التي تصنع القادة | آلان ووكر ودارين براينت 095

تسريع وتيرة العمل من أجل تغيير نظام التعليم | ليزلي أودوين 098

التحوّل الأساسي المطلوب لتغيير مفهوم التعليم | آرون إيدن 101

حب الاستقصاء | أندرو فريشمان 105

موجز تجميعي | الاستفادة من الأزمة في إعادة تصوّر النُظم والممارسات التعليمية | دومينيك ريجستر وعمر زكي 109

النجاح الجديد في مستقبلنا التعليمي | لوكا باري 113

التعليم في الهند أثناء أزمة "كوفيد-19": فرصة للتعلُّم وإعادة الابتكار | أورفاشي ساهني 116

نتائج وتقييمات جاهزية الطلاب للمستقبل | ديفيد نغ 120

بناء مستقبل أفضل من خلال تكافؤ الفرص في التعليم | جويسي جون 123

خطوات أربع صوب المستقبل | توماس هاتش 126

الجزء الثالث: الخطوات التالية لمستقبل التدريس | أغسطس 2020
تغطية خاصة بالأمم المتحدة

من ضيق الأزمة إلى رحابة الفرص: رسم مسار جديد لتيسير الحق في التعليم

| ستيفانيا غيانيني 130

موجز تجميعي | استجابات منظمات الأمم المتحدة لأزمة "كوفيد-19"

| أحمد بغدادي ومريم الخلف 134

التعليم وقدرة الأمم المتحدة على التأقلم والتكيّف والتعاون في ظل أزمة "كوفيد-19"

| مانوس أنتونينيس 138

برنامج الأونروا للتعليم في أوقات الطوارئ لمواجهة أزمة "كوفيد-19"

| كارولين بونتيفراكت 142

دعم حصول اللاجئين على تعليمٍ جيد إبّان أزمة "كوفيد-19" وما بعدها

| ريبيكا تلفورد 148

كيف تعاطت النُّظم التعليمية مع جائحة كوفيد-19؟

| روبرت جينكنز 151

أنقذوا مستقبلنا: التعامل مع حالة الطوارئ الراهنة في مجال التعليم

| سعادة غوردون براون 155

موجز تجميعي | الخطوات التالية لمستقبل التدريس | جوليا كيربي وباسم حجازي 158

المحاور الأربعة للتدريس الناجع عن بُعد | دارلين أوبفر 164

إعادة تصوّر التعليم وبناء مستقبل التدريس عقب أزمة "كوفيد-19" | ستانيلا ميدي بيكلي 168

تكشُّف الفوائد في أوقات الطوارئ

| أولي بيكا هينونين 171

من رحم التعطُّل يتولّد الابتكار: الوضع الاعتيادي الجديد في التعليم الابتدائي | عاصف صالح 174

ما بعد أزمة "كوفيد-19": إعادة تصوّر مستقبل التعليم النظامي | سارة روتو وراجارشي سينغ 178

خاتمة

الآفاق المستقبلية لمسار التعليم

| جينيفر آدامز، جوان مسياشين، لوكا باري ودومينيك ريجستر 183

خاتمة

إعادة تصوّر التعليم والدور الجديد المنوط بقادة المدارس

| أسماء الفضالة 186

الجزء الأول
تعطُّل التعليم

أبريل 2020

الحاجة أمُّ الاختراع

تمهيد
بناء مستقبل التعليم في عالم ما بعد الجائحة

بقلم: ستافروس إن. يانوكا

على مرّ العصور، أقرّ بأهمية التعليم لبني البشر الرجالُ والنساءُ ممّن نالوا طرفًا من الحكمة من عهد الفيلسوف كونفوشيوس في بلاد الشرق إلى أرسطو في بلاد الغرب، وذهب التربوي وعالم النفس الأمريكي جون ديوي إلى حد القول إن "التعليم ليس استعدادًا للحياة فحسب؛ بل هو الحياة ذاتها". ولكن على الرغم من عظم هذه التصريحات ونُبل مقاصدها، فإن السنوات المنصرمة، التي ربت على قرابة مائتي عام وشهدت تلقُف الديمقراطية وسط ترحيب واسع وكذلك انتشار التعليم العام في شتّى ربوع العالم، قد شهدت أيضًا إخضاع النُّظم التعليمية كي توائم المتطلبات الاقتصادية شيئًا فشيئًا.

وتكشف جائحة كورونا العالمية الراهنة وتبعاتها المباشرة عن فرصة سانحة لإعادة التفكير في أسباب الحاجة إلى التعليم ونوعيته وسُبُل توفيره. لقد سلّطت هذه الجائحة الضوء على نُظمنا الاقتصادية، وأدرك الكثيرون أن الغالبية العظمى من ممتهني الوظائف الأساسية –من أطقم التمريض والمعلمين وعمّال النظافة ومندوبي التوصيل وجامعي النفايات والمسعفين وموظفي التسجيل وعمّال المزارع، وغيرهم – لا يتحصلون إلا على أجور زهيدة من ذلك النظام الذي يقوم على جهود هؤلاء الأشخاص في المقام الأول. وينسحب الأمر نفسه على التعليم كذلك، الأمر الذي يحتم علينا أن نعمل أذهاننا لتحديد الفئات التي من المفترض أن يخدمها نظامنا التعليمي وللوقوف على مدى تلبية التعليم لتوقعاتنا المرجوة من عدمه!

والإجابة عمّا سبق من تساؤلات جليةٌ واضحة؛ ومفادها أن النُّظم التعليمية يؤمل منها أن تتيح خدماتها للجميع دون استثناء، فلطالما يُنظر إلى التعليم على أنه أحد مقوّمات الارتقاء الاجتماعي بما يقدمه من فرص للتقدم بصرف النظر عن مستوى المرء الاجتماعي والاقتصادي في مستهل سعيه. وما يُرثى له أن هناك بونًا شاسعًا آخذًا في التزايد بين هذا الوعد المبشّر – الذي لم يتحقق بعد – وإمكانية تحقيقه على أرض الواقع. وثمّة حجة قوية يمكن طرحها مفادها أن النُّظم التعليمية تشكل أحد العوامل الرئيسية في تراجع معدّلات الحراك الاجتماعي في شتّى أرجاء العالم، ولا يصعب علينا معرفة السبب في ذلك؛ فهذه النُّظم بمثابة تسلسلات هرمية مُهيكلة جرى وضعها لتخريج "أفضل العقول وألمعها" وضخّها في سوق العمل والمهن التي تمنح أعلى الإمكانات المُفضية إلى تحقيق مكاسب اقتصادية خاصة. كما أن المدارس والكليات النخبوية، وأنظمة التقييم القائمة على الاختبارات، وتصنيف الطلاب وفق مستويات تحصيلهم، تعمل جميعًا على إذكاء التقسيم الطبقي لنظام التعليم الذي يعكس إلى حدٍّ كبير تقسيم مجتمعاتنا إلى طبقات اقتصادية متباينة.

وللشروع في تدارك هذه المشكلة، علينا بدايةً أن نقرّ مجددًا بأن الهدف الأساسي من التعليم ليس لتدريب القوى العاملة على مرّ الأجيال المتعاقبة، بل ليكون عونًا على ازدهار الإنسانية. وينبغي أن يركز التعليم النافع في جوهره على إلمامنا بأربعة أمور والمواظبة على تجديد فهمنا لها، وهي: الوعي والتحضُر والبيئة والكون المحيط بها، والتي دائمًا ما أنظر إليها على أنها دوائر متحدة المركز.

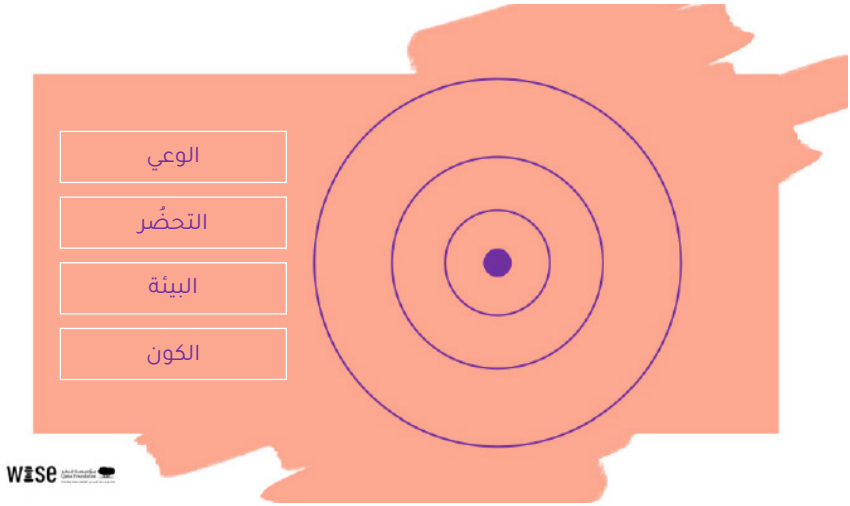

يمثل الفرد نقطة البداية – أي الدائرة الداخلية – في الشكل أعلاه. وبحسب ما ذكره الفيلسوف الفرنسي ديكارت منذ قُرابة أربعة قرون مضت، فإن وعينا الفردي قد يجسّد الحقيقة الوحيدة التي يمكن التيقن من وجودها في هذا السياق؛ وهذا بالفعل ما أكّد عليه قدامى الفلاسفة بدءًا من بوذا ولاوتزه، مرورًا بزينون – مؤسس مدرسة الفلسفة الرواقية – من أن عالمنا الداخلي ممثلاً في تجربتنا الواعية المنسابة في صورة أفكار ومشاعر شتّى هو المجال الذي يمكن لنا فرض السيطرة والتحكم الكاملين عليه. وكما تبيّن لنا العلوم العصبية وعلوم النفس الحديثة، فإن ذلك قد يفضي إلى عواقب عميقة وممتدة على رفاهنا ورفاه الآخرين من حولنا؛ فالسيطرة الذاتية، رغم ما سبق، لا تتأتى إلا من خلال الممارسة والمثابرة. ومن ثم، ينبغي للتعليم تبنى فهم أشمل لمسألة الوعي – أو استلهام "الباعث التحفيزي" لنا منذ البداية إن جاز التعبير – وألا يترك هذا الفهم والفرع المعرفي المهم أداة عبث في يد أدعياء الخبرة ومتصنعي الفهم في مضمار العلوم النفسية. ويجب أن تؤدي سيطرة المرء على عالمه الداخلي ومجرياته إلى تعاظم درجات التأقلم والإصرار على النجاح وتحقيق الذات في نهاية المطاف، بصرف النظر عن الظروف الخاصة التي قد ينشأ فيها.

وهنا نتحول إلى الدائرة التالية، وهي التحضُر. يخبرنا علم الأحياء التطوري والتاريخ أن ازدهار البشر يتحقق بقيام مجتمع حاضنٍ لهم لا بمعزلٍ عن بعضهم بعضًا، وأن التحضُر هو أسمى صورة يمكن بلوغها داخل المجتمع. وقد أكّد هذه الفرضية اثنان من كبار المفكرين المعاصرين، هما نيكولاس كريستاكيس ويوفال هراري، في طيّات مؤلفاتهما الرائدة. فمن جهته، يبيّن لنا هراري في كتابه بعنوان (Sapiens) "الإنسان العاقل" ما يطلق عليه خصيصة التطور المميزة لبني البشر، وقوتها الخارقة إذا صح التعبير، والقدرة على التعاون المرِن بين أعداد هائلة من البشر عبر الزمان والمكان معًا. أمّا كريستاكيس فيؤكد في كتابه المعنون (Blueprint) "مخطط الأصول التطورية" أن الفّلك التطوري للبشرية يجري إلى برٍّ يمكن فيه بناء مجتمعات ناجعة، وأن هذه المجتمعات تتصف بجملة أمور من بينها: (1) القدرة على امتلاك الهوية الذاتية والاعتراف بها، (2) وحب الأُسرة، (3) وتكوين الصداقات، (4) وبناء الشبكات الاجتماعية المتعاوِنة، (5) والتعلُّم والتعليم الاجتماعي. غير أن تلك الخصائص ليست موجودة سلفًا وعلينا أن نعمل بجدٍ لضمان جريان فُلكنا التطوري صوب ازدهار البشر على المستوى الفردي والاجتماعي. ولكي ننجح في تحقيق ذلك، علينا جميعًا أن نبني فهمًا سليمًا لكل ما يسهم في نجاح المجتمعات وكيف يمكننا تسخير جهودنا الهائلة بغية تمهيد السُبُل المعينة على تحقيق الازدهار للجميع.

ثمّ نأتي إلى الدائرة الثالثة وهي البيئة؛ فمن الأقوال المأثورة إن صورة واحدة تغني عن ألف كلمة، وأن العالم قد أبصر للمرة الأولى منذ ما يربو على نصف قرنٍ من الزمان صورة فريدة من نوعها لا تساوي ألف أو مليون كلمة فحسب، بل إنها تعدل جميع الكلمات التي سطرتها يد البشر أو جرت على ألسنتهم على مرّ العصور.

والصورة التي أتحدث عنها هنا هي أول صورة على الإطلاق لكوكب الأرض من الفضاء الخارجي التقطها روّاد المركبة الفضائية "أبولو 8" عام 1968. يزعم كثير من المراقبين أن هذه الصورة الفردية هي الباعث وراء نشأة الحركة البيئية المعاصرة، ولست أعلم مدى صدق هذا الطرح من عدمه؛ لكنّني أراهن على أن صورة الأرض بارزة للعيان قد أيقظت مشاعر قوية وإيجابية لدى معظم الناس، وأن الأرض – بكل ما فيها دونما استثناء – تنبؤنا أنها لنا وطنٌ ومسكن. بيد أنّ ما يُرثى له أن مسكننا وبيئتنا التي نعيش فيها على هذه الأرض مهددةٌ بفعل الأزمة المناخية، وأنه علينا تسخير جهودنا الإبداعية لتحويل هذه الأزمة إلى فرصة مواتية نعيد خلالها تصوّر وتغيير طريقتنا في إنتاج الطاقة واستهلاكها، مع التسليم بأنه لن تقوم لنا حضارة تكنولوجية حديثة بكل مزياتها دون وجود تلك الطاقة. وأعود لأؤكّد على ضرورة أن يكون التعليم هو الدافع الرئيس لا لزيادة الوعي فحسب بحجم مسؤوليتنا إزاء رعاية وحماية النظام البيئي الذي يحمينا بدوره، بل أيضًا لإعمال العقل وطرح الحلول العلمية والهندسية التي ستمكّننا من إحكام قبضتنا على مسببات الأزمة المناخية والتخلص من آثارها بنهاية المطاف.

كثيرًا ما يتساءل الناس عن دور البشر في النظام البيئي متمثلاً في كوكب الأرض هنا؟ وما الهدف المنوط بهم تحقيقه؟ وهل قُدِّر لنا أن نكون سببًا في دمار كوكبنا وأنفسنا بالتبعية؟ وإجابتي عن هذا التساؤل بالنفي قطعًا، ذلك أن بمقدورنا تحديد أهدافنا بأنفسنا؛ ولعلّنا نجد ما يزيح عنّا نزعة القلق في هذا الصدد في مقولة الممثل العالمي والناشط البيئي بيرس بروسنان بأننا "النوع الوحيد في هذا العالم القادر على حماية سائر الأنواع الأخرى".

أمّا الدائرة الأخيرة فهي كونية تحيط بكل الدوائر الأخرى، ونستطيع القول هنا إن إدراك ماهية القوى الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية التي تعضّد الواقع في هذا الكون لطالما شكّل باعثًا أساسيًا في سعينا وراء اكتساب المعرفة والفهم؛ فبدءًا من نظرية النسبية لأينشتاين والاستفادة منها في تطوير نظام تحديد المواقع العالمي (أو ما يُعرف اختصارًا باسم "جي بي إس") وإمكانية تتبع الاتصالات إلى مصدرها على نحو دقيق، مرورًا بجدول مندليف الدوري والهندسة الكيميائية التي أتاحت لنا تصنيع المركّبات الدوائية الفعّالة، إلى نظرية جرثومية المرض التي أرسى مبادئها الأولى العالم العربي ابن سينا واكتمل نضجها بعد قُرابة 900 عام من خلال أبحاث العالِمَين لويس باستور وروبرت كوخ، فإن العلم المشفوع باتباع المنهج العلمي يسهم في دعم ما أحرزته البشرية وحضارتها العالمية من تقدمٍ غير مسبوق.

وممّا يُستدرك هنا أنه على الرغم من أن مخزون معرفتنا العلمية آخذ في النمو والازدياد، فإن الإلمام الحق بهذه المعرفة الواسعة في تراجع كبير. وحريٌّ بالتعليم أن ينهض بدوره في وقف هذا التدهور، وينبغي أن يكون الإلمام بالمعرفة العلمية محورًا أساسيًا في كافة مستويات التعليم؛ فهذه المعرفة هي اللقاح الذي نتحصن به من الجهل والخوف والخرافات. وعلاوةً على أن العلم يزوّدنا بالمعرفة التي تُلهم مخيلاتنا وتطلق لها عنان الإبداع، وكذلك الأدوات التي تعزّز تقدمنا التكنولوجي، فهو أيضًا سبيلنا إلى التواضع فيما نطرحه من وجهات نظر شتّى. وأودّ هنا أن اختتم هذه المقالة باقتباس لأحد العلماء والمؤلفين والمذيعين، ألا وهو الراحل العظيم كارل ساغان. ففي معرض تعليقه على صورة أخرى لكوكب الأرض التقطها المسبار الفضائي "فوياجر-1" عام 1990 عند تجاوزه الغلاف الشمسي الخارجي على بُعد 6 مليار ميل، عبّر ساغان قائلاً:

"أعيدوا النظر معي إلى تلك النقطة البعيدة؛ إنها أرضنا وموطننا، عليها يحيا كل من نحب، وكل من نعرف، وكل من سمعنا عنه، وكل إنسان عاش على ظهرها. هذه الأرض هي مجموع أفراحنا وأتراحنا، وبوتقة تنصهر فيها آلاف الديانات، والأيدولوجيات، والمذاهب الاقتصادية، وعليها يعيش كل باحث ومستكشف، وكل بطل وجبان، وكل داعم للحضارة وهادمٍ لها، وكل ملكٍ ومملوك، وكل المتحابّين، وكل أم وأب، وكل طفلٍ حالم، وكل مخترع ومبتكر، وكل معلم للأخلاق، وكل سياسي فاسد، وكل فنان وصاحب رسالة، وكل قائد أعلى، وكل قديس ومذنب في تاريخ البشرية قاطبةً؛ كلهم عاش على ظهر تلك الذرة متناهية الصغر التي ما كنّا لنراها لولا أن كشف عنها شعاع الشمس".

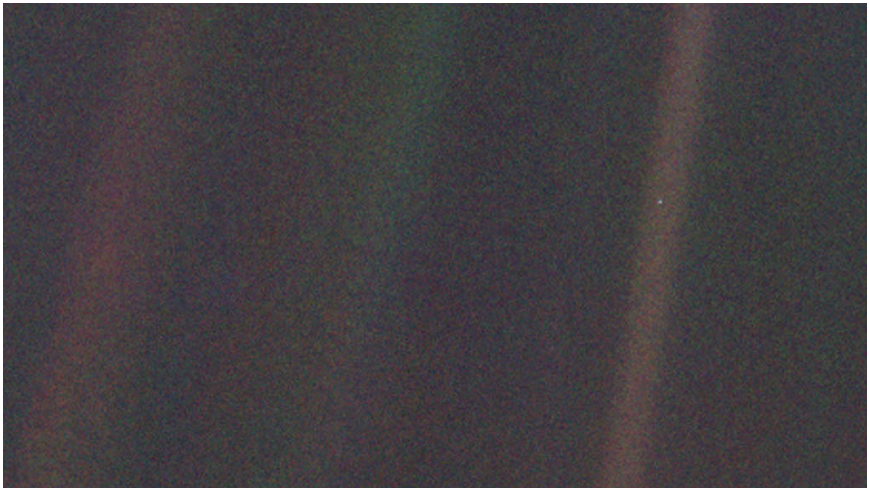

الأرض جَرَم متناه الصغر في فضاء كوني شاسع...

إن أهميتنا واعتنائنا بذواتنا المتضخمة والتوهم بعِظم مكانتنا في هذا الكون ينمحي أثرها في هذه النقطة خافتة الضوء؛ فكوكبنا ذرة وحيدة تسبح في ظلام كوني هائل محيط بها. وفي تلك الضبابية وذاك الاتساع اللامتناهي، لا نجد أثرًا على أن العون سيمدّ يده إلينا من أي مكان آخر لانتشالنا من شتات أنفسنا.

إنّ الأرض هي الكوكب الوحيد المعروف بإيوائه صور الحياة حتى الآن؛ وما من مكان آخر – في المستقبل المنظور على الأقل – يمكن أن يهاجر إليه جنسنا البشري. صحيحٌ أن هناك كواكب أخرى، لكنّها مجرد فضاءات للزيارة فحسب لا لتعميرها والاستقرار عليها؛ وشئنا أم أبينا، فإن أرضنا هي الأحق باتخاذ موقف المدافع عنها.

لقد جرت الألسُن بالقول إن علم الفلك بمثابة تجربة تنمي التواضع وتعزّز بناء الشخصية؛ ولعلّي في هذا المقام لا أجد دليلاً على زيف الأوهام البشرية خيرًا من تلك الصورة السحيقة المُلتقطة لعالمنا الصغير. فهذه الصورة تبرهن لي على مسؤوليتنا في ضرورة توخي الكياسة واللطف في التعامل مع بعضنا بعضًا، والحفاظ على أرضنا والاعتزاز بها، فهي موطننا الذي لا نعرف بديلاً عنه.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل ستافروس يانوكا منصب الرئيس التنفيذي لمؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم "وايز"

مقدمة

المفهوم التقليدي للمدارس وضرورة تلافيه عقب أزمة كوفيد-19

بقلم: سعادة الشيخة هند بنت حمد آل ثاني

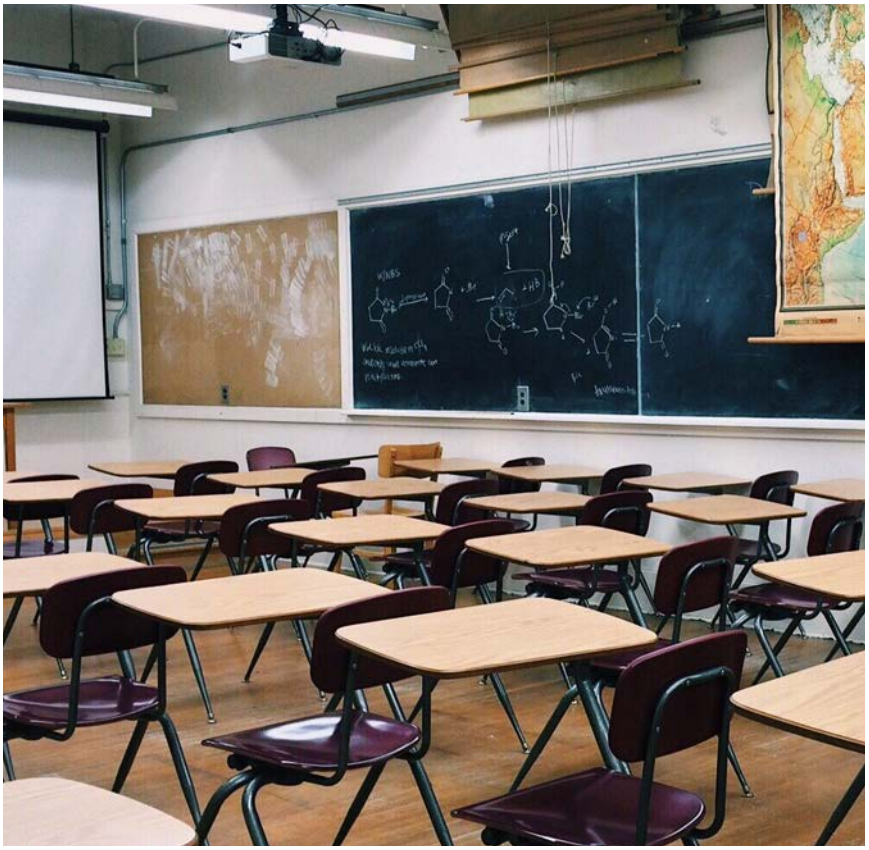

تسبّبت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" في فعل ما كان مستحيلاً تصوّره؛ إذ غيّرت وجه التعليم والتعلُّم بين عشيةٍ وضحاها. فطيلة شهر أبريل لعام 2020، لم يعد بمقدور ما يربو على 1.5 مليار طالب في شتّى ربوع العالم الذهاب إلى مدارسهم والجلوس في صفوفهم المعتادة. واستجابت النُّظم التعليمية لهذا التحدي غير المسبوق في إطار من السرعة والتكيُّف وإعمال الابتكار، ولم يتوقف التعلم تمامًا، بل شهد تغييرًا جذريًا.

انقطعت سُبُل العودة للوراء، فكيف يمكننا المُضي قدمًا؟

قبل تفشي جائحة "كوفيد-19"، كانت المدارس بمثابة أبنية يجتمع روّادها ومنتسبوها في رحابها وفق معايير محددة. أمّا بعد الجائحة، فلم يُعد العمل على رقمنة المناهج كافيًا، بل علينا التوجه إلى تلافي المفهوم التقليدي للمدارس؛ ولست أعني بذلك المباني وحدها، بل أشير إلى الإطار الذهني الذي يحتّم علينا قصر العملية التعليمية في صورة التقاء المعنيين بها في مكان مكتظ يتحركون جميعًا في الاتجاه نفسه في آنٍ واحد، وهذا التوجه ينبغي الكفّ عن الاستمرار فيه.

ومما بات في موضع التأثير على صوغ ملامح التعليم العالي وطرائق تقديمه عناصر من قبيل الأتمتة والذكاء الاصطناعي والنزعة القومية المتزايدة والاحتياجات سريعة التغير لجهات العمل وتزايد عدد المنتمين للطبقة المتوسطة حول العالم ممن ينشدون تعليمًا أفضل لأبنائهم.

ومع الاضطراب الهائل الذي خلّفته جائحة كورونا الراهنة على الاقتصاد العالمي، بما في ذلك مؤسسات التعليم العالي، فإن هذه الأزمة تشهد تسارعًا مضطرّدًا ينتهي بتقليص التغيير المقرر في غضون 10 سنوات إلى 10 أسابيع فحسب. أمّا في مجال التعليم، فقد كشفت الأزمة عن فرصة مواتية لا يسعنا أن نضيّعها من بين أيدينا.

وقد حان الوقت لكي نتساءل عن سبب قضاء الأطفال فترة لا بأس بها من حياتهم في نسيان ما تعلموه داخل المدارس؛ ولماذا نقول إننا نريد متعلمين يتمتعون بالدافع والحماس الذاتي المطلوب، ثمّ نمنعهم من حرية الاختيار؟ ولماذا نتحدث عن تنشئة مواطنين عالميين، لكنّنا نخفق في تعليم الشباب قيم الاهتمام بكوكبهم وبذل الرعاية اللازمة له؛ ولماذا نصمم "مدارس" تخرج لنا أجيالاً شبيهين بأسراب الأسماك في نمطيتها وتحركها معًا، على الرغم من إدراكنا أن كلاً منهم يتعلم وفق قدراته وإمكاناته الخاصة؟

ما أودّ قوله هو أن "الوضع الاعتيادي الجديد" ستتبلور ملامحه من خلال الاختيارات التي ستُتّخذ في غضون السنوات القلائل المقبلة من جانب الحكومات والقائمين على التعليم العالي والأكاديميين والأجيال المتعاقبة من الطلاب وأولياء أمورهم. وعلينا أن نستكمل مهمتنا على الوجه الأمثل، وإلا فستكون التداعيات وخيمة. كما أن قدرتنا على التعافي وإحراز التقدم المنشود في العقود التي تلي هذه الأزمة تعتمد اعتمادًا كُليًّا على قدرتنا على جعل التعليم العالي أكثر مراعاة لاحتياجات الطلاب وأكثر مرونة وشمولية.

وبحلول عام 2025، يجب أن يكون التعليم العالي قد رسم هدفًا واضحًا بالقضاء على مفهوم "المدرسة" بنمطها المعهود؛ وهدفنا هو استبدال هذا المفهوم الضيّق بأن نبني منظومة تعليمية تفسح مجالاً لظهور العديد من النماذج – في التعليم والتعلُّم والعمل معًا – من الشركات الناشئة ومختلف الأطراف الفاعلة، والعمل على طرح الحلول الناجعة في هذا المضمار. وأتعهد لكم بأن تحوز مؤسستنا قصب السبق في هذا الجهد المبذول.

أرى كذلك أن التعليم العالي هو القطاع الذي يمكننا البدء منه في ظل ما يجابهه من تحدٍ أكبر ممثلاً في الطلاب الدوليين؛ فمن المتوقع أن يتجاوز عدد هؤلاء الطلاب 8 مليون طالب وطالبة بحلول عام 2025، وهم يشكّلون جزءًا مهمًا من وجود العديد من الجامعات وانتشارها. وعقب تفشي جائحة كورونا الراهنة، ذكر ما يقرب من نصف هؤلاء الطلاب إن من غير المحتمل عودتهم إلى الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة أو أستراليا لمعاودة الدراسة. ومع توجّه الجامعات إلى الاستمرار في عملية التدريس عبر منصّاتها الإلكترونية، فإننا نتساءل ما الداعي إلى إقامة الحدود في سياق التعليم مرة أخرى! ولماذا لا يتاح لطالب من الهند أو الصين الالتحاق بجامعة مرموقة عالميًا لمجرد وجود المسافات المادية التي تتطلب سفرًا بين البُلدان؟

على الحكومات إذن ضمان استقرار مؤسسات التعليم العالي على المدى القريب، مع إعطاء الأولوية للتمويل العام للتعليم مقارنةً بالقطاعات الأخرى، على أن يكون هذا الدعم المالي مشروطًا بتنفيذ إصلاحات ملموسة والحرص على مكافأة جهود الابتكار وتعويضها بما يناسبها. وإنني أتساءل لماذا لا نبادر إلى اغتنام الفرصة السانحة أمامنا لنحمي حاضرنا ونزود عن مستقبلنا ونحول دون تعطُّل التعليم مرة أخرى؟

وعلى مستثمري القطاع الخاص أيضًا أن يكثفوا جهودهم معنا وأن يدركوا أن الاستثمار في التعليم من شأنه أن يعود بالفائدة المرجوة على المجتمع وروّاد الأعمال. إننا، على سبيل المثال، نقدّر المحتوى الترفيهي المخصص الذي تقدمه شبكة نتفليكس مراعاةً لطلبات مشاهديها؛ فلماذا لا تتضافر جهودنا في مكافأة وتشجيع التعليم المخصص بدءًا من مرحلة الروضة وصولاً إلى مستوى الدراسات العليا وما بعد التخرج.

ينبغي لقطاع التعليم استيعاب أن أفضل ما يمكننا فعله للبشرية هو الاستثمار في تنمية قدرات أفرادها؛ فنجاح هؤلاء الأفراد في حياتهم يقوم على كونهم استثنائيين يتجاوزون رتابة المألوف.

إن إعادة رسم ملامح التعليم ليست هدفًا بعيد المنال، بل علينا الشروع في تحقيقه على الفور؛ لأنه بدون التعليم، لا يمكننا أن نأمل في إنعاش الاقتصادات أو دعم المجتمعات التي أتت عليها هذه الجائحة. ويستلزم ذلك الالتزام العالمي بضخّ الاستثمارات التي تفضي إلى تحسين التعليم على النحو الذي ننشده جميعًا في وقتنا الحالي.

يمكن إنجاز هذه المهمة على وجه السرعة. وإن كان من درسٍ تعلمناه من جائحة "كوفيد-19"، فهو سرعة التصرف عند الضرورة. ولا شك أن الارتقاء بالتعليم أصبح ضرورة ملحة.

وعندما تنتهي هذه الجائحة ونعود جميعًا إلى عملنا المعتاد، ويعود طلابنا إلى مدارسهم وجامعاتهم، فعلينا أن نتأكد من أن تجرِبة التعلم التي نبنيها هي تجرِبة مستلهمة من الأشهر التي قضيناها في التعلم عن بُعد. وإنني آمل أن تجسد هذه التجربة القيم التي سعينا جاهدين لإعلائها طيلة هذا الوقت، ومنها أن نجعل التعليم نافعًا ذا جدوى يسير وفق احتياجاتنا الخاصة؛ إذن لنبدأ الآن العمل على بلوغ هذا الهدف.

*****

نبذة عن المؤلفة: تتولى سعادة الشيخة هند بنت حمد آل ثاني منصب نائب رئيس مجلس إدارة مؤسسة قطر والرئيس التنفيذي للمؤسسة.

ماذا لو ساد التعاطف في الوضع الاعتيادي الجديد؟

دعوة إلى إعادة تصوّر الغرض من التعليم في عالم ما بعد الجائحة

بقلم: سوتشيتا بهات وفيشال تالريجا

وصفت الأمم المتحدة مدى التعطُّل الذي لحق بالتعليم في شتى أرجاء العالم جرَّاء جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" بأنه "غير مسبوق". وبحسب ما أورده تقرير منظمة اليونسكو لرصد التعليم، فقد أثّرت إجراءات الإغلاق الوطنية والمحلية إبّان ذروة تفشي الجائحة مطلع إبريل الماضي على 91.3 في المائة من الطلاب على مستوى العالم.

وعلى الرغم من أن الطلاب على وجه العموم قد تأثروا بتعطُّل العملية التعليمية، فمن الأهمية بمكان فهم الآثار الوخيمة لذلك على الأطفال الذين يعيشون في مجتمعات مهمّشة في العديد من الدول النامية، لا سيّما الهند التي يقطنها أكبر عدد من الأطفال في سن التعليم على مستوى العالم ويُقدَّر عددهم بنحو 260 مليون طفل. وخلال تواصلنا مع الطلاب في المجتمعات المهمشة، اتضحت لنا طائفة من التباينات والتفاوتات الصارخة الآخذة في التزايد، منها ما يلي:

1. فقدان مصدر الدخل وسُبُل كسب العيش بسبب فترات الإغلاق الممتدة جرَّاء جائحة كوفيد-19.

2. الهجرة – حيث من المتوقع أن تكون الآثار النفسية لها على الأطفال متشعبة ومتعددة الجوانب. علاوةً على ذلك، قد يقرر العديد من المهاجرين بعد انتهاء فترة الإغلاق البقاء في القرى، ما يتسبب في تسرُّب الأطفال من التعليم النظامي.

3. إجبار الأطفال على تحمُّل مسؤوليات الكبار، كرعاية أشقائهم الصغار وتولّي الأعباء المنزلية وتجهيز وجبات الطعام واتخاذ القرارات نيابة عن الأسرة.

4. انتشار المعلومات المغلوطة من خلال تناقل الأخبار غير الصحيحة والشائعات؛ ففي ظل ندرة المعلومات بشأن الجائحة وتناقضها في كثير من الأحيان، تنتشر الأخبار والشائعات المضللة على نطاق واسع وتتسبب في ضغوط هائلة ومواقف متقلبة وفوضوية. وهذا يدفع الأطفال بدوره إلى التساؤل المشوب بالقلق والتوتر عمّا سيحدث لهم ولأسرهم؟ وهل سيودي الفيروس بحياة والدَيْهم؟ وما الذي سيحدث لهم إذا فقدوا أحد أبويهم؟

5. زيادة معدلات العنف وسوء المعاملة: فقد تلقى الخط الساخن المخصص للأطفال في الهند أكثر من 92 ألف مكالمة استغاثة لطلب الحماية من سوء المعاملة والعنف خلال يومًا، وفي هذا إشارة قاتمة إلى نوعية المخاطر التي تهدد الأطفال بسبب الإغلاق الذي صار ضربًا من الأسْر ليس للنساء فحسب بل للأطفال أيضًا الذين حُبسوا دون حماية مع المعتدين في منزل واحد.

6. الآثار المرتبطة بالنوع الاجتماعي: من المتوقع أن تضطلع الفتيات بمزيد من أدوار الكبار في عائلاتهن، وأن تُخفَّض أولوية تعليمهن لمصلحة الصبيان، ومن المرجح أن يصبحن أكثر عرضة للعنف المنزلي وسوء المعاملة داخل المنزل.

7. غياب القدرة على التحصيل الدراسي: فلا يستطيع الأطفال في المجتمعات المهمّشة الوصول إلى الموارد والأدوات الرقمية، لذا يفقدون القدرة على التحصيل الدراسي وتزيد فجوة التعلُّم لديهم.

8. أثر الصدمة النفسية على الأطفال ما يؤدي إلى تأخر نموهم: فقد أحدثت الأخبار المتداولة مؤخرًا عن الحادثة المفجعة لإقدام عامل شاب يبلغ من العمر 35 عامًا على الانتحار بسبب عجزه عن توفير متطلبات عائلته (الوالدان والزوجة وأربعة أبناء) هزّة عنيفة في جميع أنحاء البلاد. ويمكننا تخيل الصدمة النفسية والعاطفية طويلة الأجل التي يتعين على أطفاله التعايش معها طوال عمرهم. ولا شكّ أن جميع التحديات المبيّنة في ثنايا السطور السابقة التي واجهها الأطفال الصغار والشباب يمكن أن تتسبب في صدمة هائلة لهم، سواء أكانت ذهنية أم عاطفية أم نفسية.

إننا ندرك أن الصدمة التي يتعرض لها الأطفال في مقتبل عمرهم (منذ الولادة وحتى عمر 10 سنوات) تؤدي إلى إصابة الأطفال بالتقزُّم وتأخر النمو، ويمكن ملاحظة آثار تأخر النمو مدى الحياة. وستستمر آثار هذه الصدمة على الأطفال عند دخولهم المدرسة، كما ستلقي بظلالها الوخيمة على قدرتهم على الوصول إلى المحتوى والمشاركة في العملية التعليمية وبناء علاقات صحية مع الآخرين.

ومع تكشُّف آثار هذه الجائحة، فقد بات جليًّا أن نماذج التعلم التقليدية قد أخفقت في إعداد أطفالنا إعدادًا جيدًا لمواجهة الأزمة الراهنة. وتشمل بعض التحديات الهيكلية والنظامية في نُظمنا التعليمية التي برزت إلى الصدارة مؤخرًا ما يلي:

1. المستقبل يبدأ الآن!

نشهد الآن نُذر تحقق الفرضية التي طالما روج لها البعض كثيرًا والتي تفيد بأن الأطفال سيواجهون سوق عمل غير مستقر وعالمًا سريع التغير بعد سنوات قليلة من الآن، وأن هذا الشبح المخيف الذي يهدد مستقبل أبنائنا الغامض قد بدأ ينطلق وتتجلى مظاهره ومعالمه في وقتنا الراهن.

2. النمو الاقتصادي وإيلاء الأولوية لرفاه الإنسان

يتحتم علينا في الوقت الراهن إيلاء الأولوية لرفاه الإنسان بدلاً من النمو الاقتصادي وذلك لمصلحة أنفسنا أولاً ولمصلحة كوكبنا بوجه عام. فهل من الممكن أن تكون هذه هي نقطة التحول التي تحدد الغرض الجديد من التعليم في ضوء الواقع الجديد؟

3. أوجه الإجحاف المنهجية المتجذرة داخل المجتمع

عندما تضطر طالبة في الصف الثامن، تتشارك مع أسرتها المكونة من أربعة أفراد هاتفًا ذكيًا واحدًا، إلى المفاضلة بين شراء باقة إنترنت وشراء مستلزمات المنزل من الخضروات، ثمّ لا يُسمح لها بدخول الصفّ الدراسي عبر الإنترنت بسبب تأخرها خمس دقائق فقط، ألا نساعد بذلك على الوقوع في مصيدة استدامة التحيز المنهجي ذاته ونقله من نظام التعليم المباشر إلى نظام التعليم عبر الإنترنت؟ وما دور التعليم في تغيير هذا الواقع المُزري؟

وقبل الاندفاع نحو اتخاذ أي حلول رجعية، هناك حاجة ماسّة للتروّي وتقييم الموقف والنظر بعين ناقدة في التحديات الهيكلية والنظامية التي تكتنف نظامنا التعليمي الحالي. وعلى الرغم من سهولة استنساخ النماذج التعليمية التقليدية وإعادة استخدامها في النظام التعليمي الإلكتروني، فعلينا التمهل قليلاً وطرح السؤال الصعب: هل هذا هو التصرف المطلوب في الوقت الراهن؟

الآفاق المستقبلية والحاجة الماسّة إلى التأني والتفكر

لن تتمكن المدارس من العودة إلى "نظامها الاعتيادي" في نهاية هذه الأزمة، وليس بمقدورها مضاعفة جهودها لتعويض الوقت الضائع عن طريق إجبار الطلاب على هضم المنهج الدراسي الفائت قسرًا. لذا، يتعين علينا إعادة تصوّر دور المدارس والمعلمين في حياة الطلاب القادمين من المجتمعات المهمّشة، في ظل تفاعل المنظومة التعليمية بأكملها للتغلب على المعاناة النفسية الناجمة عن الأزمة الراهنة والعمل على تحقيق الرفاه لجميع المتعلمين.

فعلى سبيل المثال، ابتكرت مؤسسة "Dream A Dream" منهجًا دراسيًا يُعرف باسم "منهاج السعادة" (Happiness Curriculum) الذي خدمت مقارباته القائمة على التمارين الذهنية والتعلم عن طريق اللعب نحو 800 ألف طفل في 1024 مدرسة حكومية في مدينة دلهي الهندية. ويحضر كل طفل يوميًا صفًّا دراسيًا يُسمى "صفّ السعادة" (Happiness Class) لمدة 35 دقيقة. وخلال فترة الإغلاق، كان للقصص والأنشطة والتمارين الذهنية التي حصل عليها الطلاب ضمن "منهج السعادة" دور كبير في مساعدة الطلاب في تبديد مشاعر القلق المتصاعدة بفعل الجائحة.

وقد ساعدت التمارين الذهنية أيضًا الأطفال في الحصول على الدعم اللازم وبعثت فيهم شعورًا بالهدوء والطمأنينة في مجتمعاتهم وأُسرهم. وفي إطار سعي الحكومة لمواصلة تقديم الدعم للمتعلمين خلال فترة الإغلاق، طُرحت مبادرة جديدة تحمل شعار "جميع أولياء الأمور معلمين، وجميع المنازل مدارس" (Every parent a teacher, every home a school)، وتنطوي هذه المبادرة على تقديم الدروس باستخدام نظام قائم على "الاستجابة الصوتية التفاعلية" الذي يتيح للوالدين أو الأطفال الاتصال على رقم معين في مكالمة لا يُرد عليها ثم يتلقى المتصل مكالمة هاتفية تخبره بقصة أو نشاط أو تمرين ذهني يمكن لجميع أفراد الأسرة القيام به. على سبيل المثال، عندما يتصل أحد الوالدين في مكالمة لا يُرد عليها (دون تحمل الوالد أي تكلفة)، سيتلقى هذا الوالد مكالمة هاتفية مسجلة لتخبره بقصة عن الصداقة من موضوعات "منهاج السعادة". وستتضمن المكالمة طرح بعض الأسئلة التأملية لقياس مدى استيعاب القصة والغاية المستفادة منها في نهايتها. ويمكن أن يستمع جميع أفراد العائلة إلى القصة معًا، ثمّ التفكير في الأسئلة التي تُطرح خلال المكالمة ومناقشتها مع بعضهم والتفكير فيها. وقد لقيت هذه الفكرة إعجاب الأطفال وأولياء أمورهم على حدٍّ سواء.

وفي إطار استعدادنا لعالم ما بعد الجائحة، ندعو الجميع إلى استغلال فترة التوقف والتدبر هذه لإعادة تصوّر دور المدارس والنُظم التعليمية بحيث تصبح أداة فعالة لإحداث تحول حقيقي يعود بالنفع على جميع الأطفال.

وفيما يلي مجموعة من الإجراءات التي نقترح أن تُبادر النُّظم التعليمية إلى اتخاذها:

- قضاء الثلاثة أشهر الأولى بعد عودة الأطفال إلى المدرسة في إعادة دمجهم في عالم ما بعد الجائحة، وتخفيض أولوية المواد الدراسية.
- عدم إجراء أي اختبارات لجميع الطلاب لمدة عام واحد.
- الاستثمار في علاج الصدمات الذي يستهدف المعلمين لتصبح المدارس أكثر قدرة على التصدي للصدمات الناجمة عن الجائحة.
- دعم إدارة المدارس لإعادة النظر في تصوّرهم للسنة الدراسية بهدف دمج المهارات الحياتية ومهارات التعلم الاجتماعي والوجداني كمكونات أساسية لتحضير الأطفال وإعدادهم لمواجهة تقلبات المستقبل.
- تغيير معيار النجاح في أنظمتنا التعليمية من الاعتماد على المخرجات الدراسية والاقتصادية إلى تحقيق الرفاه والنماء لجميع الطلاب والمجتمعات وكوكب الأرض بأكمله.

وليس ما سبق بالمهمة اليسيرة، بل ستتطلب بعض الكفاح والجهد بسبب طبيعة التصميم الحالي لأنظمتنا الاجتماعية والمدرسية؛ لكن تظل هذه الدعوة هي الأكثر أهمية في اللحظة الراهنة.

*****

نبذة عن المؤلفين: سوتشيتا بهات هي الرئيسة التنفيذية لمؤسسة "Dream a Dream"، وفيشال تالريجا هو مؤسسها المشارك.

إدراك دَلالات المشاعر

بقلم: مارك أ. براكت

من شتّى ربوع العالم، تطالعنا كافة قطاعات المجتمع يوميًا أن الأطفال اللطفاء الاجتماعيين قد جنحوا إلى العدوانية؛ وأن الأطفال المفعمين بالنشاط والحيوية فيما سبق قد تبدّل حالهم إلى الكسل وقلة المجهود؛ وأن الأطفال المعتادين حياة الرفاه يعانون حاليًا من القلق الشديد. بل وفي أسوأ الظروف، ينزوي الأطفال الذين كانوا بهجة حياة ذويهم في اكتئاب مبهم الأسباب لا يكاد يفارقهم.

وعلى إثر ذلك، صرنا جميعًا ننظر إلى بعضنا بعضًا متسائلين: "كيف لم ندرك هذه التطورات وكيف غابت عنّا تلك الإشارات المرسلة؟"

إن الثقافة التي نشأنا عليها جعلتنا نتغافل عن دلالات منظومة المشاعر بسبب آراء متحيّزة مضى عليها 3000 عام على أقل تقدير؛ فقد طالعتنا الكتب السماوية والفلاسفة الرواقيون ومعظم أعمال الأدب الغربي وكتب الفلسفة والكتب الدينية أن المشاعر النفسية تُرسل إشارات ودلالات غير موثوقة وغير ملائمة وذات خصوصية، وتحول دون اتخاذ القرار السليم والقدرة على التعلُّم.

وقد طُرحت دراسة تتناول مسألة الذكاء قُرابة العام 1900، ونحَّت هذه الدراسة المشاعر جانبًا من منطلق أن تأثيرها ليس له أهمية تذكر، ثم وجدنا مؤخرًا أن المشاعر لا تُعلّمنا الإدراك فحسب، بل إنها تمثل منظومة ذكية في حد ذاتها.

كما كشفت الدراسات البحثية التي أجريناها نحن أو غيرنا أن من يمتلكون مهارات وعاطفية أكثر تطورًا تقل أخطاؤهم عند إصدار الأحكام، وتربطهم بالآخرين علاقات صحية مقارنةً بغيرهم، ويبادرون إلى نيل الرضا الحقيقي، ولديهم شعور أكبر بالراحة النفسية. وعلى الرغم من جميع الأدلة التي كشفت عن الذكاء والدلالات الكبيرة في منظومة المشاعر، وكل الدراسات التي أثبتت تأثير العاطفة على الإدراك ورفاه الأشخاص، فإننا لا زلنا نصر على وجود تعارض بين العاطفة والعقل.

فعلى سبيل المثال بدلاً من الاعتراف بدلالات المشاعر وما تحويه من معلومات، يُطالب العديد من المعلمين بالتركيز على تعديل سلوك فصل دراسي يضم 30 طفلاً، ولربما كان 10 منهم يمرون بصدمة كبيرة مثل طلاق الوالدين، أو معاقرة أحدهما للكحول، أو التعرض لسوء المعاملة، أو وفاة أحد المقربين. ولعلّ من بينهم أيضًا طفل يعاني من توتر شديد لكنه لا يرغب في إعلام أي شخص بتوتره حتى لا يبدو ضعيفًا؛ ولربما هناك آخر يشعر بالفخر ويخشى أن يعبر عن فخره حتى لا يُغضِب غيره، ولربما كان من بينهم طفل آخر حريص على الجلوس ساكنًا لأن لديه فكرة على وشك أن تخرج للنور. إنّ عقليتنا الثقافية تُحكِم كبت هذه المشاعر المتلاطمة، رغم أن كبتها يحول دون تعلُّم الأطفال، ويثير حنقهم، ويشتت انتباههم واستيعابهم، الأمر الذي من شأنه في نهاية المطاف أن يُعيق نشاط الصفّ الدراسي ككل.

إذن، من أين يبدأ العديد من المعلمين في التعرض لهذه المشكلة بصورة عفوية؟ إنهم يظنون أنه لا بد لهم من دخول الصف الدراسي وهم مفعمون بالحماس ترتسم على وجوههم البسمات العريضة قائلين: "صباح الخير أيها الأولاد والبنات، ما أروع الشعور بأننا لا زلنا على قيد الحياة؟ ألا يكفي أن نتذكر نعمة الشمس والسماء والأشجار وعائلاتنا الجميلة وزملائنا الرائعين والكتب الشيقة التي سنقرأها؟"

وهذا نتيجة تغافل منظومة مشاعر عميقة أخرى لدلالات المشاعر وما تفصح عنه من معلومات، لأنها ترى أن السعادة هي العاطفة الوحيدة التي لا بد وأن نشعر بها وأن نكبت ما عداها؛ وإذا لم نكن سعداء، وإن لم يُبد أطفالنا علامات واضحة تدل على السعادة، نكون حينئذٍ قد فشلنا. ولكن ماذا عن الطفل الذي جاء حزينًا بسبب وفاة جده للتو؟ وماذا عن الطفل متقلب المزاج؟

إن المشاعر الإيجابية تفتح مدارك العقل على إمكانات جديدة وتُكسِبنا المرونة والانفتاح والكفاءة وتفضيل التنوع. فالفرح يجلب الرغبة في المرح، ويُبرز أفضل القدرات، ويحث على الإبداع؛ أمّا الشعور بالفخر فيدفعنا إلى مشاركة الأخبار الجيدة ويحثنا على تحقيق أعلى الإنجازات؛ فيما يساعدنا الحب في استكشاف اللحظات الممتعة واغتنامها.

لكنّ المشاعر الإيجابية لا تصلح في كافة المواقف؛ ولنتصور معًا أن أحدنا يسير سعيدًا متبسمًا، ثمّ تباغته من إحدى الزوايا سيارة هوجاء توشك على دهسه. في تلك اللحظة، يكون الخوف هو الشعور الصحي هنا لا الفرح، وهو ما سيدفعنا للقفز بعيدًا عن مسار السيارة. ومن هنا نلحظ أن للمشاعر السلبية وظيفة بنّاءة لأنها تزيد من تركيزنا ويقظتنا. إنّ الحزن، لا السعادة، هو الذي يساعدنا في العمل على تجاوز مشكلة عويصة؛ وكذلك فإن الحماس الشديد لن يجعل أي جماعة تتفق على رأي واحد، بل سيشتت الطاقة اللازمة للتفكير في المشكلة المطروحة سواءٌ أكانت مشكلة رياضية أم أزمة أسرية. والواقع أن الحزن ذا فائدة في العمل الناقد، لأنه يبصرك بالتفاصيل على نحو يمكنك من تقييم الأفكار وضبطها وفق نهج واقعي. بل إن التشاؤم قد يحوِّل القلق إلى أفعال، ذلك أن تخيل أسوأ السيناريوهات يدفعك إلى اتخاذ الحيطة والإجراءات

لكل ما هو متوقع. كما أن القلق يسهل علينا حل المشكلات وتداركها؛ وكذلك يُعدّ الشعور بالذنب بمثابة بوصلة أخلاقية مرشدة لنا؛ أمّا الطمأنينة وراحة البال فستدفع المرء إلى النوم حين يحتاج إلى إلهام يحفزه. كما أن الحماس الشديد والسعادة البالغة لن يُظهراك بمظهر الواثق القادر على إقناع الآخرين عند توضيح نقطة مهمة؛ ففي هذا الموقف عليك أن تتلمس قوة الغضب، لا التعاطف، لأنه هو الذي يحرك طفلاً للدفاع عن طفل آخر يتعرض للتنمر.

إن لكل المشاعر دلالات ومقاصد، وهذا يساعدنا في الإجابة على أسئلة مهمة مثل: هل أقترب من هذا الشخص أو الموقف، أم أتجنبهما؟ هل أنا مرحب بي في هذه البيئة أم غير مرحب بي؟ هل طلابي منتبهون أم انتابهم الملل؟ كيف تؤثر الطريقة التي أتعامل بها مع مشاعري ومشاعر الآخرين على نوعية علاقاتي، و هل الآخرون يثقون بي أم لا؟ هل اتخذت قرارًا سليمًا أم منحازًا؟ فليست هناك مشاعر سيئة بالكليّة وأخرى جيدة إذا ما فهمنا مقاصد هذه المشاعر وتحرينا الحكمة في استغلالها. وإن أحسنّا استخدام مشاعرنا، ستصير بمثابة موارد يمكننا الاعتماد عليها لاتخاذ أفضل القرارات الرشيدة.

وعلى مدار العشرين عامًا الماضية، عملت مع فريقي على إطار عمل يقوم على نموذج "ماير وسالوفي" لقدرات الذكاء العاطفي، وأطلقنا عليه اختصارًا مسمى "RULER"؛ ويوضح هذا النموذج المهارات التي يحتاجها الأطفال والكبار ممن يقومون على تربيتهم وتعليمهم، حتى يحسنوا استخدام مشاعرهم. وهذه المهارات هي التي تساعدنا في:

- **التعرّف على المشاعر:** تفسير تجاربنا وتجارب الآخرين العاطفية.
- **فهم المشاعر:** التعرف على أسباب المشاعر وتبعاتها.
- **تسمية المشاعر:** تكوين المفردات التي تقدم وصفًا دقيقًا للتجارب العاطفية.
- **التعبير عن المشاعر:** وهذا يساعدنا في حسن التعبير عن مشاعرنا للآخرين.
- **تنظيم المشاعر:** بما يدعمنا في استخدام استراتيجيات مفيدة لإدارة ما نحس ونشعر به.

وكشفت الأبحاث التي أجريناها والأبحاث التي أجراها غيرنا في مختلف أنحاء العالم أن الأطفال والبالغين الذين لديهم مهارات مشاعر أكثر تطورًا يتعلمون بصورة أفضل، ويتخذون قرارات رشيدة مقارنةً بغيرهم، ويبنون علاقات هادفة ويبقون عليها، ويصلون إلى نتائج دراسية وعملية أعلى من غيرهم.

كذلك، وضعنا على مدار السنوات العشر الماضية نهجًا قائمًا على الأدلة على مستوى المدارس لتعزيز المهارات الوجدانية، وأطلقنا عليه أيضًا مسمى RULER؛ وكان الغرض من تصميم هذا النهج غرس المهارات الوجدانية بين جميع الأطراف المعنية بالعملية التعليمية في المدرسة وتحسين العلاقات الرابطة بين قادة المدرسة والمعلمين والطلاب وأسرهم. وأثبتت أدلة كثيرة التأثير الإيجابي لهذا النهج على الأداء الدراسي، والمهارات الاجتماعية والوجدانية، ومناخ الفصل الدراسي، والتنمر، والدعم التعليمي للمعلم والضغوط التي يتعرض لها والإرهاق الذي يواجهه.

يعتمد تعليم المهارات الوجدانية واكتسابها على المرحلة العمرية، غير أنه لا يوجد عمر معين يعد مبكرًا أو متأخرًا جدًا لبدء تعلمها على عكس تعلم لعبة مثل الجمباز، إذ تظل أجزاء الدماغ المطلوب تحفيزها لتعلم مهارات RULER نشطة منذ الولادة وحتى الشيخوخة؛ وأول خطوة لتعلم هذه المهارات أن نمنح أنفسنا وذوينا الإذن بالشعور بها.

*****

نبذة عن المؤلف: يعمل مارك أ. براكيت مديرًا لمركز ييل للذكاء الوجداني، وأستاذًا في مركز دراسة الطفل بجامعة ييل.

موجز تجميعي
تعطُّل التعليم
قصص وحكايات من خط الدفاع الأمامي لأزمة التعليم خلال جائحة كوفيد-19

بقلم: جوليا كيربي

أحدثت جائحة كورونا الراهنة هزّة عالمية غير مسبوقة؛ فما بين عشية وضحاها، أصيبت اقتصادات كبرى بالشلل وتوقفت نُظم تعليمية وبنى تحتية اجتماعية، فظهر التقارب بيننا في العالم الحديث وما صاحب ذلك من ضعف بادٍ للعيان وخوف من شبح التوسع في إجراءات الإغلاق لفترات طويلة، وطفت على السطح تساؤلات عن كيفية تطوير نُظم ومجتمعات تتسم بالمرونة اللازمة لتحقيق الازدهار المنشود في ظل تلك الظروف التي يشوبها انعدام وضوح الرؤية.

وفي مجال التعليم، أضرّ الإغلاق الجماعي غير المسبوق للمدارس بأكثر من ثلاثة أرباع الطلاب على مستوى العالم، وذكرت منظمة اليونسكو، في ذروة الأزمة في أبريل عام 2020، أن ثمّة ما يزيد عن 1.5 مليار طفل تسربوا من الدراسة. وكذلك أسفرت الصدمات المتزامنة التي تعرضت لها النُّظم الصحية والمالية عن زيادة مستوى الهشاشة وحالة عدم اليقين، وكشفت عن قصور وانعدام التكافؤ في النُّظم التعليمية العالمية، كما أكّدت تلك الأزمة على العلاقة الوطيدة بين التعليم والتعلُّم ورفاه المجتمعات.

ومثلما سارعت الحكومات بتجهيز أنظمتها الصحية استعدادًا لهجوم فيروس "كوفيد-19"، وضع مسؤولو التعليم على اختلاف مستوياتهم، ومعهم أولياء الأمور ومقدمي الرعاية، خطط استجابة سريعة لتعلُّم الأطفال عن بُعد. وقد تعرض التعليم لأضرار كبيرة، رغم أنها أقل لفتًا للأنظار من إحصائيات العدوى والوفيات، فتقدر الأبحاث التي أجراها معهد بروكينغز أن دولة متقدمة وغنية مثل الولايات المتحدة تكبدت بسبب إغلاق المدارس لمدة أربعة أشهر أثناء جائحة كورونا الراهنة فيما يخص تعلُّم الطلاب من رياض الأطفال حتى الصف الثاني عشر خسائر تقارب في المتوسط 33,464 دولارًا أمريكيًا في الأرباح المستقبلية لكل طالب أي ما يعادل 63% من متوسط الراتب السنوي، بل إن الأثر الاقتصادي الإجمالي أكبر من ذلك بكثير، ويقدر بنحو 2.5 تريليون دولار أمريكي، أو 12.7 في المائة من إجمالي الناتج المحلي.

وفي الدول الأقل ثراءً، تزداد المخاطر وتتجاوز حدود الاقتصاد كثيرًا. ففي بداية الأزمة، حذرت اليونسكو من أن أضرار التوسع في إغلاق المدارس في الدول النامية قد تفوق فوائدها المتوهَمة، لا سيَّما بالنسبة للفتيات لأن احتمال تسربهن من الدراسة يزيد 2.5 ضعفًا عن البنين أثناء فترات إغلاق المدارس الممتدة. وكشفت البيانات التي جمعتها مؤسسة "Plan International" أثناء تفشي فيروس إيبولا الذي اجتاح غرب إفريقيا في 2014-2016 أن إغلاق المدارس خلَّف آثارًا وخيمة لا على التعلُّم وحده، بل على حماية الأطفال وسلامتهم أيضًا، وهذا يبرهن أن المدارس تكفل تلك الحماية والسلامة لطلابها ولا يقتصر دورها على تعليم المناهج الدراسية فحسب.

أمّا الدول الأكثر ثراءً فقد تعاملت مع جائحة كورونا الراهنة فيما يخص التعليم باللجوء إلى تدريس المناهج بالكامل عبر الإنترنت، مع مشاركة أولياء الأمور، قدر وسعهم، في الإشراف على عملية التعلُّم المنزلي. وعلى مستوى الدول والمجتمعات الفقيرة، التي تعاني قبل اندلاع الأزمة من تردي الأحوال الصحية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت لهم تجربة مغايرة، إذ شكّلت لهم جائحة كورونا الراهنة صراعًا من أجل البقاء أكثر من كونه صراعًا من أجل المواءمة، ولم تستطع تلك الدول أن توفر لأكثر طلابها أي نوع من التعليم مطلقًا.

يتضمن القسم التالي مختارات من أبرز محاور الأزمة التعليمية التي صاحبت جائحة كورونا الراهنة، وهي مستقاة من العروض التقديمية التي طرحت في المؤتمر الافتراضي الذي انعقد بالشراكة بين مؤتمر "وايز" ومؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" في أبريل 2020، وتتناول المقالات الواردة في هذا القسم تجارب ست منظمات غير حكومية تتصدر طليعة الجبهات الأمامية في جميع دول العالم مثل كندا والهند وإيطاليا وكينيا والمغرب وجنوب إفريقيا. وعلى الرغم من تنوع هذه البيئات، فهناك أوجه تشابه كثيرة بين هذه التجارب التي تتناول مجموعة من المحاور الأساسية التي تعد من صميم الاستجابة التعليمية لجائحة كورونا الراهنة، وهي الابتكار المتولد من رحم الضرورة، وأهمية تحقيق الرفاه، وانعدام التكافؤ في النُّظم التعليمية على مستوى العالم، وقدرة العنصر البشري على التأقلم.

الحاجة أمُّ الابتكار

تناولت نادين تريبانييه في مقالتها أعمال مجلس مديري مدارس أونتاريو أثناء ذروة أزمة جائحة كورونا الراهنة، وأشارت إلى المثل السائر القديم "الحاجة أمُّ الاختراع"، وأود أن أتوسع في هذا المثل لأقول إن "الحاجة هي أمُّ الابتكار". وهذا ما يصدُق على ما مر به التعليم إبّان الأزمة، وهذا هو الموضوع الثابت الذي تناوله مؤلفو المقالات. ففي خضم المآسي والاضطرابات والمخاوف التي صاحبت هذه الجائحة، ظهرت أيضًا سبل جديدة للابتكار والإبداع والتحول المنهجي بمستويات استثنائية، وأُجبرت كل النُّظم المدرسية في جميع أنحاء العالم على إعادة التفكير في نماذج التعلُّم بخطى ومعدلات غير مسبوقة، وسارعت ببناء واختبار وتجريب هياكل جديدة لاستيعاب واقع مختلف تمام الاختلاف.

والسمة الغالبة على مسارات الابتكار المذكورة هي التعاون، مما يدل على أن الأزمات غالبًا ما توحد الجهود. وتمثل هذا الجانب في برنامج "شركاء الإمكانية"، الحائز على جائزة وايز لعام 2018، الذي تمثلت مقاربته المبتكرة في إبرام أكثر من 40 شراكة جديدة في مناطق مختلفة تغطي جميع مناطق جنوب إفريقيا من أجل الوصول إلى مديري المدارس الذين يعانون من نقص الموارد أكثر من أي وقت مضى، وأتاح لهم المشاركة الافتراضية وقدم الدعم اللازم الذي شمل الحد من التوتر و الإرشاد النفسي أثناء الأزمة. أما برنامج "علِّم لأجل المغرب"، فقد جرى ابتكاره بالتعاون مع رواد المجتمع وأولياء الأمور في المناطق الريفية لتطوير محتوى المناهج الدراسية وتقديمه عبر تطبيق "واتساب" والرسائل النصية القصيرة والرسائل الصوتية التي أتاحت للمدارس الوصول إلى جميع الطلاب، حتى من لديهم أولياء أمور أو مربيّن لا يحسنون القراءة والكتابة، أو الذين لا يمكنهم الوصول إلى المنصات الرقمية.

وفي الهند، استغل بيدوريا بهوسان سن وآزاد أومن التعطُّل الذي خلّفته الأزمة في ابتكار طريقة تستعين بها منظمتهما في تقديم التعلُّم المهني الرقمي لقادة المدارس عبر التركيز على بناء مجتمعات للممارسات التربوية على شبكة الإنترنت. وقد استهدفا في الأساس توفير مساحة آمنة يستطيع المعلمون من خلالها التعاون ومشاركة الأفكار والشعور بالترابط والدعم في أداء مهمتهم الصعبة المتمثلة في تحويل التوجيهات الحكومية العامة إلى استراتيجيات مؤسسية تلبي احتياجات المدارس والطلاب.

أهمية الرفاه الشامل

من الفوائد الأخرى التي تبرزها مقالات هذا القسم، وجميع مقالات الكتاب، أهمية الرفاه؛ ولا يراد بذلك رفاه الطلاب وحدهم، بل ورفاه المعلمين وأولياء الأمور والمنظومة التعليمية برمّتها. ومن النقاط الرئيسة المستفادة من أزمة جائحة كورونا الراهنة أن سلامة أنظمتنا التعليمية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بسلامة مجتمعاتنا ورفاهها، وهذا يشمل السلامة الاقتصادية والبدنية والاجتماعية والنفسية.

وفي كينيا، منحت مؤسسة ديجنيتاس برئاسة ديبورا كيماثي، المرشحة لجائزة وايز لعام 2020، الأولوية للرفاه الاجتماعي والنفسي والجسدي للطلاب والأسر التي تخدمها المؤسسة في استراتيجيتها للتعامل مع جائحة كورونا الراهنة. وبفضل عملها مع بعض الأوساط الفقيرة في كينيا، اكتشفت المؤسسة أن 79% من الأسر التي تتعامل معها لم يكن لديها أي دخل أثناء

الأزمة، ومن ثمَّ كانت هذه الأسر تنظر إلى التعليم باعتباره أمرًا ثانويًا في قائمة اهتماماتها. وكتبت مديرة المؤسسة قائلة أن "مكافحتنا لهذه الجائحة ليست لأجل الرفاه، لكنها لأجل البقاء". أما الأطفال في هذه المجتمعات، لا سيَّما الفتيات، فإن المدارس لا تمدهم بالتعليم فحسب، بل تمثل لهم مصدرًا رئيسًا للرفاه البدني والنفسي وتحميهم من الزواج المبكر، والحمل، والاستغلال الجنسي، والاستغلال في العمل، وغير ذلك من أنواع الإساءة والصدمات.

وشهدت جنوب إفريقيا حالاً مماثلة، حيث طبق برنامج "شركاء الإمكانية" نهج "مراعاة احتياجات الأطفال قبل تعليمهم" عند وضع استراتيجية الاستجابة السريعة، وجرى التعاون مع منظمات الإغاثة الغذائية لتسهيل عمليات التسليم للأسر، علاوةً على إصدار سلسلة من أدوات الدعم الرقمية للحد من التوتر وتقديم الدعم النفسي اللازم.

وحتى في الدول الأفضل حالاً مثل كندا، أسهم الرفاه الاجتماعي والنفسي بدور كبير في الجهود التعليمية التي بذلت أثناء الأزمة. وأدرك مجلس مديري المدارس في أونتاريو مدى الضغط النفسي والعاطفي الذي يتعرض له قادة المدارس، ولذلك شارك في استجابة متعددة المستويات لدعم قادة المدارس في شبكته، وتضمن ذلك توفير برنامج صحي للأعضاء وأسرهم.

التفاوت الاقتصادي وعواقبه الوخيمة على التعليم

لعلّ الدرس الأكبر الذي استقيناه من جائحة كورونا الراهنة وأثرها على التعليم في مختلف أنحاء العالم – وهذا الدرس يبرز في ثنايا مقالات الكتاب – أننا أدركنا تغلغل أنماط عدم المساواة في نُظمنا التعليمية، وتمثَّل ذلك بوضوح في قلة فرص طلاب المجتمعات الفقيرة اقتصاديًا واجتماعيًا في الوصول إلى برامج التعلُّم عن بُعد عالية الجودة أثناء الأزمة مقارنة بطلاب المجتمعات الغنية. وقد تناول مارسيلو إنيا نيومان ولورينزو بينوسي هذا الطرح في مقالتهما بعنوان "الواقع المتغافَل عنه"، حين أوضحا أن إغلاق المدارس قد خلّف أضرارًا مؤكدة "لمنتسبي مجتمعنا التعليمي الذين لاقوا معاملة غير منصفة في أنظمتنا التعليمية، ونعني بذلك الأطفال المحرومين اجتماعيًا واقتصاديًا والأطفال ذوي الاحتياجات التعليمية الخاصة وذوي الإعاقات". واتضح جليًا أن نُظمنا التعليمية قد خذلت هؤلاء الأطفال بالفعل حتى قبل تفشي الجائحة.

وكان السؤال المحوري الذي طرحته ديبورا كيماثي في كينيا حين بدأ القادة يفكرون في إعادة فتح المدارس هو: ما الذي نحمله في جعبتنا للأطفال المحرومين؟ وحين نعيد فتح المدارس في الخريف، فهل سيكون الذين شاركوا في التعلُّم عبر الإنترنت أو التعلُّم المنزلي "أفضل" حالاً من غيرهم؟ وثمَّة حقيقة مُرَّة في المجتمعات المهمشة في كينيا وغيرها من الدول، مفادها أن أعدادًا كثيرة من الطلاب قد لا تتاح لهم الفرصة للعودة إلى الدراسة أبدًا بسبب التدهور الاقتصادي الناجم عن هذه الجائحة.

هشاشة النُظُم وقدرة العنصر البشري على التكيّف والتأقلم

اختتم روبين ويتاكر وغيل مكميلان مقالتهما عن تجربة جنوب إفريقيا بالتطرق لمسألة "ضعف النُظُم وقدرة العنصر البشري على التكيف والتأقلم"، وقد جرى التطرق لهذا المحور في جميع القصص الواردة في هذا القسم وفي طيات الكتاب. إن عموم الناس والحكومات لديهم القدرة على تحقيق إنجازات عظيمة في القيادة والابتكار والجوانب الإنسانية. ومثلما اتحدت دول العالم لتتحدى التاريخ والعلم وتعاونت في ابتكار لقاح فعال ضد فيروس كورونا بسرعة غير مسبوقة، فعلى دول العالم أيضًا أن تبدي نفس الاهتمام والالتزام الاقتصادي والإرادة السياسية لإعادة بناء نُظمنا التعليمية على نحو أفضل. ونأمل أن تستمتعوا بمطالعة المقالات التالية.

*****

نبذة عن المؤلفة: تشغل جوليا كيربي منصب مديرة البحوث ونشر المحتوى في مؤتمر "وايز".

الوضع الاعتيادي الجديد
التطوير المهني الإلكتروني لقادة المدارس

بقلم: بيدوريا بهوسان سن وآزاد أومن

خلال جائحة كورونا الراهنة، أسهم قادة المدارس بدور كبير في إغلاق المدارس، وضمان رفاه الطلاب، وإشراك الطلاب في التعلُّم، والتخطيط لإعادة فتح المدارس عقب انجلاء الأزمة. ونظرًا لعدم وجود دليل عملي يطلعنا على خطوات هذا التحول، فقد نظّمنا لقادة المدارس سلسلة من ورش العمل الافتراضية التوجيهية. وتلقي هذه المقالة الضوء على الطابع الحديث للتطوير المهني عبر الإنترنت لقادة المدارس عن طريق توفير دروس عملية للمؤسسات الأخرى.

يتمحور عملنا مع 154 قائدًا من قادة المدارس في جميع أنحاء الهند منذ أبريل 2020 حول ثلاثة أقسام رئيسة، هي المحتوى، والمجتمع، والتدريب. وقد راعينا هذه الركائز الثلاث أثناء تصميم برنامجنا الافتراضي، وفيما يلي بيان لماهية التدريب على كل ركيزةٍ منها.

المحتوى التفاعلي

ضرورة الوضوح بشأن السلوكيات المراد تغييرها. خلال المراحل الأولى من جائحة كورونا الراهنة، أجرينا دراسة استقصائية لقادة المدارس التي نعمل معها، ووجدنا أن لديهم ثلاثة مجالات رئيسة بحاجة إلى الدعم، وهي سلامة الطلاب ورفاههم، والتحول نحو التعلُّم عبر الإنترنت، والتمويل المدرسي. فجمعنا هذه النتائج مع ما لدينا من معرفة ناتجة عن خبراتنا وأعددنا محتوى ملائم لعقد ورش عمل افتراضية.

الموازنة في المحتوى بين المطلوب فعله والمطلوب معرفته. لا بد أن يكون المحتوى وثيق الصلة باحتياجات قادة المدارس مع ضرورة توجيههم عند الحاجة. وخلال المراحل الأولية لإجراءات الإغلاق التي صاحبت الجائحة الراهنة، تبين لنا أن قادة المدارس يدركون مدى الحاجة إلى التفاعل مع الطلاب، ولكن لم يكن لديهم إلمام بطريقة فعل ذلك، ومن ثمَّ أنشأنا مسارًا بسيطًا باستخدام تسلسل ماسلو الهرمي للانتقال من تحقيق رفاه الطلاب إلى تعليمهم.

توخَّى البساطة. نظرًا لأننا نتعامل مع طلاب كبار، فقد صممنا ورش عمل تتيح استقاء المعارف من شبكة الأقران، وأتحنا النقاش في الحصص الدراسية التي تقدم عبر الإنترنت مع التركيز على المهام المطلوبة، ومنحنا قادة المدارس الوقت الكافي لمشاركة خبراتهم في التعامل مع الجوانب المختلفة للأدوار المنوطة بهم، وأنهينا الورش التدريبية بخطوات عملية ملموسة ليلتزم بها قادة المدارس في عملهم.

بناء المجتمع

بناء الثقة. حين بدأنا تقديم سلسلة ورش العمل الافتراضية، لم يكن جميع قادة المدارس المشاركين يعرفون بعضهم بعضًا، ومن ثمَّ كان علينا أن نوفر لهم مناخًا وديًا لا يخشون فيه من الطرح الصريح لجميع المسائل، وحَرِصنا على بناء الثقة عن طريق توفير أدوات كافية تتيح الانسجام مع الآخرين وأنشطة "تعرف المشاركين على بعضهم بعضًا".

إتاحة سُبُل متنوعة للمشاركة. أرشدتنا تجربتنا في بناء المجتمعات في المناطق غير المتصلة بالإنترنت أننا لا بد أن نتيح مسارات مختلفة للمشاركة، ولذلك استخدمنا هنا مسارين: 1) الحصول على الأدوات والموارد العملية التي استخدمها قادة المدارس ومشاركتها؛ 2) الإفادة من كافة خبراتهم عن طريق التعرف على النتائج الناجحة وتسليط الضوء على الحالات التي تمكَّن فيها قادة المدرسة من التغلب على التحديات.

تحقيق الأهداف المنشودة. لقد توخَّينا عدم هيكلة ورش العمل هذه حتى نتعلم كيفية زيادة فعاليتها، ووضعنا نموذجًا يكفي لإشاعة الثقة بأننا كنا واضحين بشأن المعايير والأهداف التي كنا نصبو إلى تحقيقها. واكتشفنا كذلك أن منح مديري المدارس الوقت لمناقشة المشكلات التي تواجههم قد حقق هدف التواصل الناجع فيما بينهم.

التوجيه الداعم

الاستثمار في العلاقات. أقمنا ورش العمل على ثلاث ركائز هي المهام والعمليات والعلاقات. والعلاقات هي أصعب ما يمكن استنساخه في العالم الافتراضي؛ ولذلك شجعنا المشاركين على الاحتفاظ بالمقاطع المرئية التي أنتجوها لتعزيز أواصر الألفة بيننا وكذلك بين بعضهم بعضًا. كما خصصنا "وقتًا مفتوحًا" بعد المكالمة حتى نتيح لمديري المدارس التواصل مع المدرب أو الأقران.

بذل الدعم الإضافي خارج ورش العمل. إدراكًا منَّا لاحتياج مديري المدارس بعد انتهاء ورش العمل إلى دعم إضافي حتى يتمكنوا من تنفيذ الأفكار، فقد أتاحنا لهم عدة وسائل مثل الخطوط الساخنة لطلب المساعدة ومكالمات الدعم الصادرة وروبوتات المحادثات. وتابعنا مع مديري المدارس بالمكالمات الهاتفية والمكالمات المرئية، وثبتت فعالية هذه الوسائل مثلها مثل الاجتماعات العادية. وكذلك خصصنا "ساعات محددة للدعم" يمكن لمديري المدارس خلالها إرسال استفساراتهم إلينا عبر تطبيق واتساب لنوافيهم بالرد عليها.

رصد التقدم المحرز. لقد استثمرنا في نُظُم البيانات لرصد ورش العمل والتدريب حتى نتمكن من المتابعة مع مديري المدارس وفق أهداف محددة. وشكَّلت هذه النُظُم الأساس لقياس مدى الفاعلية المحققة والتحسين المستمر لورش العمل الافتراضية. واخترنا قياس ثلاث عمليات: تفاعل المستخدمين، والتغير في السلوكيات، والنتائج. وجمعنا في هذا القياس بين استخدام مؤشر "صافي نقاط الترويج" والتعليقات النوعية وبيانات التنفيذ بعد كل مكالمة، واستطلعنا آراء الطلاب بهدف إنشاء نظام شامل للبيانات.

وفي ظل تطلعنا إلى إعادة فتح المدارس، سيعمل مديرو المدارس على صياغة التوجيهات الحكومية العامة في صورة استراتيجيات مجتمعية تلبي احتياجات الطلاب، ونرى في نهج التطوير المهني عبر الإنترنت لمديري المدارس نهجًا يسير التكلفة وقابلاً للتطوير من أجل إعداد الطلاب لمجابهة هذا التحدي في الهند.

*****

نبذة عن المؤلفين: بيدوريا سن هو الشريك المؤسس لمؤسسة "آلوكيت" (Alokit)، وآزاد أومن هو الشريك المؤسس لمؤسسة "Global School Leaders".

الاهتمام والرعاية في زمن "كوفيد-19"

لقطات موجزة من خطوط الدفاع الأمامية: التدخلات والممارسات والاستجابات السريعة

بقلم: روبين ويتاكر وغيل مكميلان

تواظب منظمة "Symphonia for South Africa" طيلة عشرة أعوام على تشجيع قيم المواطنة الإيجابية، وتعزيز التعاون بين القطاعات، وتكوين لحمة اجتماعية تصمد أمام المشكلات الحرجة التي تواجه جنوب إفريقيا، وخصصت برنامجها الرائد "شركاء الإمكانية" للتركيز على أزمة التعليم في البلاد.

يعمل هذا البرنامج على تنمية المهارات القيادية ويجمع في "شراكات فكرية" بين مديري المدارس التي تعاني من نقص الموارد وقادة الأعمال التجارية بهدف تنسيق التعاون والتعلّم المشترك، وذلك في مسيرة ريادية تهدف إلى إحداث التغيير من أجل تحقيق مستقبل أفضل لأطفال جنوب إفريقيا.

أتاحت جائحة كورونا الراهنة لهذا البرنامج العديد من الفرص، فالبرنامج مصمم خصيصًا لإعداد قيادات قادرة على التكيف مع الظروف المختلفة، ويعزز البرنامج من المرونة والإبداع ويطلق العنان لإمكانيات القيادات التي يمكنها إحداث تحول من بين مديري المدارس وقادة الأعمال التجارية، وإعدادهم ليصبحوا أدوات تغيير في البيئات المتقلبة والمضطربة والمعقدة والغامضة. ومن ثمَّ تمكِّن فريق التنفيذ والمشاركين الحاليين من التكيف السريع والناجح مع التغير الجذري المفاجئ الناتج عن الجائحة.

وعلاوةً على ما سبق، يركز البرنامج على بناء العلاقات وتقديم الدعم للأفراد، ونحن على يقين جازم أننا وفرنا الدعم الكافي لشركائنا، لا سيَّما مديرو المدارس، ونلتزم باتخاذ ما يلزم لتلبية احتياجاتهم.

وقد شملت استجابتنا للأزمة محاور أربعة، وهي:

1. إدارة الأزمة

تزامنًا مع بدء إجراءات الإغلاق، تواصلنا مع مديري البرنامج للوقوف على مخاوفهم الأساسية. وكانت على النحو التالي:

- انعدام الأمن الغذائي بين الطلاب وأسرهم.
- التوتر والقلق والصدمات النفسية.
- تحديات التعلُّم عن بُعد، لا سيَّما في ظل محدودية الاتصال.

شرعنا على الفور في تحديد الاحتياجات الغذائية وحصرنا الكميات اللازمة للأوساط المدرسية ضمن دائرة البرنامج وبالتعاون مع منظمات الإغاثة الغذائية لتسهيل عمليات التسليم للأسر، فسلمنَّا حتى هذه اللحظة أكثر من 20000 سلة / قسيمة غذائية، في ظل جهود غير مسبوقة من مديري البرنامج.

وفي الوقت نفسه، أصدرت الدكتورة لويز فان راين، الرئيس التنفيذي للمنظمة، سلسلة من أدوات الدعم التي تركز في المقام الأول على الرعاية الذاتية وذلك بهدف الحد من التوتر، والسلامة النفسية، وأساليب التكيف، وقد حظيت تلك الأدوات بتقدير كبير لما لها من أثر على كيفية دعم مديري المدارس للفرق العاملة معهم.

2. الاحتياجات الضرورية – الدعم والرعاية على المدى القصير

لقد حرصنا على ضمان التواصل مع شركائنا وبذل الدعم والتشجيع اللازم لهم، كما أطلعناهم على موارد كثيرة تخص كيفية تقديم الدعم للفرق العاملة معهم وإتاحة الموارد العملية والتعليمية لأوساطهم المدرسية.

كما تعاونَّا عن كثب مع مديري المدارس (لا سيمَّا من تنقصهم الخبرة في مجال التكنولوجيا) لزيادة معرفتهم بالتكنولوجيا وزيادة الشعور بالارتياح لديهم عند التعامل معها، حتى يظلّوا متصلين فعليًا بشبكة الإنترنت ويستفيدوا من الدعم المقدم لهم عبر الإنترنت، فأدى ذلك إلى سرعة تكيفهم مع التكنولوجيا التي لم تكن مألوفة لهم.

وشاركنا مع المدارس العديد من الموارد المفيدة عبر منصة "A Better Africa" لإدارة المعارف، وشملت تلك الموارد معلومات عن جائحة كورونا الراهنة؛ ومواد للتعلُّم عبر الإنترنت، ومعلومات عن دعم الفرق ودعم المجتمع؛ وإرشادات لإدارة برامج توزيع الغذاء وتجهيز المدارس لإعادة فتحها. وحظيت روابط هذه المواد بمشاركات كثيرة باستخدام أدوات سهلة مثل تطبيق واتساب.

3. إدارة التغيير - الاستجابة متوسطة الأجل

شكَّلت هذه الأزمة أيضًا تحديًا كبيرًا لبرنامجنا "شركاء الإمكانية" المُعدّ لتقديم الخدمات المباشرة، لكنَّنا أعدنا صياغة جميع أبعاد البرنامج لتمكين التشغيل الافتراضي للبرنامج (بما في ذلك اجتماعات الشراكة الفردية 1:1، والتدريب الرسمي، واجتماعات أوساط الممارسين) وزيادة الخبرة عبر الإنترنت التي يطورها المشاركون لدينا.

كما استعنّا بالتكنولوجيا لدعم وتعزيز الثقة والعلاقات، وتمكين الاتصال، وحصول الشركاء على الدعم الفعال. وحقق الشركاء مستويات مرتفعة من المشاركة مع التقدير البالغ للدعم الذي حصلوا عليه. وتمكَّن مديرو المدارس، على وجه الخصوص، من التأقلم والاستجابة بطرق لم يتخيلوها بفضل هذا البرنامج، أما قادة الأعمال التجارية فقد تعرضوا لتعقيدات غير مسبوقة، وصاروا ملمِّين بالاحتياجات الضرورية في أوساط كثيرة في جنوب إفريقيا.

4. التركيز على المستقبل - الاستجابة طويلة المدى

بالإضافة إلى عملنا على إعادة صياغة برنامجنا بهدف تنفيذه في ظل التباعد الاجتماعي، فقد راجعنا جميع عملياتنا لإطلاق شراكات جديدة وواصلنا الانخراط مع مجتمع الأعمال التجارية لأجل تشجيعهم على دعم التعليم من خلال إبرام الشراكة مع برنامجنا، وقد جاءت مشاركتهم إيجابية وبناءة في هذا الصدد.

وبدلاً من الانتظار حتى استئناف التنفيذ "الطبيعي" للبرنامج، فقد استطعنا – بعد أقل من ستة أسابيع من اندلاع هذه الأزمة – إبرام وإطلاق أكثر من 40 شراكة جديدة في مناطق مختلفة في جنوب إفريقيا، ودعمنا مديري المدارس حتى يكتسبوا المهارات اللازمة لتحقيق المشاركة الفعلية على شبكة الإنترنت، ونرى في مساعدتنا لهم على اكتساب الكفاءة التكنولوجية والثقة أعظم هدية استطعنا تقديمها في هذه الفترة.

لقد سلّطت جائحة كورونا الراهنة الضوء على أهمية العنصر البشري القادر على القيادة والابتكار، إلى جانب تزايد إدراك ضعف النُظُم ومرونة العنصر البشري. ومن ثمَّ، يلزمنا الحرص على توفير التعليم المتمحور حول الإنسان، لا سيَّما بعد أن أتيحت لنا الفرصة لندرك أن الثقة والرعاية وبناء العلاقات تمثل عناصر أساسية لتمكين قادة المدارس وفرق العمل والطلاب لا من مجاراة التعقيدات فحسب، بل من إحراز النجاح المنشود أيضًا.

*****

نبذة عن المؤلفين: تتولى روبين ويتاكر مسؤولية مشاركة الأطراف المعنية في برنامج "شركاء الإمكانية"، وغيل مكميلان هي عضو فريق الرصد والتقييم في منظمة "Symphonia for South Africa".

ما الذي نحمله في جعبتنا للأطفال المحرومين؟

بقلم: ديبورا كيماثي

في حين تنشغل الجهات الفاعلة في مجال التعليم في شتى أرجاء العالم بدراسة الأزمة الحالية، فإنني من أنصار إمكانية إعادة بناء مجال التعليم على نحو أفضل. ولذا أتساءل كيف يمكننا الاستفادة من الدروس المستقاة من هذه الأزمة للنهوض بمستوى الأداء بما يصب في مصلحة جميع الأطفال في المستقبل؟ وفي هذا السياق، هناك خمسة دروس رئيسة مستلهمة من تعامل مؤسسة ديجنيتاس المبدئي مع الأزمة، وهي مؤسسة معروفة بخبرتها الطويلة في هذا المجال.

وممّا هو معلوم أنّ ما يتعذر حسابه أو قياسه أو حتى الحديث عنه لا يحظى بالاهتمام اللازم؛ ولا بد من وجود بيانات يمكن الاسترشاد بها في إصدار القرارات المدعومة بالأدلة، وإلا فإن المسؤولين والقائمين على أمر الموارد المهمة لا يمكنهم استثمار صلاحياتهم ومواردهم على نحو آخر.

إننا ملزمون أخلاقيًا بوقف إهمال الأطفال تمامًا، وقد كشفت أزمة جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" عن وجود تفاوتات ممنهجة على مستوى العالم. والمعركة التي تخوضها مؤسسة ديجنيتاس في مجتمعات كثيرة في كينيا أثناء هذه الجائحة لا تخوضها طلبًا للراحة، بل من أجل البقاء، لا سيّما وأن جائحة كورونا الراهنة تسببت في مصاعب اجتماعية وصحية واقتصادية شديدة أضرّت بالمجتمعات الفقيرة أكثر من غيرها، حيث كانت هذه المجتمعات تعاني قبل جائحة كورونا الراهنة من عجز 63% من الأسر عن الحصول على التعليم العام، بسبب الفقر والإقصاء الممنهج، مع حرمان هذه الأسر أيضًا من الكثير من الخدمات الصحية والتعليمية الأساسية.

وكشف الاستبيان الذي أجريناه مؤخرًا أن 79% من الأسر في مجتمعاتنا ليس لها في الوقت الراهن دخل يكفيها، ومن الطبيعي أن يحتل التعليم المرتبة الثالثة في قائمة أكثر اهتماماتهم إلحاحًا، بعد الطعام والتغذية والأوضاع المالية للأسرة. وذكر 83% من المشاركين أن التعليم يعد من الاهتمامات الملحة لديهم، لكن ثمّة عقبات أخرى تواجههم، منها أن أولياء الأمور الذين أكملوا تعليمهم الثانوي تبلغ نسبتهم 35% فحسب، فيما لا يستطيع 71% منهم الحصول على الموارد التعليمية التي يبحثون عنها.

وهذا من شأنه أن يطرح أسئلة ملحّة وعاجلة بشأن "ما الذي يحمله المستقبل؟" وإذا أعادت المدارس فتح أبوابها، فهل سيكون الذين شاركوا في التعلّم عبر الإنترنت أو التعلُّم المنزلي "أفضل" من غيرهم؟ وكيف ستقيّم المدارس مستوى تقدم الطلاب، ومن ثمَّ إمكانية انتقالهم إلى العام الدراسي التالي؟ وكم عدد الفتيات اللاتي سيتزوجن أو يحملْن ويتوقفن عن الدراسة؟ وكم عدد الأسر التي سينتهي بها المطاف في الشارع ولن يعود أبناؤها إلى المدارس مطلقًا؟ وكم عدد الأطفال الذين سيموتون من الجوع؟ وكم عدد الأطفال الذين سيتعرضون للصدمات والعنف والقلق في هذه الأيام وسينقطعون عن التعلُّم للأبد؟

والواجب علينا أن نتعامل مع الأمر بطريقة استراتيجية وبوتيرة مناسبة وجودة متفردة. لقد أمضيت عشرين عامًا في التعليم وحماية الطفل في قطاع التنمية تعلمت فيها أن الجودة لا تعني المثالية، لكنها تعني الاستماع إلى مديري مدارسنا وطلابنا ومجتمعاتهم، ولن تتحقق الجودة إلا بمعية قادة المدارس والأسر والطلاب باعتبارهم أصدقاء وشركاء في النجاح، لا أن ينظر إليهم نظرة متعالية باعتبارهم جميعًا مجرد "مستفيدين"، كما لو كان التعلُّم وتحقيق القيمة والنمو أمور لا ينهض بها إلا طرف واحد. كذلك تعني الجودة التفكير الشمولي في الحلول وفقًا للأدلة. وليس الغرض من ذلك أن تتولى مؤسسة ديجنيتاس تحديد الخيارات، ولا تقرير الأرقام، ولا نيل الإشادة على جهودها؛ ولكن أن نسعى جميعًا سعيًا حثيثًا نحو تحقيق الأفضل لشركائنا.

ولن يمكننا إجراء تدخلات نوعية فاعلة بدون قوى عاملة جيدة. ولذا، ركزت توصيات مؤسسة ديجنيتاس إلى اللجنة الوطنية التعليمية للتعامل مع جائحة كورونا الراهنة في كينيا على ذلك؛ فالقيادة مهمة وكذلك الموارد البشرية داخل المنظومة، وإن لم نؤهل القوى العاملة ونمكنها، فإن أي تدخلات يتم اتخاذها ستكون مؤقتة وسطحية.

واجبنا اليوم أن نبتكر لا أن نمارس عملنا كما ألفناه، وعلينا أن نتخلص من الصندوق برمّته لا أن نقتصر على التفكير خارجه؛ فالابتكار وحده هو الذي سيفتح لنا أبواب الأمل والتفاؤل، وإلا فكيف لنا أن نقتصر على تغيير النُّظم التي عهدناها دومًا عاجزة وغير منصفة ومتغافلة عن الاحتياجات الاجتماعية والوجدانية لأبنائنا ومعلمينا ومديري مدارسنا؟

إن قوتنا تكمن في اتحادنا معًا، وقد وجدت مؤسسة ديجنيتاس في ذلك فرصة ثمينة للتعلُّم والتأثير. ومن ثمَّ سعت لعقد شراكات ومبادرات تعاون استراتيجية في مجال الأفكار والإجراءات العملية وتوفير الموارد لأجل التعامل الجيد مع الأزمات. وفور إغلاق المدارس، مدّت لنا مؤسسة جلوبال سكول ليدرز يد العون في استطلاع آراء 200 من قادة المدارس في كينيا تحت مظلة إحدى المبادرات العالمية. ومن خلال التعاون مع الجهات التعليمية الإقليمية الفاعلة في مبادرة التعليم الإقليمية الإفريقية، أسهمت مؤسسة ديجنيتاس في وضع قائمة من ثماني توصيات لتلبية احتياجات أبناء الفئات المهمشة خلال أزمة جائحة كورونا الراهنة.

وفي سياق اهتمام مؤسسة ديجنيتاس البالغ بهذه المبادئ الخمسة، وفي إطار السعي للوصول إلى الأطفال وتوفير الحماية لهم، تقدم المؤسسة في الوقت الحالي التدريب والتوجيه عن بُعد لعدد 300 معلم من رواد المجتمع الساعين لحماية وتعزيز تعلُّم ورفاه أبناء 6000 أسرة خلال فترة إغلاق المدارس. ورغم توقف عجلة الحياة، فلا زلنا في تعاملنا مع جائحة كورونا الراهنة حريصين كل الحرص على توفير فرصة مواتية لجميع الأطفال لإحراز التفوق والنجاح.

ختامًا، لم يعُد التعلُّم ولا القيادة التربوية حكرًا على أبنية المدارس. وعلينا الحرص على تطبيق هذه الدروس حتى نصل إلى الأطفال خارج المدارس بعد انتهاء فترة إغلاق المدارس بسبب جائحة كورونا الراهنة.

*****

نبذة عن المؤلفة: ديبورا كيماثي هي المديرة التنفيذية لمؤسسة ديجنيتاس.

الواقع المتغافَل عنه

بقلم: مارسيلو إنيا نيومان ولورينزو بينوسي

شاركنا على مدار الأشهر الماضية في العديد من نقاشات الموائد المستديرة والندوات عبر الإنترنت مع زملائنا من جميع أنحاء العالم، وقمنا بالدراسة والمقارنة بين تعامل الدول المختلفة مع جائحة كورونا الراهنة من منظور التعليم. كما تشرفنا في مؤسسة "Fondazione per la Scuola della Compagnia di San Paolo" مؤخرًا بعقد فعالية عبر الإنترنت، ضمت نخبة من أبرز المفكرين في مجال التعليم في الوقت الراهن، وقد أجمع الحضور على أن الأزمة الحالية تكشف عن فرصة لإعادة النظر جذريًا في النماذج التعليمية وبناء مستقبل أفضل عقب انجلائها.

إن الجمع بين مفهومي الأزمة والفرصة في سياق واحد، قد يبعث على الحيرة وعدم الارتياح، إذ ليس من الصواب أن نبتهج بالفرص الناتجة عن أزمة ما زلنا نعاني من آثارها المدمرة. وهذا للأسف يصدق على مجالنا خاصةً، وذلك إذا راعينا الأضرار الدائمة على الأطفال الأكثر فقرًا جرَّاء إغلاق المدارس، وإن كنا حتى الآن ليس لدينا تصور واضح عن نطاق هذا الضرر ومداه. لكنّنا نعلم علم اليقين أن التعلُّم عن بُعد يؤثر بصورة غير متكافئة على أفراد مجتمعنا التعليمي الذين لاقوا معاملة غير منصفة من جانب نُظمنا التعليمية، وأعني بذلك الأطفال المحرومين اجتماعيًا واقتصاديًا وذوي الاحتياجات التعليمية الخاصة وذوي الإعاقات.

وتدرك مؤسستنا أن نظامنا التعليمي قد خذل الأطفال الذين كانوا في أمسّ الحاجة إليه حتى قبل تفشي الجائحة. وفي الآونة الأخيرة، أدّى إغلاق المدارس إلى تفاقم تلك المشكلات وتعاظمها، ومن ثمَّ كثر النقاش بشأنها في وسائل الإعلام. وهذا في حد ذاته خبر سار أن تطرح مشكلة عدم التكافؤ المتجذرة في نظامنا الحالي في نقاش علني صريح؛ فهذه خطوة أولى لتصور نظام أكثر عدالة، وما يدعو للأسف أن هذا الأمر لم يحدث في وقت سابق قبل وقوع الأزمة.

ومن الخطوات الأخرى على المسار الصحيح الحسّ البطولي الذي أبداه المعلمون ومديرو المدارس والطلاب وأولياء الأمور حين انتقلوا فجأة إلى التعلُّم عن بُعد الذي ألجأتهم إليه الضرورة بسبب إغلاق المدارس (حيث أغلقت المدارس في إيطاليا منذ أوائل مارس). وبدعم من الحكومة ومؤسسات القطاع الثالث مثل مؤسستنا، سرعان ما تمكنت المدارس من نشر التقنيات الرقمية للتعليم والتعلُّم عن بُعد في أنحاء البلاد على نحو غير مسبوق.

وابتداءً من اليوم الأول لإغلاق المدارس الذي وافق الرابع من مارس، استطعنا تنظيم وتقديم أكثر من 40 حلقة دراسية عبر الإنترنت، من جانب المعلمين ولأجل المعلمين (وبلغ متوسط الحضور في كل حلقة أكثر من 1200 معلمٍ ومعلمة)، وناقشت هذه الحلقات خطط الدروس التي كنا نجمعها من المعلمين يوميًا، بالإضافة إلى أدلة توجيهية عن أيسر السُبل لتخطي العقبات التي تحول دون استخدام تقنيات البث وإدارة الفصول الدراسية عبر الإنترنت. وقد شكلت هذه الحلقات منصّة للمعلمين يدعمون فيها بعضهم بعضًا ويتشاركون الممارسات التربوية الفعالة منذ بداية حالة الطوارئ، وذلك قبل صدور أي ردود مؤسسية منظمة.
وعلى مدار أقل من أربعة أشهر، أنتجنا 61 ساعة من البث المباشر لمحتوى التطوير المهني استفاد منها أكثر من 50.600 مشارِك ومشارِكة، ووفرنا هذا المحتوى بالكامل في الوقت الحالي على مستودع بيانات شبكي مزود بمحرك بحث مخصص، لنتيح للمعلمين سرعة الحصول على إجابات لاحتياجاتهم التدريبية.

ومثلت تلك الحلقات أيضًا وسيلة لنا للتواصل المستمر مع المدارس ورصد التقدم الذي أحرزته تلك المدارس في الانتقال إلى التعلُّم عن بُعد، وكذلك لتحديد الاتجاهات السائدة في نظامنا المدرسي، والبحث عن أي مؤشرات للتركيز عليها في ظل تطور الأوضاع. وقد أتاحت لنا نقاشاتنا اليومية مع المدارس الوقوف على سلسلة من الآليات الإيجابية، والتي سنسعى جاهدين للحفاظ عليها بعد انتهاء الأزمة:

المدارس بوصفها مؤسسات تنموية: اعتمد المعلمون على معونة بعضهم بعضًا في اكتشاف مناهج تربوية جديدة واعتمادها للاستفادة منها في بيئة التعلُّم عن بُعد، وكذلك توثقت عري التعاون بين المعلمين ومديري المدارس.

طفرة في الكفاءة الرقمية في المنظومة التعليمية بأكملها: صار الاعتماد على تكنولوجيا التعليم (EdTech) ضرورة لا مجرد رغبة، وتحتم على جميع الجهات الفاعلة في المنظومة التعليمية التكيف مع هذا الأمر وتحسين كفاءاتهم الرقمية، والمؤمل من هذه الكفاءات أن تطلق العنان لمجموعة جديدة كاملة من الممارسات التربوية التي سينتفع بها العالم بعد جائحة كورونا الراهنة.

التركيز على المحاور الأكثر أهمية: أدّى إغلاق المدارس والتحول إلى التعلُّم عن بُعد إلى طرح جميع أبعاد التجربة التعليمية للنقاش العام وتجديد الوعي بأهمية تلك الأبعاد التي يصعب استنساخها في التعلُّم عن بُعد وذلك من قبيل الوظيفة الرعوية للمدارس، والوظيفة المجتمعية للمدارس، والتعلُّم بالممارسة، والتعلُّم مع الأقران.

وهذه النقطة الأخيرة تحديدًا تحظى بأهمية خاصة، لا سيّما في ظل تعطش الميدان التعليمي للمناقشة والحوار، مع إتاحة المجال لطرح الرؤى والنماذج الجديدة الطموحة التي تهتم بالمسائل الأكثر أهمية. وقد كشفت الأزمة عن إخفاقات بنيوية في نظامنا التعليمي لطالما كانت موجودة به مثل عدم التكافؤ في التعليم، وطرق التدريس المتقادمة، وانعدام التعاون الكافي بين مختلف الجهات الفاعلة في المنظومة التعليمية.

إنّ في طيات هذه الأزمة فرصة مواتية في إلقائها مزيدٍ من الضوء على هذه المشكلات وطرحها للنقاش العام والمداولة. ولم يعد بإمكاننا في الوقت الراهن تجاهل ذلك الواقع المتغافل عنه، ولا نأمل أن تؤدي الإجراءات الإضافية أو التعويضية إلى اختفائها. وحتى نحظى بنظام تعليمي يناسب الجميع، فإننا بحاجة إلى نظام تعليمي جديد، وقد آن الأوان أن نتصور معًا ماهية هذا النظام الجديد.

*****

نبذة عن المؤلفين: يعمل لورينزو بينوسي رئيسًا لقسم الابتكار بمؤسسة (Fondazione per la Scuola della Compagnia di San Paolo)، فيما يعمل مارسيلو إنيا نيومان مديرًا للبرامج بالمؤسسة.

التواصل من خلال التعلُّم المهني

بقلم: نادين تريبانييه

في إطار التعامل مع أزمة "كوفيد-19" الراهنة، قدّم مجلس مديري المدارس في أونتاريو جلسات تعلُم مهنية يومية لأعضائه من قيادات المدارس ومديريها بغض النظر عن المؤسسات التعليمية المنتسبين إليها، وذلك على إثر دراسة استقصائية موجزة أجراها المجلس. وقد لاقت هذه الجلسات قبولاً حسنًا ووفرت بعض فرص التعلُّم، لا لمديري المدارس وحدهم، بل ولأعضاء المجلس أنفسهم.

وعلى الرغم من تميز مقاطعة أونتاريو، فإنها لا تختلف كثيرًا عن المقاطعات الأخرى من حيث التعامل مع أزمة "كوفيد-19". وللوقوف جيدًا على تعامل المجلس المذكور مع هذه الأزمة، أوردنا في الشكل 1 الجدول الزمني لخطوات تعامل الحكومة مع الأزمة.

الشكل 1

الجدول الزمني لإعلانات وزارة التعليم في أونتاريو

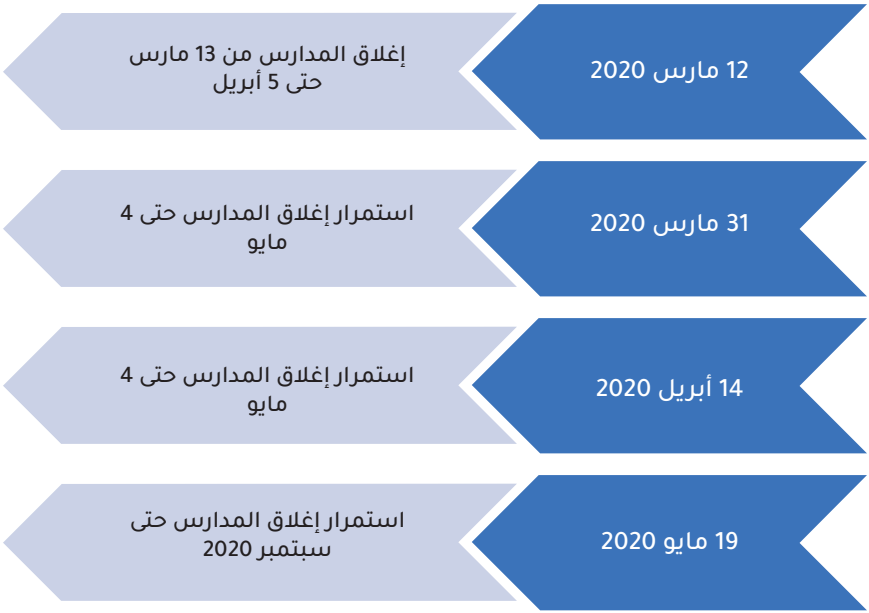

وفي اليوم التالي لإعلان الأول، بدأ المجلس في تقصّي أفضل طريقة لدعم أعضائه في هذه المرحلة غير المسبوقة. وخلال الأسبوع الذي تلا الإعلان الأول، تبنى المجلس نهجًا متعدد المسارات لدعم أعضائه، تضمن إجراء مكالمات أسبوعية مستمرة مع ممثلي أعضاء المناطق التعليمية لتفقد الحالة العامة وفهم المشكلات على أرض الواقع، ومواصلة تقديم الدعم المباشر في مواقف محددة، وعقد اجتماعات دورية مع شركاء التعليم، وتمثيل مديري المدارس والطلاب أمام وزارة التعليم، وزيادة التوعية بالبرنامج الصحي الذي يقدمه المجلس لجميع الأعضاء وأسرهم. وبالإضافة إلى ذلك، أولى المجلس عنايته لاحتياجات التدريب المهني لقادة المدارس ومديريها. وخلال الأسبوع الأول من إغلاق المدارس، تزامنًا مع قضاء الطلاب والموظفون عطلة الربيع، عقد المجلس دراسة استقصائية للتعرف على الاحتياجات التدريبية للأعضاء. وقد شارك في هذه الدراسة 9%، بزيادة هائلة عن معدّل المشاركة في الدراسة الاستقصائية المماثلة عن التدريب المهني المنعقدة في سبتمبر 2019 والذي بلغ حينئذٍ 1%. وعلم فريق التعلُّم المهني من هذه الدراسة الاستقصائية أن الأعضاء بحاجة إلى تدريب على استراتيجيات القيادة الخاصة بالتعليم عن بُعد في حالات الطوارئ، وعلم أصول التدريس، والأمور الإدارية، والشؤون الصحية.

لطالما حظي التعلُّم المهني باهتمام المجلس؛ ففي العادة يجري التخطيط لذلك التدريب قبل انعقاده بشهورٍ عدة، وتستغرق الابتكارات في التعلُّم المهني وقتًا حتى تنفيذها. وفي ظل هذه الظروف، لم يكن أمام المجلس متسع من الوقت، لا سيّما في وجود رغبة ملّحة لخدمة أعضائنا؛ فانطلقنا من نتائج الدراسة الاستقصائية وبدأنا عرض سلسلة تعليمية احترافية تحمل اسم "في الوقت المناسب" (Just in Time) في كل يوم ابتداءً من 1 أبريل 2020، بالإضافة إلى تدشين ثلاثة منتديات للقراءة. وجرى تحديد موضوعات كل جلسة من هذه الجلسات أولاً باستطلاع آراء المشاركين ثم من خلال نماذج التعليقات في كل جلسة. وكان يتولى إدارة تلك الجلسات أعضاء ذوو خبرة ومتعاقدون مستقلون ومتحدثون محترفون وباحثون، كان الموعد المقرر لبدء الجلسة في الساعة 8 صباحًا واتخذت صورًا متعددة حسب الموضوع المطروح: فعلى سبيل المثال، تستغرق ورش العمل ساعتين، فيما تستغرق الحلقات الدراسية عبر الإنترنت والمناقشات الجماعية ساعة واحدة. ورغم أن هذه الجلسات تستهدف في الأصل أعضاء المجلس، فهي متاحة مجانًا لجميع قادة المدارس. وجرى تسجيل جميع الجلسات ليشاهدها أعضاء المجلس على موقع الأعضاء وليشاهدها المسجلون بعد تزويدهم بالروابط على عنوان بريدهم الإلكتروني. ومنذ التاسع عشر من مايو الماضي، قل عدد الجلسات ليصير ثلاث جلسات أسبوعيًا حتى الأسبوع الثالث من يونيو 2020.

وقد استهدفت تلك الجلسات تزويد مديري المدارس ونائبيهم بفرص التعلُّم مع بعضهم بعضًا – ومن بعضهم بعضًا – أثناء التصدي لتلك الأزمة العالمية، إذ تنطوي كل جلسة على مشاركة ما لا يقل عن 20 مدير لها، وقد تضم الجلسة أكثر من 200 مشارك. وأظهرت تعليقات المشاركين أن تلك الجلسات تستهل يوميًا برسائل إيجابية وأنها ساهمت في إطلاع مديري المدارس ونائبيهم على المستجدات، وأجمع غالبية المشاركين على أن الجلسات ساعدتهم في الأمور المتعلقة بالجائحة الراهنة أو تلك المتعلقة بالممارسات القيادية لقادة المدارس، وكذلك أفاد المشاركون أن الجلسات أسهمت في شعورهم بالارتياح بفضل التواصل مع زملائهم خارج مناطقهم التعليمية وفتح نقاشات صريحة بخصوص بعض المشكلات التي يواجهونها في سياق عملهم كمسؤولين عند مشاركة ممارساتهم التربوية الخاصة.

كذلك حقق المجلس بعض المكتسبات المهمة من وراء هذه الجلسات، على رأسها إدراك أهمية تقديم تعليم احترافي يتجاوز دائرة الأعضاء وجسارة الابتكار في تلك الفرص، كما مثلت السلسلة في حد ذاتها فرصة تعليمية لفريق التعلُّم المهني في المجلس. وفي الوقت نفسه، أسهمت العديد من الجلسات الفردية في معرفة احتياجات التعلُّم المهني في المستقبل. وبفضل هذه الجلسات، سيتوسع المجلس في العروض التي سيقدمها إبّان فصل الخريف لتشمل عقد مناقشات دورية مع الباحثين وتبادل المجموعات الصغيرة بين الزملاء، بالإضافة إلى بعض مشروعات التعلُّم المهني المتعمقة التي ستدعم فِرق القادة والمديرين على مدار العام الدراسي.

إن روح الابتكار تكمن في المخاطرة والاستعداد للمجازفة والتعلُّم منها؛ ومتى ما وُجد فريق من المهنيين المتحمسين والمسؤولين المشاركين، يصير الابتكار ممكنًا. ويحدونا فخرٍ عظيم أن نتيح فرصًا جديدة للتعلُّم المهني تدعم عمل المديرين ونائبيهم أثناء عملهم لضمان النجاح الدراسي للطلاب وتحقيق الرفاه لهم.

*****

نبذة عن المؤلف: تشغل نادين تريبانييه منصب مديرة التعلُّم المهني في مجلس مديري المدارس في أونتاريو، وهي طالبة في مرحلة الدكتوراه في جامعة ويسترن..

منظمة علّم لأجل المغرب ومجابهة أزمة "كوفيد-19"

تحت شعار "حافظ على سلامتك وواظب على التعلُّم"

بقلم: محمد الإدريسي

فور العلم بتزايد حالات المصابين بفيروس "كوفيد-19"، أعلنت الحكومة المغربية في 13 مارس 2020 إغلاق جميع المدارس (من مرحلة رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والمدارس الشاملة والمدارس الخاصة) حتى إشعار آخر.

وفي إطار الاستجابة لهذه التغييرات، أطلقت منظمة "علِّم لأجل المغرب" خطة تدريس افتراضية لتعليم الأطفال الصغار تحت شعار "حافظ على سلامتك وواظب على التعلُّم" لضمان مواصلة نحو ألف طفلٍ في مرحلة الروضة دراستهم في الرياض التابعة للمنظمة أثناء الجائحة. وكانت الخطوة الأولى قيام فريق المنظمة بعقد عدة اجتماعات افتراضية مع الزملاء وأولياء الأمور وقادة المدارس وشركاء شبكة "علِّم لأجل الجميع" العالمية لمجابهة التحديات التي تحول دون تنفيذ التعليم الجيد عبر الإنترنت، لا سيّما في أوساط الطلاب الفقراء بالمناطق الريفية التي لا يلتحق من أطفالها الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و5 سنوات برياض الأطفال سوى 28% فقط (في حين يبلغ المتوسط في المغرب 43%). وعلى مدار هذه الاجتماعات الأولى، عمل المشاركون مع طاقم المنظمة على تحديد المشكلات وإيجاد الحلول لها واقتراح الخطط الملائمة تبعًا لذلك.

تهتم المنظمة بصحة ورفاه المجتمع المغربي بأكمله، ولذلك تتبنى نهجًا شاملاً لبناء استراتيجية التعامل مع تلك الأزمة ويشمل ذلك إشراك المسؤولين المحليين وأولياء الأمور في نهج العمل المتبع. وقد وضعنا خططًا مدتها 10 أسابيع حتى نتمكن من إرساء مخطط دعم واضح يستمر تقديمه حتى نهاية العام الدراسي.

وحتى قبل جائحة كورونا الراهنة، يرتبط معلمونا بعلاقات وثيقة مع أولياء الأمور، ويتواصلون معهم شخصيًا في كل يوم، وقد أعدّوا ملفّات تعريفية عن كل طالب تضم كافة المعلومات عن ظروفهم، وأسرهم، وأحوالهم المعيشية، ومستوى إلمام أولياء أمورهم بالقراءة والكتابة، وما إلى ذلك.

وأثناء هذه الجائحة، اعتمدت المنظمة اعتمادًا كبيرًا على تطبيق "واتساب" في تعليم الطلاب والتواصل معهم ومع أولياء أمورهم، وبرز التحدي الأكبر عقب إغلاق المدارس نظرًا للطبيعة المحافظة للمملكة المغربية، لا سيّما في المناطق الريفية، فكان من الصعب إقناع جميع أولياء الأمور بالانضمام إلى مجموعة واتساب للتعلُّم، كما لم يستوعب الكثير من أولياء الأمور قيمة التكنولوجيا وكيف يمكن مواصلة التعلُّم عبر هذه الآلية، ناهيك عن رفض المجتمع المغربي ثقافة التواصل مع الأمهات عبر تطبيق "واتساب".

وقد استفاد معلمونا من المعلومات التي جمعناها في ملفات طلابنا وذلك في التعرف على الأمهات والقادة المؤثرين في المجتمع، واستعّنا بهم في إقناع الأمهات الأخريات بالانضمام إلى مجموعاتنا على تطبيق واتساب، كما أتاح لنا استخدام التطبيق التنسيق مع أولياء الأمور الذين لا يحسنون القراءة والكتابة باستخدام رسائل التطبيق الصوتية.

بالإضافة إلى ذلك، أطلقت المنظمة منصّة تعلُّم إلكترونية على موقعنا الإلكتروني بطريقة مبتكرة للوصول إلى أولياء الأمور والسماح لهم بمشاهدة الدروس المرئية التي أعدها زملاؤنا دون الحاجة إلى تنزيل ملفات مرئية كبيرة الحجم على هواتفهم الذكية. وكذلك أطلقت المنظمة منصة للرسائل القصيرة تتيح لأولياء الأمور والطلاب متابعة الدروس عبر الرسائل القصيرة دون الحاجة إلى الاتصال بالإنترنت، وبفضل هذه الآلية، تمكنَّا أيضًا من الوصول إلى الطلاب خارج مجتمعنا المباشر، لا سيّما في ضوء تزايد طلب الحصول على الدعم في هذا السياق.

كما حرصنا على إطلاع شركائنا والجهات المانحة على الجهود التي بذلناها في إطار التعامل مع جائحة "كوفيد-19" الراهنة عبر تنظيم العديد من الاجتماعات الافتراضية، وإطلاعهم على أحدث المستجدات في المنظمة. وكذلك كان من ثمرات هذه الأزمة أن صار زملاؤنا من رموز المجتمع، إذ عمل كثير منهم على إعداد مقاطع مرئية لنشر المعلومات الضرورية وزيادة التوعية بشأن جائحة كورونا الراهنة. كما شاركوا الرسائل عبر مجموعات "واتساب" و"فيسبوك" عن كيفية غسل اليدين وكيفية أداء التمارين الرياضية وممارسة الرياضة من المنزل.

وكذلك أدرك فريق التوجيه والتقييم في المنظمة الأهمية البالغة لتعلم المهارات الاجتماعية والوجدانية أثناء هذه الجائحة. وفي إطار جهود المنظمة المبذولة لتلبية هذه الحاجة، فقد قدمت الدعم والتدريب للزملاء حتى يتمكنوا من نشر مبادئ التأقلم والتعاون والتعاطف والإبداع بين الطلاب. وكذلك أتاح لنا هذا الموقف فرصة لتعليم أولياء الأمور كيفية المشاركة في التحدث مع أطفالهم، وتسجيل المحادثات، وإرسالها إلى الزملاء في المنظمة طلبًا للتقييم والإرشاد.

ومن الثمرات الأخرى التي أسفرت عنها هذه الأزمة بالتبعية زيادة التعاون والتقدير المتبادل بين أولياء الأمور والمعلمين. فقبل هذه الجائحة، كان أولياء الأمور لا يعرفون سوى أسماء المعلمين ولا يلتقون بهم إلا لمدة خمس دقائق فحسب في اليوم عند تسليم أبنائهم وتسلُمهم من المدرسة، أما في الوقت الحالي، فقد ازداد تقدير أولياء الأمور لمعلمي أبنائهم وصاروا يخبرونهم بما يجري في حياتهم، ويطرحون عليهم الأسئلة، ويتواصلون معهم للاستنارة بمشورتهم في المسائل الأخرى.

ومن الأمور التي صارت جليّة في هذه الأزمة هو مدى أهمية العمل الذي نقوم به، وضرورة أن نتكاتف جميعًا في إنجازه، لا سيّما بعد أن صارت هذه الجهود أكثر أهمية من ذي قبل.

*****

نبذة عن المؤلف: محمد الإدريسي هو المؤسس والرئيس التنفيذي لمنظمة "علِّم لأجل المغرب".

موجز تجميعي
تعطُّل التعليم
قيادة النُظم التعليمية في أوقات الأزمات وعدم وضوح المسار

بقلم: أسماء الفضالة

على مدار الأشهر الأربعة الماضية التي اجتاح فيها فيروس كورونا شتّى دول العالم، لجأ العديد من السياسيين ووسائل الإعلام الإخبارية إلى استخدام استعارات الحروب وتعبيراتها المجازية لوصف التحديات التي تجابهها البُلدان والمجتمعات جرّاء تلك الجائحة. وقد تبنى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش هذا النهج في كلمته أمام القمة الافتراضية لمجموعة العشرين حول جائحة "كوفيد-19"، حيث قال: "إننا في حرب لم نكسبها ضد فيروس، وأدعو العالم إلى تبني منطق الحرب في مسعاه لمكافحة الجائحة".

وفي التعبير المجازي السابق، تشير كلمة "العدو" إلى "فيروس كوفيد-19"، وتتمثل الاستراتيجية المُطبّقة في خطوط الدفاع الأمامية المكافحة للفيروس في "تسطيح المنحنى" لإبطاء سرعة انتشار المرض من خلال فرض إجراءات الإغلاق؛ كما تشير كلمة الجنود إلى أبطالنا العاملين في الرعاية الصحية داخل المستشفيات والعيادات ممّن يصلون الليل بالنهار دون كلل للتخفيف من حدة المرض وإنقاذ حياة المرضى والمصابين.

وعلى غرار جميع الحروب – لا سيّما في ظل استمرار هذه الجائحة حتى الآن – نجد أنه كلما خبت جذوة منها اشتعلت أخرى؛ فلم تكد تنفرج أساريرنا بتسطيح منحنى المرض في بعض الأماكن إلا وعاجلتنا الجائحة بارتفاع منحنى الصعوبات الاقتصادية في أماكن أخرى، وصحب ذلك عواقب وخيمة ممتدة الأجل أضرّت بحياة الناس وبأرزاقهم. ولم يسلم التعليم بدوره من تلك العواقب؛ فمع استعدادنا لإمكانية فتح المدارس أبوابها مرةً أخرى – وهو ما يحدث بالفعل في بعض المناطق – تطالعنا بيانات الأشهر الثلاثة المنصرمة بمؤشرات على انحسار مستويات التعلُّم على نحوٍ غير مسبوق يهدد بضياع سنوات من التحصيل والنتاج العلمي عند أبنائنا، وبخاصةً الفئات الأقل حظًا من بينهم.

جديرٌ بالذكر أيضًا أنه في الوقت الذي يستعد فيه أبناؤنا الطلاب والمعلمون وقادة المدارس لبدء عامٍ دراسي جديد، يتساءل الكثيرون عمّا سيكون عليه شكل التعليم والتعلُّم في عالم ما بعد الجائحة الذي يتصف بغياب الرؤية الواضحة. ومن خلال البحوث التي أشرف عليها في مؤتمر "وايز"، تطالعنا البيانات مرةً بعد أخرى بأن القيادة المدرسية محور أساسي يضمن سلامة عمل النُّظم التعليمية. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن في ظل تفكك النموذج المدرسي بصورته المعهودة هو: هل أصبحت القيادة المدرسية أكثر أهمية من أي وقتٍ مضى لإعادة بناء نُظم أفضل وأكثر نجاعة؟

لقد نشرنا في العام الماضي تقريرًا وثيق الصلة بسياقنا الراهن، شاركنا في تأليفه مع البروفيسور جيمس سبيلان حول القيادة التربوية من منظور موزّع متعدد المستويات. وفي واقع الأمر، تمثلت إحدى النتائج غير المسبوقة لهذه الأزمة في ظهور توزيع متغاير النمط للأدوار التربوية المعهودة – شاملةً دور المعلم والمدير والطالب – على مستوى منظومة التعلُّم بأكملها، وذلك لضمان استمرارية التعلُّم خلال فترات الإغلاق الممتدة التي شهدتها المدارس. وعلى مدار فصل دراسي كامل، آل توزيع الأدوار من التسلسل الهرمي المعهود إلى المساواة في أداء الأدوار المنوطة بالجميع؛ وأصبح الطلاب وأولياء الأمور والمعلمون ومديري المدارس يشتركون معًا في قيادة عملية التعلُّم. ومع خروجنا من هذه الأزمة وبدء اتضاح معالم العام الدراسي الجديد عقب أزمة "كوفيد-19"، فإننا نتساءل عن كيفية التوزيع المستقبلي للأدوار والمسؤوليات المنوطة بكلٍ من المديرين والمعلمين والطلاب، وما هي جوانب التعليم التي سيجري تحديثها أو إعادتها إلى "سابق عهدها"؟

وفي أبريل من عام 2020، عقد مؤتمر "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" فعاليات الجزء الأول لمؤتمر "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره"، الذي ركّز تحديدًا على استعراض الاستجابات الفورية ومتوسطة الأجل لقطاع التعليم من جانب خطوط الدفاع الأمامية المكافحة لجائحة "كوفيد-19". وقد شهد هذا المؤتمر دعوة المختصين والباحثين وصانعي السياسات من جميع أنحاء العالم، حيث شاركونا بأفكارهم وآرائهم بشأن الأثر الذي أحدثته الجائحة في النُّظم التعليمية على مستوى العالم. ويشتمل هذا الجزء من الكتاب على مجموعة من المقالات المختارة لخمسة مؤلفين من المختصين والخبراء في مجال القيادة التربوية، وسبق لهم المشاركة في فعاليات المؤتمر في شهر أبريل. وتنشر هذه المقالات خلاصة أفكار وتجارب هؤلاء الخبراء التربويين، إلى جانب استعراض التداعيات الفورية والمتوسطة والطويلة الأجل لأزمة "كوفيد-19" على قيادة المدارس. وقد أسفرت المناقشات عن طرح طائفة من

الموضوعات التي تهم واضعي السياسات عند التفكير في كيفية إعادة بناء نُظمهم على نحو أفضل، وهذه الموضوعات تشمل:

1. الأهمية المحورية للرفاه والتعلُّم الاجتماعي والوجداني والمناهج الخفية في التعليم: من بين الأمور التي تطالعنا مرارًا وتكرارًا في خضّم هذه الأزمة هو أن التعليم تجربة اجتماعية، وأن بعضًا من سحر التعلُّم يتأتى من خلال التواصل بين الطلاب ومعلّميهم وكذلك بين الطلاب وأقرانهم. وثمّة اتفاق بين جميع أفراد هذا العمل بأن الرفاه يجب أن يكون هدفًا أساسيًا للتعليم، حتى نتمكن من مساعدة الأفراد في التأقلم وعيش حياة مُرضية حتى في أوقات الشدائد. ولا يجب أن نكتفي بتنمية مهاراتنا الدراسية فحسب داخل المدارس، بل علينا اكتساب المهارات والكفاءات اللازمة التي تكفل لنا التعامل مع تحديات الحياة بصورة فعّالة؛ وينبغي لنا كذلك المواظبة على التعلُّم والعيش والازدهار حتى في خضّم الأزمات.

وتسلّط ديبورا نيتوليكي الضوء على هذه النقطة في طيات مقالتها بعنوان "دفع مسيرة التعليم من التعطُّل إلى الوضع الاعتيادي المأمول"، حيث تتناول ضرورة الاهتمام برفاه الطلاب والمعلمين خلال هذه الأزمة عن ذي قبل، مضيفةً بأن المعلمين في موقف بالغ الصعوبة، ولذا يتعين علينا التفكير في تطبيق الجوانب الإنسانية أولاً قبل الشروع في التعلُّم.

في السياق ذاته، توضّح دانييلا لابرا كارديرو – المديرة التنفيذية لمنظمة " أتينتامينتي" المختصة بالتعليم الاجتماعي والوجداني – أن جائحة كوفيد-19 قد كشفت عن ضرورة نشر التعلُّم الاجتماعي والوجداني بين المتعلمين صغارًا وكبارًا على حدٍّ سواء، محذرةً من أن هذه الأزمة قد تسبّبت في انتشار الأمراض والمشكلات النفسية بين الجميع، ومن بينها الاكتئاب والتوتر. وتشاطرها دانييلا هذا الرأي، وتؤكد معها على ضرورة إعادة العنصر البشري إلى مسار العملية التعليمية، وذلك حتى نعلم شبابنا ليكونوا أكثر قدرة على التعايش مع أنفسهم ومع الآخرين ومع مجتمعهم وبيئتهم بوجه عام.

2. الدور الذي يضطلع به المعلمون بوصفهم داعمين وشركاء في تصميم العملية التعليمية: من بين الأمور التي عاينتها من خلال تبني وجهة نظر المعلم في هذه الأزمة هو الدور المهم الذي يسهم به تعاون المعلّم – والتعاون هنا لا ينشأ بين المعلمين فحسب، وإنّما أيضًا بين المعلمين ومديري المدارس وأولياء الأمور وحتى صانعي السياسات. ولطالما شكّل التعاون محورًا أساسيًا في جميع مجالات الاستجابات الناجعة في مجال التعليم في مواجهة هذه الأزمة. وقد رأيت من خلال أبحاثي الخاصة وعملي مع المدارس قوة مثل هذا التعاون حتى في الأوقات العادية. ومن ثَمَّ، ينبغي تقديم الدعم للمعلمين ومديري المدارس وتمكينهم والترحيب بهم في سياق وضع السياسات التعليمية بوصفهم داعمين وشركاء في صياغتها؛ فالبيروقراطية التي تبدأ من القمة منتهيةً بالقاعدة من شأنها كبت روح الإبداع والابتكار والتغيير داخل الصفوف الدراسية.

تدعم ديبورا نيتوليكي هذا الرأي في مقالتها، كما تتناول من خلال اقتباسها الموفق لرواية "مغامرات أليس في بلاد العجائب" لمؤلفها لويس كارول موضوع قدرة المعلم وملكاته في القيادة خلال الأزمات. وفي هذا السياق أوضحت ديبورا قائلةً: "في نهاية رواية كارول، رفضت أليس الرضوخ لنفوذ الملكة الحمراء، بعد أن أدركت "هزلية" المحاكمة وأن لديها القدرة على كبح جماح جنونها ". وبالتالي، فإن سيناريو جائحة كورونا الراهنة قد منح المعلمين الفرصة لإدراك قدرتهم على العمل والابتكار. ويحتاج المعلمون في قيادتهم لهذه الأزمة إلى بذل سُبُل الدعم لهم وتمكينهم من ابتكار حلول خاصة بهم من أجل التغلُّب على التحديات التي تعترض سبيلهم.

في السياق ذاته، كتب غريغوري جيه. مونكادا – مدير أكاديمية قطر للعلوم والتكنولوجيا – في مقالته أنه على الرغم من أن المدرسة تبذل قصارى جهدها في التخطيط المتقدم وتعزيز التطوير المهني وقنوات الاتصال المفتوحة، فإن طريقة المعلم في التفكير والتعامل مع عملية التعلُّم خلال هذه الأزمة قد تبلورت في النهاية من خلال التجارب والأفكار المطروحة داخل المدرسة. ويرى بالتالي أن تشجيع المعلمين على البناء على تلك التجارب وطرح الحلول التي تفيد الطلاب وإبراز تلك التجارب داخل المدرسة، قد مكّنهم من الارتقاء بمستوى تعلُّم الطلاب وتعزيز رفاههم أثناء الأزمة.

3. إمكانية وضرورة إعادة تصوُّر التعليم: لم يستطع التعليم مواكبة ركب قطاعي الأعمال والصناعة من حيث القدرة على التكيُّف والابتكار، وقد أتاحت لنا هذه الأزمة فرصة سانحة لتغيير ذلك؛ فهذا هو الوقت الملائم لاتخاذ الخطوات الجديدة وتجرِبة الأفكار وطرح الحلول المبتكرة على أرض الواقع. ومن رحم المعاناة التي تسبّبت فيها هذه الجائحة، لاحت بارقة أمل نحو بناء منظومة تعليمية أفضل. وللمرة الأولى منذ 150 عامًا، يتسنّى لنا القضاء على النموذج الصناعي الذي شاب التعليم وأن نفكر في وضع نماذج مبتكرة.

تشكّل مسألة التقييم أحد الموضوعات التي غالبًا ما تكون مصدرًا للنقاش الحاد، بل وحتى اللاذع، في الأوساط التعليمية، حتى قبل تفشّي الجائحة. فقد دخل المعلمون وصانعو السياسات في نقاش لسنوات حول ماهية التقييم وكيفيته وسبب إجرائه، واتفقوا إلى حدٍّ كبير على ضرورة التغيير، ولكن بإجماع ضئيل أو معدوم على الشكل الذي يجب أن يبدو عليه هذا التغيير وكيف ينبغي تنفيذه. وذكرت بياتريز بونت في مقالتها المعنونة "إعادة تصوُّر التقييم" أن هذه الأزمة توفر لنا فرصة نادرة لإلقاء نظرة ناقدة على مسألة التقييم والابتكار. وقد عمدت العديد من النُّظم على مستوى العالم إلى تغيير دورات التقييم الاعتيادية أو حتى إسقاطها تمامًا أثناء الجائحة. فقد تُركت للمدارس مسألة إيجاد طرق جديدة ومبتكرة لقياس مدى تعلُّم الطلاب، ما يتيح بدوره إمكانية تصميم وتطوير أساليب جديدة. وسيحتاج قادة النظام إلى تحديد الأبعاد المستقبلية لعملية التقييم مع خروجنا من هذه الأزمة. لكننا قد نجد أن هذا الوقت الذي يسوده الابتكار والتفكير الجديد ينطوي على تأثير يتجاوز الأزمة نفسها بصورة كبيرة.

إن إعادة تصوُّر التعليم في دولة كالصين مثلاً تعني مستقبلاً يؤول فيه الذكاء الاصطناعي إلى واقع ملموس. وهنا يتساءل جيانغ تشيا تشن في مقالته بعنوان "ما بعد جائحة كوفيد-19" عن إمكانية تطبيق الذكاء الاصطناعي في التعليم الصيني؛ ذلك أنه في سياق دولة مثل الصين، يمكن أن يُساعد الاستثمار في الذكاء الاصطناعي المستند إلى أسباب وجيهة في بناء نظام أفضل وأكثر فعالية، بما يشمل تطوير المعلمين وتمكين التعاون بين المدارس في المناطق الحضرية والريفية. ويُضيف أنه على الرغم من رغبة صانعي السياسة الصينيين في تطبيق الذكاء الاصطناعي في التعليم على مدى سنوات، فإن مجال تكنولوجيا التعليم (EdTech) يعاني من التجزئة والانقسام بحيث لا يمكن تطبيق الذكاء الاصطناعي عليه في إطار منهجي. وتكشف أزمة كورونا الراهنة عن فرصة مواتية لواضعي السياسات من أجل التدخل وتعزيز مختلف منصّات تكنولوجيا التعليم التي تسيطر عليها الحكومات المحلية في البلاد.

4. ما نوع القيادة الذي نحتاج إليه؟ يبدو لي جليًّا أنّنا نحتاج إلى ترتيب أولويات القيم من جديد لكي يتسنى لنا قيادة المدارس والنُّظم التعليمية خلال أزمة جائحة كورونا الراهنة. فقد تحولت المحادثات بين صانعي السياسات والخبراء في مجال التعليم حتى قبل جائحة كورونا الراهنة صوب بناء نموذج تعليمي يناسب القرن الحادي والعشرين، وهو نموذج يجمع بين اكتساب المهارات الدراسية وبناء الكفاءات السلوكية مثل تعزيز القدرات والتعاون وحل المشكلات والإبداع والتعلم مدى الحياة. وسينتج عن تطبيق هذا النهج - ما يُسمى بمُتعلّم القرن الحادي والعشرين- تنشئة مُتعلّم يتسم بالمرونة والسرعة والتعاون في حل المشكلات ولديه القدرة

على مواجهة التحديات التي يشهدها عالمنا المتغير. وإذا كنّا قد تعلمنا شيئًا من جائحة كورونا الراهنة، فهو المبادرة إلى تطبيق مثل هذا النهج الاستشرافي؛ ففي عالم قد يتعطّل فيه التعليم المدرسي أو يتوقف كليةً بين عشية وضحاها، فإن قدرة الطلاب وتمكنهم من حل المشكلات ستسهم في تطوير مهاراتهم بدلاً اللجوء إلى استظهار الحقائق وسردها دون فهم.

وإذا كنّا جادّين في تسريع وتيرة الارتقاء بنظمنا التعليمية، فمن الضروري أيضًا مراعاة الآثار المترتبة على المعلمين ومديري المدارس. وقد أظهرت أزمة كورونا الراهنة أن التغيير الجذري في التعليم يمكن أن يحدث، غير أنّنا بحاجة إلى القادة المناسبين لإنجاح هذا التغيير.

ويشير غريغوري مونكادا في مقالته حول قيادة المدارس في أوقات الأزمات إلى مصطلح "قيادة الجاهزية"، مبيّنًا أن الدور المنوط بهذه القيادة هو الإلمام بكيفية التعامل مع السياق الاستثنائي للأزمات، وانطوت تجربته في هذا السياق على الاستعانة بالبيانات لدعم الإجراءات المُتخذة والحرص على استخدام مجموعة متنوعة من أدوات التواصل. ويضيف مونكادا بأن هذه الطريقة قد ساعدت فريقه من المعلمين على إحراز التقدم بخطى واثقة في أوقات غياب الرؤية الواضحة والافتقار إلى الإجابات المطلوبة.

كما تتناول بياتريز بونت في مقالتها الدور الذي اضطلعت به فرق القيادة بهدف تهيئة بيئات داعمة للمعلمين والطلاب وأولياء الأمور إبّان الجائحة. وفي أوقات الأزمات التي يخيّم عليها الغموض وانعدام الرؤية المستقبلية، أتاح تشكيل فرق القيادة ذات الأدوار والمسؤوليات المشتركة للمدارس والمجتمعات وسيلة ناجعة للدعم والترابط فيما بينها.

وعلى نفس المنوال، تدعو دانييلا لابرا كارديرو في مقالتها إلى تبني مفهوم "القيادة المُحفِّزة" – وهو مصطلح دأب على استخدامه التربوي مايكل فولان وغيره – لقيادة فريق العمل خروجًا من الأزمة. وترى دانييلا أن الدور الأساسي لمديري المدارس في أوقات الأزمات ينبغي أن يتجسد في الحفاظ على روح الانتماء والترابط بين المجتمعات التعليمية. وعلى مديري المدارس، في سياق القيادة المُحفِّزة، أن يروا أنفسهم كمتعلمين مع تقديم الدعم للمعلمين في بناء مجتمع طلابي قوامه الثقة وبناء العلاقات الصحية.

ختامًا، يتضح جليًّا اتفاق جميع مؤلفينا المشاركين في إعداد هذا الكتاب بشأن التغييرات التي يتعين القيام بها لتحسين نُظمنا، ونوع القادة التربويين الذين نحتاج إليهم في مدارسنا. ويبقى السؤال الأخير الآن: كيف نمضي قُدمًا؟ ومع معرفتنا لنوعية التعليم المطلوبة، علينا أن نوجه تركيزنا صوب "كيفية" بناء النُّظم الناجعة في المستقبل.

*****

نبذة عن المؤلفة: تشغل الدكتورة أسماء الفضالة منصب مدير إدارة البحوث وتطوير المحتوى في مؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم "وايز"

قيادة الجاهزية

بقلم: غريغوري جيه. مونكادا

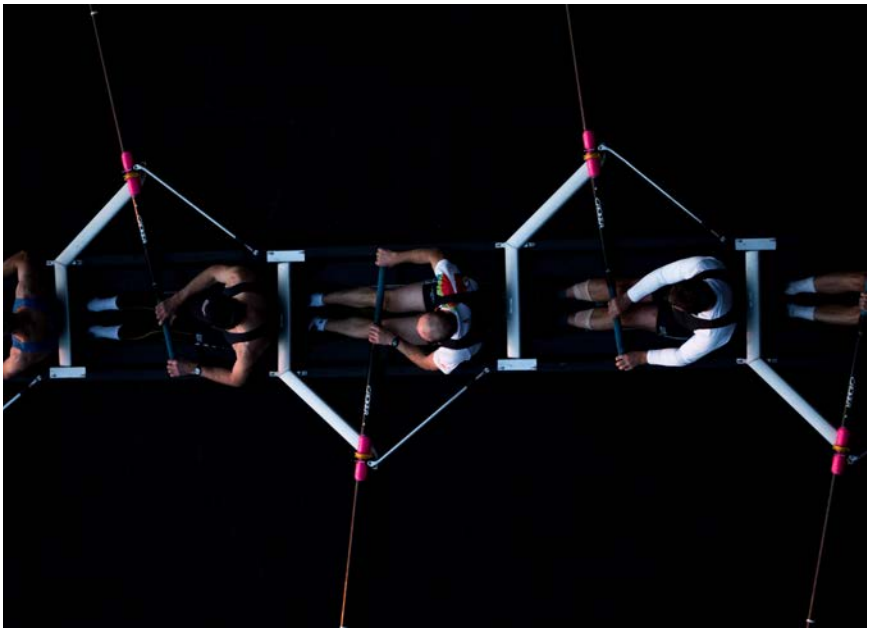

شكّلت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" بوتقة انصهرت فيها الممارسات التعليمية في جميع أنحاء العالم. وفي أكاديمية قطر للعلوم والتكنولوجيا، لم تختلف الجهود الرامية نحو التحول السريع والاستجابة لاحتياجات طلابنا ومعلمينا ومجتمعاتنا.

وقد راودنا شعور بأننا ملمّون بكافة المحاور والمستجدات وأن الإجراءات الأولية التي اتخذتها الأكاديمية تمضي بسلاسة، لكن سرعان ما تكشف لنا في غضون أيام قلائل أن طريقة تفكيرنا في ماهية التعلُّم الفعال لم تكن كافية. وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهدنا، واستعنّا بالتخطيط المتقدم، والتطوير المهني، وخطوط الاتصال المفتوحة، فإنّ طريقة تفكيرنا عن التعلُّم عن بُعد تبلورت من خلال الأفكار المطروحة داخل الأكاديمية. ولحسن الحظ أن عملنا وفق نهج الاستعداد والجاهزية التي أتاحت لنا إجراء سلسلة متتابعة سريعة من التغييرات أدّت إلى تحسين تعلم الطلاب وزيادة رفاههم.

كذلك، بادرنا في الأكاديمية إلى تطبيق معيارٍ جديد للممارسات الإدارية يعرف باسم "قيادة الجاهزية" دون أن تكون لدينا معرفة فعلية بماهيته. وفي إطار جهودنا الرامية لمعرفة كيفية التعامل مع جائحة كورونا الراهنة، كنّا نبادر إلى استخدام أدوات البيانات والاتصال، وقد ساعدتنا تلك الاستعدادات في أن نتحرك بخطى واثقة رغم عدم إلمامنا بجميع الإجابات اللازمة.

تقوم فكرة قيادة الجاهزية على فرضية استحالة التنبؤ بالمستقبل، ومن ثمَّ استحالة الجاهزية بمفهومها الكامل. لكنّنا أدركنا أننا يمكننا مواكبة الأحداث واستخدام أحدث أنظمة التسليم عبر الإنترنت وخطوط الاتصال والأدوات الرقمية الأخرى. ولكي يتسنى لنا مواكبة مجريات الأحداث، فقد لمسنا احتياجنا إلى المعلومات عن الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور والمجتمع؛ فالقرارات التي نتخذها تنبثق من رسالة أكاديميتنا.

ومن ثم، تشكّلت لدينا أربع أولويات: (1) ضمان توفير التعليم والرفاه لطلابنا؛ (2) دعم رفاه معلمينا من خلال التدريب والمناقشات التفاعلية، (3) التواصل المبكر والصريح والمتبادل مع أولياء الأمور، (4) الجمع المكثف للمعلومات داخل مدرستنا ومن المدارس المشابهة ومن المجتمع الدولي.

إننا ننحو في نهجنا مسلك تبادل البيانات والمراسلات، ولذلك أنشأنا مجموعة مراسلات نصية مع أعضاء الإدارات المختلفة في مؤسستنا ممن تربطهم علاقات مع الشركات والمعلمين في الدول التي تعاني من جائحة كورونا الراهنة ومع سفاراتنا المحلية. وقد أتاح لنا ذلك الحصول على معلومات ومناقشات آنية مع مجتمعنا وتطوير وسائل موثوقة للتعامل مع بعض السيناريوهات المحتملة. وعلى الرغم من عدم تمكننا من تقديم أي تنبؤات، فقد تعاظمت ثقتنا في رسالتنا وسُبُل التعاطي مع التحديات التي كنا نتوخاها. وتنبأت مراسلاتنا مع الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور بالتحول إلى التعلُّم عن بُعد، وقد أدّى هذا الوضوح بدوره إلى تعزيز ثقة طلابنا ومعلمينا وأولياء الأمور بقدر كبير.

كذلك، أدركنا قبل أسابيع من شروعنا في هذا التحول عجزنا التامّ عن تحقيق الجاهزية الكافية في ظل وجود العديد من المتغيرات. وطرحنا بعض الأسئلة على شاكلة: ما الذي يحتاج طلابنا إلى معرفته عن المنصّات الرقمية؟ وكيف يمكننا تقديم أنشطتنا العملية؟ وكيف نقيّم عمل الطلاب؟ وهل معلمونا على استعداد لتقديم الدروس عبر الإنترنت؟ وهل بإمكاننا تدريبهم واختبار جاهزيتهم؟ وما الذي يحتاج المعلمون أن يتعلموه؟ وما الذي سنطلع عليه أولياء الأمور؟ كانت هذه الأسئلة وغيرها الكثير مفهومة، ما أمكننا من جمع البيانات اللازمة والعمل عليها قبل الشروع في التعلُّم عن بُعد. وبذلك ارتأينا مواكبتنا لمجريات الأحداث، علاوةً على جاهزيتنا لمعالجة دقائق المسائل التي لم نتمكن من الإلمام بكل ما بها.

وفور تحولنا إلى مسار التعلُّم عن بُعد، تسببت الضبابية التي صاحبت التغيير المتسارع في قصر نظرنا وتركيزنا على حل المشكلات اللحظية. وكان جدولنا اليومي الأول مشابهًا لجدول الدراسة الفعلية، ما أرهق طلابنا ومعلمينا على حدٍّ سواء. وقد حالت ساعات التحضير للدروس والإعداد لها دون تقديم معلمينا أفضل ما لديهم، وبدأ الطلاب يتأخرون في تقديم واجباتهم وتدنت جودتها، وذكر معلمونا إنهم يعملون على مدار الساعة للوفاء بالتزاماتهم. وقد أدّى هذا الضغط إلى انقطاع الطلاب والمعلمين عن مواصلة التعليم بهذا النسق؛ فكان لا بد لنا من المسارعة بالتغيير.

ثمّ تلاشت تلك الضبابية بعد أن استطلعنا آراء الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور في اليوم الثالث من التعلُّم عن بُعد. صحيحٌ أن استطلاع الآراء في مثل هذا الوقت المبكر لم يكن منطقيًا في حينه، لكن وبإمعان النظر تبين أنه كان الابتكار الحقيقي الوحيد الذي حقق النجاح المطلوب. كانت البيانات المتوفرة هائلة وكاشفة، وقبل أن ينفر المعلمون من التغيير دربناهم على منصة تعليمية أكثر إفادةً ثم شرعنا في إجراء هذه التغييرات بعد مرور عدة أيام، كما عمدنا إلى تغيير

إرشاداتنا المتعلقة بأوقات الدراسة والواجبات المنزلية والصفوف المتزامنة وعدد كبير من الممارسات التربوية الأخرى. ثم كررنا ذلك مرة أخرى في الأسبوع التالي؛ وفي غضون أسبوعين، وقفنا على مسار تدريسي وتعليمي يحث على الرأفة والتعاطف وزاخر بالفوائد التعليمية ونابع من صميم رسالة الأكاديمية.

إنّ النهج الذي نتبعه يتقيد بمضمون رسالتنا بوصفنا مدرسة معنية بالعلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات تسعى للإسهام في إحراز الأهداف طويلة الأجل عملاً على رفعة دولة قطر. كما صمّم طلابنا نماذج أولية مطبوعة لمعدّات الوقاية الشخصية باستخدام الطابعات ثلاثية الأبعاد لدى الأكاديمية، وكذلك أعدّ الطلاب مقاطع تثقيف مرئية عن كيفية توخي السلامة عند الذهاب إلى المتاجر مع الامتثال للإجراءات الطبية السليمة وبناءً على المعلومات الموثوقة بشأن انتشار الفيروس. لقد أولينا رفاه الطلاب والمعلمين أهمية قصوى، وتواصل فريقنا الإداري مع أولياء الأمور لإيجاد السُبُل الملائمة لتوفير الدعم لجميع الطلاب، وعقدنا جلسات استشارية أسبوعية تناولت معالجة الضغوط التي يتعرض لها الطلاب، وعقد كل مسؤول ومستشار جلسات أسبوعية للمعلمين والطلاب وأولياء الأمور. وحتى هذه اللحظة ما زال طلابنا يتعلمون وتتقدم مستوياتهم، فيما ازدادت كفاءة معلمينا في استخدام ثلاثة نظم على الأقل من نظم عقد المؤتمرات المرئية، ما أسفر بدوره عن ظهور توازن جديد بين العمل وإعمال الفكر.

ونحن نتدارس حاليًا المسائل الجديرة بالإبقاء عليها حين نخرج من منازلنا ونبدأ الدراسة داخل المدارس مرة أخرى، وكيف سنستعد للأوضاع الاعتيادية الجديدة قبل تلقي اللقاح؟ وبفضل عقلية الجاهزية واستباق المستقبل، لن نستطيع التنبؤ بالتحدي المقبل، لكننا سنكون على أهبة الاستعداد للتعامل معه.

*****

نبذة عن المؤلف: غريغوري جيه. مونكادا هو المدير المؤسس لأكاديمية قطر للعلوم والتكنولوجيا.

دفع مسيرة التعليم من التعطُّل إلى "الوضع الاعتيادي المأمول"

بقلم: ديبورا إم. نيتوليكي

مضاعفة سرعة السير

شهد عام 2020 اضطرابات في قطاعات كثيرة على مستوى العالم بطرقٍ لم نكن نتخيلها ونحن نستقبل بداية هذا العام؛ وكان التعليم من بين المجالات التي شهدت إصلاحات اقتضت الضرورة تسريع وتيرتها، مما حدا بالبعض أن يصف الأمر كما لو كان بمثابة "بناء طائرة وهي تطير".

لقد سبق لي أن طالعت في رواية مغامرات أليس في بلاد العجائب للكاتب لويس كارول نصًا يرمز إلى التعليم والقيادة المدرسية (نيتوليكي، 2015، 2016، 2019)، وأنا هنا أستخدم هذا النص كنقطة انطلاق لاستكشاف سُبُل قيادة التعليم وقت الجائحة. ففي الرواية، قالت الملكة الحمراء لأليس: "إن أردت أن تظلين في نفس المكان، فاركضي بسرعتك المعتادة، وإذا أردت الوصول إلى مكان آخر، فلا أقل من أن تضاعفي سرعة ركضك!"

أدّت جائحة "كوفيد-19" الراهنة إلى مضاعفة وتيرة سير المعلمين في تعليم الطلاب في ظل التغيرات التي طرأت على عالمنا والتي بدت أحيانًا ضربًا من الخيال كما لو كنّا نعيش في بلاد العجائب. فأدركنا في بعض الجوانب غياب معقولية "التعليم العادي" وصرنا نتساءل عن أسباب ما كنا نفعله دومًا. وشعر المعلمون في عام 2020 بوجود تشابه بين قصتهم وقصة أليس التي سقطت في حفرة أرنب عميقة انتهت بها إلى عالم من الخيال لم تألفه من قبل. لقد كنّا في حراك مستمر ومع ذلك كنا في نفس الوقت نبتكر النماذج الأولية والاختبارات، ونعمل على تحسين طرق التدريس الجديدة، والتقنيات، والنماذج الرعوية مع الطلاب.

بالغ الكبر ومتناهي الصغر

المطالع لرواية مغامرات أليس يكتشف أن شخصيتها كانت تنمو وتصغر؛ ففي أكثر الأحيان تجد نفسها أكبر كثيرًا أو أصغر كثيرًا من المحيطين بها. ولعلّ ذلك يماثل ما فعلته جائحة كورونا الراهنة بنا من قلب عالمنا رأسًا على عقب، وما أثارته من تساؤلات عن مشاعر الارتباط والانتماء لدينا، ناهيك عن شعور العديد من الطلاب والأسر والمعلمين بالانفصال عن الواقع الحالي أو عدم التأقلم معه.

وبات لزامًا على المعلمين في الوقت الحالي أكثر من ذي قبل أن ينتبهوا لمراعاة احتياجات الأطفال قبل تعليمهم (دوسيت وآخرون، 2020). وهذا يعني أنه يلزمنا تقديم السلامة والصحة والرفاه على التعليم النظامي والمناهج وطرق التدريس، وخاصةً ما يتصل منها بمسألة التقييم، ولا بد من الاهتمام بالمجتمع والترابط وبناء العلاقات عند تطبيق القرارات والممارسات التعليمية. فهذا هو الوقت المناسب لإعطاء الأولوية لمبادئ الإنسانية في التعليم على أي شيء آخر، وذلك من منطلق السعي لإدراك الظروف المعقدة لأفراد مجتمعاتنا والتكيّف معها.

قوة الإصلاح

في نهاية رواية كارول، رفضت أليس الرضوخ لنفوذ الملكة الحمراء، بعد أن أدركت "هزلية" المحاكمة وأن لديها القدرة على كبح جماح جنونها.

وعلى غرار ذلك، أتاح سيناريو جائحة كورونا الراهنة للمعلمين فرصة إدراك قدرتهم على العمل والابتكار، فإحداث تحول في التعلُّم المهني لن يقع ونحن راضون عن أنفسنا قانعون بما نفعله؛ ولكنّه يقع في الغالب حين نشعر بالانزعاج الشديد (نيتوليكي، 2020 ب). ويؤكد أنصار قلب النظام التعليمي (إيفرز وكنيبير، 2016؛ريكروفت-سميث ودوتوت، 2018؛ نيتوليكي وآخرون، 2019) أنه لا بد من دعم المهنيين داخل المدارس وتمكينهم والترحيب بهم في الخطاب السياسي، لا فرضهم عبر نظام بيروقراطي هرمي يقوم على إسناد المسؤوليات من أعلى إلى الأسفل، وذلك على نحو يتيح للمعلمين أنفسهم المشاركة الفعَّالة في البدائل المنشودة للنظام التعليمي. ولقد كشفت لنا أزمة جائحة كورونا الراهنة أن المعلمين الميدانيين في النُّظم المدرسية على مستوى العالم هم من يشكّلون النظام التعليمي، وفي الوقت الحالي يتعلم هؤلاء المعلمون ويتأقلمون ويقودون الجهود المبذولة لإعادة تشكيل وتحويل النظام التعليمي تحويلاً جذريًا.

كما تبذل القيادات التعليمية في المدارس والنُّظم في الوقت الحالي جهودًا "سريعة ومتباطئة في آن معًا" ترتكز على الهدف الأخلاقي المشترك لتلك المهنة السامية الذي يتمحور حول تقديم الخدمات للطلاب؛ ويستند إلى خبرة المعلم وقوته واستقلاليته؛ إلى جانب الأنماط الهادفة لتعاون المعلمين (نيتوليكي، 2020 أ). وصارت تلك القيادات تفكر تفكيرًا بناءً في إيجاد حلول تعالج عدم التكافؤ في التعليم. وتتفاعل المدارس بحذرٍ مع الأوساط المحلية والوطنية في

إطار مشاركتها في الخطاب العالمي الدائر حول مراعاة أفضل السبل للتعامل مع الاحتياجات التعليمية والرعوية المتغيرة للطلاب أثناء الأزمة والتغيير المستمر الذي نشهده.

طلاء الورود باللون الأحمر

تطالعنا أيضًا رواية "مغامرات أليس في بلاد العجائب" أن البستانيين يطلون الورود البيضاء باللون الأحمر. ولنا هنا أنا نتساءل كمعلمين: هل التغييرات الأخيرة في الدراسة والتعليم صارت متأصلة وعميقة، أم لا تعدو طبقة طلاء تغطي ما تحتها؛ وهل بدأنا في تدشين مجموعة جديدة تمامًا من الطرق لمعالجة شؤون التعليم على مستوى المناهج وطرق التدريس والتقييم والنجاح والتكافؤ؟ فعند النظر إلى "الوضع الاعتيادي المأمول"، سنستطيع أن نفكر مليًا في ما نريد أن نستمسك به مما افتقدناه أثناء هذه الأزمة، وما يسعنا إعادة النظر فيه أو إزالته من سبل إنجازنا للمهام التعليمية ووجودها.

وفي نهاية الرواية، تستيقظ أليس مدركةً أن تجربتها لم تكن سوى أضغاث أحلام فحسب، فعادت إلى "واقعها الرتيب". وإسقاطًا على الواقع الحالي، فإن التحدي الذي نواجهه الآن هو ضمان أن معالجتنا لهذه الحالة الطارئة ليست حلمًا عابرًا نتخلى عنه بعد العودة دون وعي إلى حياتنا "الاعتيادية" السابقة، ومن ثمَّ فعلينا أن نخصص الزمان والمكان اللازمين للتأمل العميق في مقاصد وإمكانيات الدراسة والتعليم، قبل العودة إلى مدارسنا بالصورة التي تركناها عليها.

*****

نبذة عن المؤلفة: تشغل ديبورا إم. نيتوليكي منصب رئيسة قسم التدريس والتعلُّم في مدرسة سانت مارك الأنجليكانية المجتمعية.

ما بعد جائحة "كوفيد-19"، هل سيستعين التعليم الصيني بالذكاء الاصطناعي؟

بقلم: جيانغ تشيا تشن

تكنولوجيا التعليم والأطفال المحرومين في الصين

تضم جمهورية الصين 69 مليون طفل "محروم" في المناطق غير الحضرية، ووصف "المحروم" ينطبق على الأطفال في هذا السياق حرفيًا؛ ذلك أن آبائهم مهاجرون يعملون في المدن الغنية التي لا تسمح لغير سكانها بالالتحاق بالمدارس العامة، وكذلك هم مشردون مجازًا لما يكتنف مستقبلهم من غموض في ظل تقدم الاقتصاد الصيني. وكذلك فإن المتميزين من المعلمين

لا يفضلون العمل في المدارس الريفية. وفي ظل تزايد هجرة العائلات إلى المناطق الحضرية، تضطر المدارس الريفية إلى إغلاق أبوابها.

ترى الحكومة الصينية أن الحل يكمن في تكنولوجيا التعليم، لا سيّما وأن أكثر من 90 في المائة من المناطق الريفية في الوقت تتوافر بها خدمات الإنترنت ذي النطاق العريض، ويستطيع المعلمون في المدن بث دروسهم من خلالها إلى المدارس الريفية.

بيد أن النتائج جاءت مخيبة للآمال.

والمشكلة الرئيسة هنا تكمن في أن المحتوى المنتج في الصفوف الدراسية الحضرية لا يلبي احتياجات المناطق الريفية، وإن كان من حل يلوح في الأفق فإنه يتكشف في آفاق الذكاء الاصطناعي.

وعلى مدار السنوات العشر الماضية، غيّر الذكاء الاصطناعي من الطريقة التي نعيش ونعمل بها عبر تحديد الأنماط الخفية التي تربط بين حلقات المجتمع البشري، وكذلك عبر استخدام تعقيبات المستخدمين لتخصيص الطريقة التي نتواصل بها ونشتري بها (ولنضرب مثلاً على ذلك بمحرك توصيات شركة "أمازون" الشهيرة). وعلى الرغم من وجود النظريات التي يقوم عليها الذكاء الاصطناعي منذ عشرات السنين، فإن اجتماع ثلاثة عوامل قوية هو الذي أتاح دخول تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في سياق حياتنا اليومية.

- قانون "مور" الذي ينص على أن قوة معالجة الرقاقة الدقيقة ستتضاعف كل عامين، وقد ترتب على ذلك ظهور ما يُعرف بالبيانات الضخمة.

- انتشار الهواتف الذكية، ما أتاح للمليارات من البشر الدخول على شبكة الإنترنت والتفاعل معها، وسمح ذلك للإنترنت بجمع بيانات عن عاداتنا وتفضيلاتنا.

- صعود شركات التكنولوجيا العملاقة، مما يعني تجميع هذه البيانات الضخمة مركزيًا، ولهذا كانت شركات الذكاء الاصطناعي الرائدة في الولايات المتحدة هي جوجل (Google) وفيسبوك (Facebook) وأمازون (Amazon)، وفي الصين هي على بابا (Alibaba) وبايدو (Baidu) وتينسنت (Tencent).

يمكن تنفيذ الذكاء الاصطناعي بسهولة في ظل نظام مركزي يتيح جمع البيانات الضخمة، ويتضمن حلقات تفاعلية فورية. ويُعدّ النظام التعليمي الصيني هو الأكثر ملاءمة للذكاء الاصطناعي مقارنة بجميع النُّظم الدراسية على مستوى العالم، وذلك للأسباب التالية:

- يتملك الصين هوس ثقافي بنتائج الاختبارات، فمدارسها لا تهتم إلا بنتائج الاختبارات، وهذا يوفر متغيرات محدودة ومخرجات تعلُم محددة، وهو أمر بالغ الأهمية للذكاء الاصطناعي. كذلك توفر الاختبارات حلقة تفاعلية لتدريب نظام الذكاء الاصطناعي واختباره.

- تعتني الصين بتطبيق مفهوم مختلف عن الخصوصية، يتيح جمع أي بيانات، وتستخدم المدارس الصينية تكنولوجيا التعرف على الوجه ومسح الدماغ لتحليل مستويات انتباه الطلاب.

- تطبّق الصين منهجًا مركزيًا يتيح انتظام واتساق وقياس جمع البيانات؛ فابتداءً من الصف الأول الابتدائي وحتى الجامعة، يضم الصف الدراسي خمسين طالبًا يتلقون دروسهم. وتتيح الطبيعة الثابتة والمتكررة للدراسة في الصين التعبير عنها رياضيًا وتحليلها بنظام الذكاء الاصطناعي.

ولطالما أراد صانعو السياسات في الصين إدخال تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في التعليم منذ سنوات، غير أن تكنولوجيا التعليم كانت مشتتة دومًا على نحو لا يفيد تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي. ولمّا اندلعت أزمة "كوفيد-19"، أتاحت فرصة نادرة لبكين للتدخل وتعزيز منصات تكنولوجيا التعليم المختلفة الخاضعة لسيطرة الحكومات المحلية.

من المأمول إذن أن يسهم إدخال الذكاء الاصطناعي في التعليم في مساعدة الأطفال "المحرومين"، مع التخوف في الوقت ذاته من أن يتسبب ذلك في زيادة عزلتهم. ويعتمد نجاح الذكاء الاصطناعي في النظام التعليمي في الصين اعتمادًا كبيرًا على النهج الذي تتبعه الحكومة الصينية عند إدخاله في النظام.

الاختيار الصيني

يركز نظام الذكاء الاصطناعي في التعليم إما على تحسين درجات الاختبارات أو تحسين التدريس داخل الصفوف الدراسية.

غير أن تحسين درجات الاختبارات يبدو بمثابة الخيار الأيسر، لا سيّما مع فعالية نتائجه السريعة؛ فلك أن تتخيل نظامًا يجيب فيه الطلاب على أسئلة الاختبارات طيلة الوقت. ويستطيع نظام الذكاء الاصطناعي بفضل قاعدة بياناته التي تضم جميع أسئلة الاختبارات السابقة اكتشاف الفجوات المعرفية عند الطلاب، ومن ثمَّ تزويد الطلاب باختبارات مخصصة، حتى وإن لم يستوعبوا المادة الدراسية، لكنهم سيحققون درجات مرتفعة في الاختبارات، وهذا هو الأهم.

وسيجعل هذا النظام من التعليم الصيني "رهينًا للخوارزميات"، وسيفقد المعلمين استقلاليتهم المهنية، ولن يكونوا أكثر من مجرد أعوان لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وهذا يعني أن أطفال الصين "المحرومين" سيصيرون كذلك في واقع الأمر.

ولفهم أسباب ما سبق، دعنا نتحدث عن كتاب صدر عام 1995 يحمل اسم "Meaningful Differences" أو "اختلافات ذات مغزى" للباحثَين الأمريكيين بيتي هارت وتود ريسلي اللذين ظلا لأكثر من عامين يرصدان الكلمات المنطوقة في منازل الأسر العاملة والفقيرة، وصاغا عبارة "فجوة 30 مليون كلمة في سن الثالثة".

قد يعتقد التقني أو المبتكر بوجود حل سهل يكمن في تصميم روبوت للتحدث مع الطفل الفقير.

وقد ناقش هارت وريسلي خطأ سلوك هذا النهج، فبغض النظر عن عدد الكلمات المنطوقة، يظل الأهم منها كيفية نطق تلك الكلمات وجريانها على الألسُن. فالآباء الفقراء يعاملون أطفالهم بوصفهم مرؤوسين مستخدمين تعليمات من قبيل: "لا تلمس هذا الشيء أو ذاك!"، فيما يعامل الآباء الأغنياء أطفالهم باعتبارهم أندادًا لهم بعبارات مثل: "دعني أوضح لك سبب خطورة لمس ذلك". ولهذا السبب يرى هارت وريسلي أنه على الآباء الفقراء أن يشاركوا أطفالهم ألعاب الطاولة.

ولنلق نظرة الآن على مثال صفّي يجسّد هذه الفكرة: ففي عام 1968، على إثر اغتيال مارتن لوثر كينج الابن، أجرت معلمة أمريكية تدعى جين إليوت تجربة لتعليم طلابها البيض في الصف الثالث الآثار المدمرة للتمييز. فأجلست الطلاب ذوي العيون البُنيّة في مقدمة الصف لمدة أسبوع، وأغدقت عليهم المديح والإشادة، فيما أجلست الطلاب أصحاب العيون غير البُنيّة في الخلف موجهةً لهم انتقادات لاذعة. وبنهاية الأسبوع، اكتشف إليوت أن الطلاب ذوي العيون البُنيّة صاروا أكثر حرصًا على التعلُّم مقارنةً بانخفاض الشغف لدى الطلاب الآخرين.

وانطلاقًا من كوني مدربًا للمعلمين، فإنني أحثّهم على التعرف على تحيزاتهم الخفية، وبناء علاقات تُراعي مشاعر طلابهم، وأوصيهم أن يحافظوا على هدوئهم دائمًا، وأن يبتسموا لكل طالب مرة واحدة يوميًا، وأن يضحكوا قدر استطاعتهم.

يمكن لنظام ذكاء اصطناعي فعّال اختبار هذه الفرضيات والتحقق منها، وتقييم تأثير الترابط الشعوري على الأداء في الاختبارات، وكذلك اكتشاف الأنماط غير المرئية للعين البشرية. فهل يؤثر التواصل البصري المنتظم على تحفيز الطلاب؟ وهل تؤثر نبرة الصوت؟ وماذا لو أتيحت الفرصة لكل طالب أن يتحدث في الصف الدراسي؟

وفي محاولتي لطرح إجابة عمّا سبق من تساؤلات، فإنني أجد أن العواطف تمثّل أسرع طريق حقيقي لتوصيل المعلومة المطلوبة، وأن الترابط الشعوري يدعم أي نظام فعال من أنظمة تكنولوجيا التعليم.

ولقد تواصلت مع مدرسة تشنغدو التجريبية الابتدائية وروضة أطفال تشنغدو الثالثة، وهما مدرستان عامتان رئيستان تجمعهما علاقات بمئات المدارس في المناطق الريفية الفقيرة، ويبث معلموهما حصصهم الدراسية مباشرة، ويرسلون خطط الدروس بالبريد الإلكتروني إلى المدارس الشريكة، إضافةً إلى تعقيباتهم عبر خدمة الرسائل الفورية.

وأثبت هذا النظام نجاحه لأن المعلمين يزورون المدارس الريفية مرة واحدة في الفصل الدراسي ويقيمون صداقات مع المعلمين الذين يتولون تدريبهم، وتوجه الدعوة كثيرًا للمعلمين الريفيين لزيارة تشنغدو وحضور حصصها الدراسية، فلم تحل التكنولوجيا محل المعلمين، لكنها ساعدت المعلمين في بناء مجتمع داعم قوامه التعاون.

لا يمكن إذن لنظام الذكاء الاصطناعي، بغض النظر عن مدى فعاليته، أن يغير وحده مصائر الأطفال "المحرومين" في الصين. وإننا بحاجة حقيقية لسياسات حكومية تقدمية تساعد هؤلاء الأطفال في الترابط الوجداني في مجتمع يكفل سُبُل الدعم اللازمة.

لقد عملت الصين على استغلال أزمة جائحة كورونا الراهنة في إدخال الذكاء الاصطناعي في التعليم، وسيتوقف على الطريقة التي ستفعل بها الصين ذلك مستقبل أبنائها، بل وربما مستقبل التعليم نفسه.

*****

نبذة عن المؤلف: جيانغ تشيا تشين هو زميل الجمعية الملكية للفنون.

قيادة التعليم في أوقات عدم اليقين: مجابهة التحديات القائمة

بقلم: بياتريز بونت

فرضت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" صعوبات جمّة على أنظمتنا التعليمية، على الرغم من أنها أيضًا أتاحت فرصة لإعادة النظر في الطرح التعليمي والدراسي من قبل أصحاب المناصب القيادية التعليمية. وقد اضطلعت فرق القيادة المدرسية بدور حيوي في تهيئة البيئات التي تدعم المعلمين والطلاب وعائلاتهم لأجل استمرار التواصل والتعلُّم أثناء جائحة كورونا الراهنة، سواء في المدرسة أو في المنزل، حتى يتمكنوا في ظل هذه الأوقات المبهمة من بناء المجتمع وتعزيز التماسك وتحقيق الإنصاف على مستوى المدارس.

ويمكن لأصحاب المناصب القيادية التعليمية المتصلة بالمدارس، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو الوطني، تقديم الدعم والتكنولوجيا والمبادئ التوجيهية في سياق الاستعداد للخطوات المقبلة. وتنتظر المدارس ومعلموها ومديروها من أصحاب المناصب القيادية التعليمية وضوح الرؤية فيما يتعلق بمتطلبات التعلُّم والمناهج الدراسية وإرشادات

الصحة والسلامة والتدريب والموارد حتى يمكنهم تحديد حلول التعلُّم التي ستتيح لمدارسهم التقدم في الأوقات التي يشوبها الغموض وعدم اليقين. وإذا توافر ذلك وتحقق كما ينبغي له، فإنه يمكن الاعتماد على المدارس في صياغة أوجه التصدي الخاصة بها ومواصلة تقديم التعليم في مدارسها، إما بصورة مباشرة أو عن بُعد أو بالمزج بينهما على نحو يتيح لطلابها مواصلة مسيرة التعلُّم.

وبالنظر إلى التجارب التي نعايشها جرّاء اندلاع أزمة كورونا الراهنة، يمكننا أن نلحظ التأثير قصير المدى على دور القيادات التعليمية. فقد صاحب إغلاق المدارس اختفاء دورها الحقيقي، وقلت فرص التعلُّم المباشر أو الواقعي، بل وقلّ أيضًا التفاعل الاجتماعي للطلاب مع الأصدقاء والأقران ومنتسبي التدريس في المدارس. وفي فترات زمنية قصيرة في دول عدّة، عملت القيادات التعليمية على اختلاف مستوياتها على إعادة تشكيل استمرارية التعليم من خلال تطبيق نُهُج التدريس عن بُعد، إما باستخدام الموارد التكنولوجية الموجودة أو التلفزيون أو الراديو أو الهواتف الجوالة أو المواد الورقية أو التعليم المنزلي. وتأقلم المتخصصون في مجال التعليم مع طرق التدريس الجديدة وتفاعلوا مع الطلاب من منازلهم بسبب اشتراط التباعد الاجتماعي، مع إلغاء تقييمات الطلاب المزمعة أو استبدالها، لا سيّما تلك الاختبارات عالية المخاطر وتلك اللازمة للانتقال إلى المراحل التعليمية التالية. وصدرت هذه القرارات في وقت وجيز، رغم ضآلة المعلومات أو الأدلة المتوافرة وضعف القدرة على التفاعل مع العديد من الأطراف التعليمية المعنية المختلفة لصياغة ردود الأفعال. ومع هذا فقد كانوا بوجه عام على قدر التحدي وظل العديد من الأطفال في جميع أنحاء العالم يواصلون التعلُّم والتفاعل مع معلميهم عبر الإنترنت، أو عبر وسائل أخرى، إلا أن أبناء الأسر الفقيرة تعرضوا لمظلمة سببها قلة الموارد التي تتيح لهم الاستفادة من نهج التعلُّم عن بُعد.

وفي مثل هذه الأوقات المعقدة المشوبة بقلة المعلومات، شاركت القيادات المدرسية والمعلمون بإبداع ومهنية للحفاظ على علاقاتهم مع الطلاب. وفي ظل إغلاق المدارس، تركز دور القيادات المدرسية على الحفاظ على المجتمع المدرسي، وإيجاد التكنولوجيا المناسبة التي تربط بين المعلمين وطلابهم وأسرهم، وضمان ملاءمة التعلُّم واتساقه. وللحصول على هذا التعلُّم، كان لا بد لهم من العناية برفاه الموظفين والطلاب.

يمكن تعميم هذه التجربة على قيادات النظام التعليمي والقيادات المدرسية حتى يتمكنوا من التعامل مع فترات عدم اليقين لأجل مواصلة توفير التعليم، سواء في المدارس، أو عبر مناهج التعلُّم المختلطة أو عبر الإنترنت، أو غير ذلك من الحلول. ومع محدودية الأدلة البحثية التي تخص توفير التعليم أثناء فترات الأوبئة، فقد ظهرت بيانات وأدلة أكثر شمولاً قد تسهم في تشكيل الخطوات المطلوب اتخاذها. ويمكن للقيادات التعليمية أن يتخذوا من الدروس المستفادة وسيلة لتصور ما قد يبدو عليه التعليم في المستقبل.

فمن جهة، تمكنت المدارس وموظفوها بوجه عام من الانتقال إلى التعلُّم عن بُعد على نحو إبداعي متميز يدل على مهنيتهم العالية. وظهرت عقلانية ترتيبات الحوكمة التي منحت المدارس صلاحيات اتخاذ القرار على مستوى توفير التعليم عند وجود القدرات والموارد، ومنحت للمدارس وقياداتها الاستقلالية والثقة لمواصلة توفير التعليم بما يتماشى مع أهداف مدارسهم، إذا أتيحت لهم الظروف الداعمة من التكنولوجيا والموارد والقدرات والمعايير الصحية. ويمكن تحسين ذلك بتعزيز شبكات المتخصصين في التعليم لمشاركة طرق التدريس والتفاعل مع الطلاب من منازلهم، وكذلك عبر توفير التدريب وبناء القدرات لهذه البيئة الجديدة. ويمكن لقيادات النظام التعليمي التفكير في توجيه إرشادات للمدارس، مع السماح لهم بالتخطيط لأعمالهم على مستوى المدارس.

وعلى الرغم من نجاح مناهج التعلُّم عن بُعد إلى حدٍّ ما باعتبارها حلاً آنيًا، فقد كشفت لنا أيضًا عن الدور المجتمعي للمدارس التي توفر بالإضافة إلى التعلُّم جانبًا دراسيًا مهمًا. وعلى القيادات المدرسية العمل للحفاظ على مجتمعهم المدرسي وتعزيزه عبر صياغة جماعية وفعالة للرؤية المدرسية بالتواصل مع المعلمين والطلاب وأولياء الأمور.

وفي ظل تعاظم أوجه عدم المساواة لا سيّما بالنسبة للفئات الأكثر حرمانًا، اتضحت أهمية دور المدارس باعتبارها جهات توفر فرصًا متكافئة أكثر من ذي قبل، إذ إن المدارس تسهم في تحسين صحة الطلاب ورفاههم وتمنحهم جوانب الإنصاف المطلوبة. وقد كانت أكثر تدابير الدعم المدرسي المتبعة أثناء إغلاق المدارس تركز على توفير وجبات الطعام، أو البحث عن طرق لدعم رفاه الطلاب. وعلى المدارس وقياداتها أثناء دراسة ردود أفعالها في أوقات الأزمات أن تجعل هذه المخاوف نصب أعينها.

لقد أتاحت جائحة كورونا الراهنة للأخصائيين المدرسيين تجربة التعلُّم خارج المباني المدرسية، وتوسيع حدود المباني المدرسية لإعادة تصور التعليم. ويتعين على أصحاب المناصب القيادية التعليمية دراسة كيفية دمج التعلُّم عن بُعد في التجارب التعليمية والدراسية في مدارسهم، ولا بد من استخدام التكنولوجيا لدعم هذا الأمر، وحتى تحظى تلك التجربة بالنجاح يتطلب الأمر إشراك الطلاب واستشارتهم في إعداد هذه الأساليب الجديدة.

ويتعين على القيادات التعليمية على اختلاف مستوياتها تحديد الأساسيات التعليمية المطلوب تقديمها في المناطق النائية، وتصدر القرارات بناءً على معايير مختلفة، مثل توافر المعلمين، أو سهولة تدريس المادة عن بُعد، أو المنصات الإلكترونية، أو توافر المواد التعليمية. وفي الظروف الطارئة مثل تلك التي صاحبت جائحة كورونا الراهنة، يتعين على القيادات التعليمية تحديد الأولويات التعليمية على المدى القصير والمتوسط والطويل، والتي ستختلف اختلافًا كبيرًا حسب المستوى التعليمي.

وحيث إن الأزمة قد تسببت في الاستغناء عن تقييمات الطلاب أو استبدالها، فقد أدّى هذا بدوره إلى البحث عن وسائل أخرى لقياس تعلم الطلاب. ويستلزم ذلك مستقبلاً التفكير على مستويات مختلفة من مستويات النظام التعليمي على الصعيد الوطني والإقليمي / المحلي والمدرسي، في الكيفية المناسبة لتقييم تعلم الطلاب. وتستطيع القيادات المدرسية المساعدة في تحقيق الاتساق في درجات الطلاب على مستوى مدارسهم، باستخدام التقييمات التكوينية أو غيرها من التقييمات المدرسية. وستحتاج قيادات النظام التعليمي إلى تحديد "الخطوات المقبلة" في التقييمات بوضوح وتقديم إرشادات واضحة. وفي المستقبل، قد يسهم الذكاء الاصطناعي بدور مهم في هذا السياق.

كانت هذه جملة من المشكلات التي سيتعين على القيادات المدرسية والنظام التعليمي وضعها في الاعتبار في الأوقات التي يحتّم عليها غياب الرؤية الواضحة في تقديم التعليم. وبوجه عام، أدّت جائحة كورونا إلى تضخيم العديد من التحديات والمشكلات التي كانت موجودة من قبل في التعليم، مثل محتوى التعلُّم للقرن الحادي والعشرين، أو عدم المساواة، أو التقييمات، أو استخدام التكنولوجيا، أو الاستثمار في التطوير المهني للمعلمين. وقد أتيحت الفرصة للقيادات التعليمية في المدارس وعلى مستوى النظام التعليمي حتى يتفكروا في سُبُل استقاء الدروس من جائحة كورونا لإعادة تصور توفير التعليم على نحو يناسب القرن الحادي والعشرين. لقد ألجأتهم الضرورة إلى الإسراع بذلك، أما في الوقت الحالي فأمامهم متسع من الوقت لإعادة تصور المستقبل وإعادة تشكيله، بعد أن حان الوقت لأن نكون على مستوى التحدي الذي تفرضه متطلبات القيادة التعليمية.

*****

نبذة عن المؤلفة: تعمل بياتريز بونت خبيرة تحليل أولى في منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية.

التعليم لأجل الرفاه

الحاجة إلى التعلُّم النظامي الاجتماعي والوجداني والقيادة المُحفِّزة

بقلم: دانييلا لابرا كارديرو

كشفت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" عن الحاجة إلى تزويد المناهج والبرامج التدريبية بمساقات عن التعليم الاجتماعي والوجداني للأطفال والمراهقين والكبار، لا سيّما في ظل تزايد المشكلات العقلية والوجدانية مثل التشتت والاكتئاب والانتحار والوحدة وانعدام الهدف التي تؤثر بالفعل على عقول الناس وصحتهم. فنحن أنفسنا نفتقر إلى استراتيجيات للتعامل مع هؤلاء الأشخاص في سياق التعليم والمجتمع. وعلينا أن نتعلم كيف نصير أكثر إنسانية؛ وأكثر قدرة على التعايش مع أنفسنا ومع الآخرين ومع الكوكب الذي نحيا عليه.

إن الرفاه غاية يمكن بلوغها، ومن ثمَّ يجب إدراجها ضمن الأهداف الأساسية للتعليم حتى نتمكن من مساعدة الأفراد على اكتساب المرونة والتأقلم مع الظروف المحيطة وأن يعيشوا حياة يملؤها الرضا حتى في أصعب الظروف. كما نحتاج إلى أدوات لتحسين إدارة الطرق التي نتعامل بها مع التحديات؛ والتعلُّم من الأزمات، ومواصلة الازدهار. وتساعد الكفاءات الاجتماعية والوجدانية في تحسين الرفاه ويجب دمجها منهجيًا في التعليم عبر مساقات التعلُّم الاجتماعي والوجداني، وذلك من خلال:

- تقديم محتوى واضح ومستمر ومناسب للمرحلة العمرية، ابتداءً من مرحلة الطفولة المبكرة وحتى التعليم العالي.

- تدريب المعلمين تدريبًا مكثفًا على مناهج التعلُّم الاجتماعي والوجداني وتطوير الكفاءات الاجتماعية والوجدانية.

- تدريب وإشراك مديري المدارس والقيادات التعليمية الأخرى.

- إشراك أولياء الأمور: نظرًا لأن التعلُّم الاجتماعي والوجداني يتطور بقوة من خلال وجود نماذج حية، فلا بد من دعم أولياء الأمور وإشراكهم في تطوير الكفاءات الاجتماعية والوجدانية لدى أنفسهم ولدى أبنائهم.

ومن أهم الأدوار التي ينبغي أن تضطلع بها القيادة التربوية في هذه الأوقات أن تعزّز روح الانتماء والترابط بين المجتمعات التعليمية. وتكمن نقطة الانطلاق هنا – استنادًا إلى أفضل الممارسات القيادية –في المشاركة الكاملة التي يُطلق عليها فولان وآخرون مصطلح "القيادة المُحفِّزة": حيث ينظر القائد إلى نفسه باعتباره متعلمًا وأن يشجع المعلمين على بناء مجتمع طلابي يقوم على الثقة والتعاون والإبداع الذي يفتح الباب أمام النقاشات الهادفة التي تتناول أكثر ما يشغل المجتمع التعليمي. وقد ترى القيادات في مشاعر القوة والمسؤولية والانتماء أدوات تمكينية لمجتمعاتهم، ويوفرون الزمان والمكان للتصدي المشترك للأوضاع الاجتماعية والوجدانية الحالية للطلاب والمعلمين. ومن ثمَّ المشاركة في وضع رؤية مشتركة عن الغرض الرئيسي من التعليم في الواقع الحالي وفي المستقبل.

- تعلُم المعلم المستمر من أقرانه، شريطة ألا يقتصر الأمر على الأعمال الفنية والإدارية اللازمة، بل يتضمن في صميم ذلك الأمور التربوية والاجتماعية والوجدانية التي تؤثر في صلب العملية التعليمية المتمثلة في تعلم الطلاب.

- توفير منصة لسماع آراء الطلاب ودمجها وتعزيز مشاركة أولياء الأمور، وإدراك أن مسؤولية التعليم تقع على عاتق الجميع.

يمكن للقيادات مساعدة مجتمعاتهم عبر صياغة رؤية واضحة لما يعنيه النجاح لطلابهم، وفق معايير رفيعة، والتزام جميع المعلمين والطلاب وأولياء الأمور بهذه الرؤية.

وانطلاقًا من المهمة الأساسية لمنظمة "أتينتامينتي" التي تتمحور حول مشاركة أدوات الرفاه، فقد طرحنا برامجنا عبر الإنترنت مجانًا. وفي ظل تفشي الجائحة، نشارك هذه الأدوات من خلال البرامج التالية:

- برنامج التعليم من أجل الرفاه "Educating for Well-being": وهو برنامج تدريبي ومنهج دراسي عن التعلُّم الاجتماعي والوجداني للمعلمين، يركز على تنمية مهارات الكبار في الكفاءات الاجتماعية والوجدانية، وهو متوافر حاليًا عبر الإنترنت بالكامل (ويتميز بأنه منهجي، وقابل للتطوير، وقائم على الأدلة، ومستدام)

- برنامج "Stresstoolbox": وهو موجّه للكبار عمومًا ولمقدمي الخدمات الصحية بصفة خاصة.

إنّ برامجنا تقوم على المعارف العلمية الحالية، وتؤكد على أهمية تطوير أربع قدرات أساسية تمثل ركائز الرفاه وهي: الاهتمام، والإحسان (فعل الخير)، والوضوح، والتوجيه.

*****

نبذة عن المؤلفة: دانييلا لابرا كارديرو هي المؤسسة والمديرة التنفيذية لمنظمة أتينتامينتي.

الجزء الثاني
إعادة التصوّر

يونيو 2020

تسريع وتيرة الابتكارات
أثناء الأزمات

مقدمة

إعادة تصوّر التعليم

بقلم: دومينيك ريجستر

للفيلسوفة الألمانية حنة آرنت كلمات رائعة تقول فيها: "التعليم هو المرحلة التي نقرر عندها ما إذا كنا نحمل للعالم المحبة الكافية التي تحدونا لتحمل مسؤوليته، ولنحفظه من أي هدم لا يُراد به التجديد أو مراعاة الأجيال الجديدة الناشئة".

وقد اتضح هذا جليًّا لا سيّما في هذا التوقيت الذي تتزايد فيه احتمالات الهدم والتجديد. وفي بداية أغسطس، ذكر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أن هذه الجائحة الراهنة أدّت إلى أكبر تعطيل شهده التعليم على مرّ التاريخ، ما أدّى إلى تضرر أكثر من مليار طفل، في مقدمتهم الفئات الأكثر ضعفًا من "ذوي الاحتياجات الخاصة، وأبناء الأقليات أو الجماعات المحرومة، والطلاب النازحين واللاجئين، وسكان المناطق النائية الأكثر عرضة لخطر التخلّف عن مواكبة الركب".

وكذلك شهدت هذه الأيام مجموعة من الأزمات المتداخلة جرّاء جائحة "كوفيد-19"، وأزمة المناخ، وأزمة التعلُّم التي سبقت الجائحة، وأزمة الصحة النفسية عند الشباب، والصراع بين الأجيال، وتصاعد وتيرة النضال من أجل إعمال العدالة العرقية في مناطق شتّى على مستوى العالم، وإدراك أنه لا يزال أمامنا الكثير لتحقيق أهداف التنمية المستدامة؛ وأسباب هذه الأزمات وبعض أوجه التصدي الضرورية لها على الأقل ترتبط بقضايا الاستدامة والعدالة الاجتماعية وعدم المساواة. وفي المقالة نفسها، قال غوتيريش أيضًا: "إننا في منعطف حاسم الأهمية لأطفال العالم وشبابه، .... ولقد سنحت لنا الآن فرصةٌ لا تتاح للأجيال إلا فيما ندر لبلورة تصوّر جديد للتعليم".

إن فكرة إتاحة الفرص لجميع الأجيال لها وجاهتها، ويبدو أن العودة إلى الوضع الراهن في التعليم أمر مستبعد تمامًا. وفي الغالب الأعم كان يجري وصف قطاع التعليم بأنه قطاع محافظ، لكنّنا رأينا نماذج كثيرة خلال الموجة الأولى من تلك الجائحة للتغيرات السريعة التي من بينها إطلاق ابتكارات حول العالم تمثلت في مشاركة مجتمعات المعلمين للموارد على خدمات المراسلة، أو التعلُّم عبر الإنترنت، أو الاستعانة بالراديو أو التلفزيون.

ويتردد صدى مفهوم "إعادة البناء على نحو أفضل" لأن مجتمعاتنا ومدننا ونُظمنا التعليمية صارت أفضل كثيرًا مما كانت عليه قبل الاضطرابات الكبيرة التي ألقت بظلالها هذا العام. وثمّة دروس مهمة مستلهمة من تجربة التعافي من الكساد الكبير الذي عايشه العالم في 2008، لا سيّما فيما يتصل بالاستدامة والعدالة الاجتماعية ومواجهة حالات عدم المساواة. فقبل هذه الجائحة، فالنُّظم المدرسية لم تكن ملائمة لأعداد كبيرة من الصغار، فتسرب 250 مليون طفل في سن الدراسة عن التعليم، فيما كان ربع أطفال المدارس الثانوية في البلدان النامية يتخرجون من مدارسهم ولم يكتسبوا سوى المهارات الأساسية. ويرى الكثيرون أن الغالبية العظمى من تجارب الطلاب المدرسية لم تكن تليق بالقرن الحادي والعشرين، وأن المناهج الدراسية ما زالت تشوبها أخطاء كثيرة، وأن العملية التعليمية لم تكن تواكب واقع الحياة في القرن الحادي والعشرين بالنسبة للعديد من الطلاب، كما كانت المناهج الدراسية في جميع أنحاء العالم مكدّسة على نحو يتعذر معه تقديم أفكار جديدة مثلاً عن التعلُّم الاجتماعي والوجداني، أو التعليم من أجل التنمية المستدامة – فكيف يتسنى لنا إذن طرح أشياء جديدة مع عدم توافر وقت كافٍ لتعلمها على مدار اليوم؟

وثمّة توجه كبير في الوقت الحالي نحو إصلاح المناهج الدراسية وإعادة النظر في البيئات التعليمية، والتساؤل عن "ماهية" المدارس و"مواقعها"، ويتضح هذا جليًا في العديد من المقالات التالية، وجرى تناول "طريقة" عمل المدارس في تجارب كثيرة متنوعة في ربوع العالم في الوقت الحالي. وكان من أهداف سلسلة المؤتمرات التي تمخضت عن إصدار هذا الكتاب مشاركة الأفكار المستفادة من تلك التجارب إبّان حدوثها.

لقد شكّلت التكنولوجيا محورًا أساسيًا ضمن هذه الأفكار، وستسهم بلا شك بدور رئيسي في مستقبل التعليم في مجتمعات كثيرة. لكنّ الخطر الحقيقي هنا يكمن في تزايد حالات انعدام المساواة القائمة أو ظهور حالات انعدام مساواة جديدة، بما يقتضي ضرورة أن تنطوي النماذج التعليمية الجديدة على إلمام كامل بهذه المخاطر.

ولن يصمد التعلُّم الافتراضي أو عبر الإنترنت كبديل على المدى البعيد لإنجاز كل المهام المختلفة التي تؤديها المدارس في حياة الصغار. وقد سبق أن كتبت ملالا يوسفزي أننا "لا ندرك أهمية أصواتنا إلا بعد إسكاتنا"، وينطبق الأمر نفسه على ردود أفعال العديد من أولياء الأمور بعد إغلاق المدارس، التي لم تظهر أهميتها الحقيقية إلا بعد أن أوصدت المدارس أبوابها. ويُعدّ تلقي التعلُّم داخل المدارس تجربة متفردة يستحيل استبدالها بالتعلُّم عبر الإنترنت أو التعلُّم عن بُعد، مهما لاحت ضرورة ذلك في الوقت الراهن، إذ تسهم المدارس والمعلمون بدور حيوي يتجاوز مجرد نقل المعرفة من جيل إلى جيل، إلى ما يطلق عليه في بعض الحالات مسمى "المنهج الخفي"، ومن الموضوعات المتسقة في عمليات إعادة التصور المذكورة كيفية زيادة وضوح هذا الدور وبيان مركزيته ضمن أغراض المدارس في المستقبل.

ستسهم تجربة المدارس ومحتويات المناهج الدراسية بدور أساسي في تحديد الكثير من سمات مجتمعاتنا في المستقبل، وستوضح مدى إيلاء المجتمعات أولوية للتراحم والتعاطف وسعة الأفق بدلاً من مقابلاتِها. كذلك تفسح إعادة تصور المناهج مجالاً للتفكير في جميع أنواع التغييرات اللازمة التي تربط الحلول بالأزمات المتداخلة المذكورة في بداية هذا المقال. فكيف يمكننا مواءمة ما يحدث في المدارس مع احتياجات الاقتصادات الأكثر استدامة في مرحلة ما بعد الجائحة، وفي الوقت نفسه مواصلة التصدي للتحدي طويل الأجل المتمثل في أزمة المناخ؟ وكيف يمكن تغيير المناهج للتصدي لقضايا الصحة النفسية والرفاه والسعادة؟ وكيف ستبدو المناهج الدراسية المأمولة؟

في هذا الصدد، أشارت الكاتبة والناشطة ريبيكا سولنيت في مقال رائع لها بعنوان "بارقة أمل في نهاية النفق المظلم" (Hope in the Dark)، إلى أن في رحم كل نقمةٍ نعمة؛ وأن العسر يحمل في طياته اليسر". ولو أننا آمنا بأن هذه الأزمات المتداخلة إلى زوال وآمنّا بإمكانية تطوير نُظُم تعليمية أفضل وأكثر عدلاً وأكثر وفاء بالغرض الذي أنشأت من أجله، فإننا سنرى في عملية إعادة التصوّر تدريبًا قويًا ومتفائلاً ومفعمًا بالأمل. غير أنها أضافت قائلةً إن "الأمل لا يعني سوى إمكانية وجود عالم آخر، لكن هذا العالم الآخر غير متيقن ولا مضمون، فالأمل يدفع نحو العمل؛ ولا عمل بلا أمل". وثمَّة تجارب تعليمية متميزة تطبّق في الوقت الحالي، نتج أغلبها عن الضرورة والرغبة في التغيير. ولا بدّ لنا من العمل حتى نغيّر الوضع الراهن لأنه لم يكن قائمًا قبل الجائحة، ولا يمكن أن ينجح في ظلالها، بل يستحق الطلاب في جميع أنحاء العالم جهودًا أفضل بعد مرور هذه الجائحة. لقد أدّت الحاجة الملحة للتعامل مع جائحة كورونا إلى إتاحة مجال غير متوقع لإعادة التفكير في التعليم؛ فلنحمل على عاتقنا مسؤولية استغلال "الفرصة السانحة التي لا تتاح للأجيال إلا فيما ندر" لتغيير نُظمنا التعليمية إلى الأفضل.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل دومينيك ريجستر منصب مدير البرامج في مؤسسة سالزبورغ جلوبال سيمنار، وهو عضو اللجنة التنفيذية لتحالف كارانجا.

التعلُّم لأجل عالمٍ جديد

بقلم: أندرياس شلايشر

كلما زاد الترابط بين دول العالم، تعاظمت المخاطر المحدقة بنا؛ وها هي جائحة كورونا الراهنة لم تتوقف عند حدود بلد من البلدان، بل أصابت البشر على اختلاف جنسياتهم أو مستويات تعليمهم أو دخولهم أو أجناسهم، أمّا تبعات هذه الجائحة الراهنة فأضرّت أكثر ما أضرّت بالفئات الأكثر ضعفًا داخل المجتمعات.

ولم يكن التعليم استثناء من ذلك؛ فقد وجد أبناء الفئات الأوفر حظًا بدائل للمدارس المغلقة تكفل لهم فرص تعلُم بديلة، بمعونة أولياء أمورهم حرصًا منهم على مواصلة تعلُم أبنائهم، فيما ضاع أبناء الفئات الفقيرة بعدما أوصدت المدارس أبوابها.

لقد كشفت هذه الأزمة بطريقة ما عن كثيرٍ من أوجه القصور وغياب العدالة في أنظمتنا التعليمية، ابتداءً من خدمات النطاق العريض وأجهزة الحاسوب اللازمة للتعليم عبر الإنترنت، مرورًا بالبيئات الداعمة اللازمة للتركيز على التعلُّم، وانتهاءً بإخفاقنا في استقطاب معلمين متميزين إلى الصفوف الدراسية الصعبة. ولكن نظرًا لتعاظم أوجه انعدام العدالة المذكورة أثناء هذه الأزمة، فإن هذه اللحظة تحتمل أيضًا عدم العودة إلى الوضع الراهن بعد أن تعود الأمور إلى "مجراها الطبيعي". وستحدد طبيعة استجابتنا الجماعية والمنهجية للاضطرابات مدى تأثرنا بها.

في أكثر الأحيان تحدث التغييرات الحقيقية في ظل أزمات عميقة. فلمّا اقتضت الظروف المسارعة إلى إغلاق المدارس، استطعنا تخفيف تأثير هذا الإغلاق على الطلاب والأسر والمعلمين، لا سيّما في أوساط الفئات المحرومة، فأقمنا علاقات تعاونية دولية لتبادل الموارد التعليمية المفتوحة عبر الإنترنت وتدشين منصّات تعلم رقمية، مع تشجيع شركات التكنولوجيا على المشاركة في هذه الجهود. وكذلك استطعنا تعزيز فرص التعلُّم الرقمي للمعلمين على وجه السرعة وكذلك تشجيع سبل التعاون مع المعلمين من دول أخرى. ولعلّ الأهم من ذلك هو استغلال هذا الزخم لإعادة صياغة المناهج وإعادة تشكيل بيئات التعلُّم كي تلبي احتياجات القرن الحادي والعشرين.

وقد بتنا نعيش في رحاب عالم تسهل فيه رقمنة وأتمتة الأشياء التي يسهل تعليمها واختبارها، ومن المؤمل في المستقبل دمج الذكاء الاصطناعي لأجهزة الحاسوب بالمهارات والقيم المعرفية والاجتماعية والوجدانية للبشر. وسيساعدنا تصوّرنا ووعينا وإحساسنا بالمسؤولية في تسخير التكنولوجيا لأجل عالم أفضل. إن النجاح في التعليم في الوقت الحاضر يرتكز على الهوية والقوة وتحقيق الأهداف. فالأمر مرهون بإثارة الفضول لإنارة العقول، والتراحم لسعة الصدور، وكذلك مرهون بالشجاعة وحشد مواردنا المعرفية والاجتماعية والوجدانية لاتخاذ الإجراءات اللازمة. وستكون هذه أيضًا أفضل أسلحتنا ضد أكبر التهديدات المحدقة بنا في عصرنا من الجهل الذي يغلق المدارك، والكراهية التي تقسي القلوب، والخوف المثبط للعزائم.

وفي وقتنا الراهن، تعمل الخوارزميات المستخدمة في مواقع التواصل الاجتماعي على تصنيفنا إلى مجموعات من الأفراد المتشابهين في التفكير، وتكوّن تلك الخوارزميات فقاعات افتراضية تضخم في الغالب من وجهات نظرنا وتعزلنا عن وجهات النظر المغايرة؛ وتجمع الآراء المتجانسة وتُشيع الاستقطاب في مجتمعاتنا. ومن ثمَّ سيكون لزامًا على المدارس مستقبلاً أن تمدّ يد العون للطلاب حتى يفكروا من تلقاء أنفسهم وحتى يشاركوا الآخرين في العمل والمواطنة بقلوب ملؤها التعاطف، وكذلك على تلك المدارس أن تنمي لدى طلباها الشعور القوي بالصواب والخطأ، والانتباه للادعاءات التي يطلقها الآخرون علينا، وإدراك حدود العمل الفردي والجماعي. فالناس يحتاجون في أعمالهم ومنازلهم ومجتمعاتهم إلى فهم عميق لطريقة عيش الآخرين، في ثقافات وتقاليد مختلفة، وكيف يفكر الآخرون، سواءٌ في ذلك علماء أو فنانين. وبغض النظر عن المهام التي قد تحل فيها الآلات محل البشر في العمل، فستزداد احتياجاتنا من المعارف والمهارات بهدف تعزيز المشاركة الهادفة في الحياة الاجتماعية والمدنية.

يُفضي تزايد صعوبات الحياة المعاصرة على مستوى الأفراد والطوائف والمجتمعات إلى زيادة تعقيد المشكلات التي نجابهها. وتنشأ في هذا العالم غير المتوازن بنيويًا حتمية التوفيق بين وجهات النظر والمصالح المتباينة، وإن كان هذا يحدث في البيئات المحلية، إلا أن آثاره تمتد في كثير من الأحيان إلى العالم بأسره، مما يعني أنّ علينا أن نبرع في التعامل مع التوترات والمعضلات. وإن تحقيق التوازن بين المطالب المتعارضة مثل العدل والحرية، والاستقلالية والمجتمع، والابتكار والاستمرارية، والكفاءة والعملية الديمقراطية، قلما يؤدي إلى خيار "إما ... أو"، بل ويندر أن نستقي منه حلاً واحدًا. ولذلك فإننا بحاجة إلى التفكير بطريقة أكثر تكاملاً تعترف بالعلاقات البينية، ولا بدّ لنا قبل كل شيء أن نتمكن من تجاوز حالة الغموض وغياب الرؤية الواضحة.

كما يتطلب الإبداع في حل المشكلات أن نتمكن من النظر في العواقب المستقبلية لأفعالنا، مع الشعور بالمسؤولية والنضج الأخلاقي والفكري، حتى يمكننا التفكير في أفعالنا في ضوء التجارب والأهداف الشخصية والمجتمعية؛ علمًا بأن إدراك وتقييم الصواب والخطأ، والجيد والسيئ في موقف معين لهو أمر وثيق الصلة بالبعد الأخلاقي.

وهذا يقودنا بدوره إلى التحدي الأصعب الذي يجابه التعليم المعاصر والذي يكمن في سُبُل دمج القيم في العملية التعليمية. فالقيم كانت وستظل دومًا ركيزة أساسية يقوم عليها التعليم، وقد آن الأوان للانتقال من التطلعات الضمنية إلى الأهداف والممارسات التعليمية الواضحة، حتى نسهم في تحول المجتمعات من القيم الظرفية التي تجعلنا نتعامل مع كل ظرف وفق مقتضاه، إلى قيم مستدامة تقيم أواصر الثقة والروابط الاجتماعية وتبث الأمل. وإن لم يضع التعليم هذه الأسس بين الناس، سيسعى الكثيرون لإقامة جدران على أساس غير متين دون النظر إلى النتائج الوخيمة المترتبة على ذلك.

وبيت القصيد أننا إن أردنا مواكبة التطورات التكنولوجية، فعلينا أن نجد الصفات المميزة لإنسانيتنا ونعمل على صقلها، فهذه الصفات تكمّل ولا تتعارض مع القدرات التي أدخلناها على أجهزة الحاسوب. وواجب المدارس أن تخرج جيلاً متميزًا، لا روبوتات تفعل ما يُملى عليها.

ولعلّنا إن أردنا إجراء تغييرات موسعة في النظام الدراسي، فلسنا بحاجة إلى مجرد رؤية جذرية بديلة للمعارف التي يحتاج الطلاب إلى تعلمها، بل نحتاج أيضًا إلى بيئات تعليمية فعالة يتسنى فيها تطوير تلك المعارف والمهارات والمواقف والقيم. وذلك لن يتحقق بمجرد فتح المجال أمام الطلاب؛ بل لا بد من بيئة تمكينية مدروسة بعناية تطلق العنان لطاقات المعلمين والمدارس وتتيح القدرة على التغيير، وهذا يتطلب بدوره قادة أكفاء يتعاملون مع هياكل مؤسسية تتمحور في الغالب الأعم حول اهتمامات وعادات المعلمين والإداريين لا الطلاب. ونحن بحاجة إلى قيادات حريصة على التغيير الاجتماعي، ومبدعة في صنع السياسات، وقادرة على استغلال الثقة الممنوحة لها في إرساء إصلاحات ناجعة.

ستشكّل التكنولوجيا جزءًا لا يتجزأ من مستقبل التعلُّم، ويمكن الاستعانة بها في بناء مجتمعات طلابية تضفي على العملية التعليمية صبغة اجتماعية مفعمة بالمرح، ويمكن أيضًا استخدامها في بناء مجتمعات للمعلمين تتيح لهم مشاركة موارد وممارسات التدريس وإثرائهما، والتعاون في التطور المهني وإضفاء الطابع المؤسسي على الممارسات المهنية. وهذا من شأنه مساعدة قادة النُظم والحكومات في تطوير وتبادل أفضل الممارسات المرتبطة بتصميم المناهج والسياسات وطرق التدريس. ونأمل في وجود منصّة عملاقة لحشد المصادر الجماعية تشهد تعاون المعلمين والباحثين التربويين وخبراء السياسات في تنظيم المحتوى الأنسب والممارسات التربوية التي تحقق الأهداف التعليمية، وتتيح للطلاب في أي مكان في العالم الوصول إلى أفضل الخبرات التعليمية وأكثرها ابتكارًا.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل أندرياس شلايشر منصب مدير التعليم والمهارات ومستشار الأمين العام لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية لشؤون السياسات التعليمية.

موجز تجميعي
إعادة تصوّر التعليم
آراء الخبراء التربويين في أزمة التعليم خلال جائحة "كوفيد-19"

بقلم: عمر زكي

قلّ أن نشهد في تاريخ البشرية حدثًا يفضي إلى الكشف عن أوجه القصور في جميع أنظمتنا دفعة واحدة؛ وهذا بالفعل ما فعلته جائحة "كوفيد-19" الراهنة التي كشفت النقاب عن إخفاقات في شتّى المجالات. وبحسب تعبير الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، فإن الجائحة الراهنة قد جاءت "لكشف المغالطات والأكاذيب في كل مناحي الحياة". ومن هذه الأكاذيب القول إن الأسواق الحرة يمكن أن توفر الرعاية الصحية للجميع، والتصوّر القائل بأن أعمال الرعاية المجانية غير مجدية؛ والتوهم بأننا نعيش في عالم لا تشوبه العنصرية؛ والخرافة

أننا جميعًا في نفس القارب". وفي مجال التعليم، ووفقًا لما أوجزته زميلتنا جوليا كيربي في الجزء الأول من هذا الكتاب فإن "الجائحة قد تغلغل أنماط عدم المساواة في نُظمنا التعليمية، وتمثّل ذلك بوضوح في قلة فرص طلاب المجتمعات الفقيرة اقتصاديًا واجتماعيًا في الوصول إلى برامج التعلُّم عن بُعد عالية الجودة أثناء الأزمة مقارنة بطلاب المجتمعات الغنية".

لقد سلّطت الجائحة الضوء على مشكلات متباينة في نُظمنا التعليمية، لكنها أتاحت في الوقت ذاته فرصة سانحة لطرح الأفكار حول سُبُل مواجهة هذه التحديات في ظل شعار إعادة البناء على نحو أفضل. وعقب الاضطراب الهائل الذي أحدثته الجائحة في نظام التعليم، فقد تشكلت مساحة لطرح وسماع مختلف الأفكار حول كيفية تغيير التعليم، بدءًا من الأمل المتمثل في زيادة دعم المعلمين؛ مرورًا بتوقع أن يصبح التعلم الرقمي والتعلم عن بُعد هو الوضع الاعتيادي الجديد؛ وصولاً إلى أقصى التصوّرات ومفادها التساؤل هل حان الوقت لاختفاء المدارس بصورتها المعهودة؟ وبصرف النظر عن ذلك، فيبدو أن هذه الأوقات الفارقة قد أفضت إلى إعادة تقييم المفهوم الفعلي للتعليم وما عسانا أن نزود به أبناءنا الآن حتى يتمكنوا من المثابرة والصمود في هذا العالم الذي يكتنفه الغموض وعدم اليقين.

يستعرض القسم التالي موجزًا تجميعيًا لعددٍ من الخبراء وقادة البرامج في مجال التعليم، ويستند إلى العروض التقديمية في اليوم الثاني من مؤتمر تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره، في 16 أبريل 2020. وتورد هذه المقالات أفكار الخبراء في هونج كونج والهند والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، والتي تكشف عن توافق الآراء بأن الجائحة الراهنة قد أتاحت فرصة فريدة لطرح الأفكار المعمّقة واتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين مستوى التعليم في مجالات تخصصهم. وتشمل الموضوعات الرئيسة التي يمكن استخلاصها من هذه المقالات: فاعلية الطلاب وتعزيز قدراتهم وكفاءات التعلم الاجتماعية والوجدانية في السنوات المبكرة والقيادة في أوقات الأزمات.

تعزيز قدرات الطلاب

سطلت اثنتان من المقالات الفكرية الضوء على أهمية إعطاء مساحة أكبر لتعزيز قدرات الطلاب في إطار إعادة تصوّر التعليم، إذ يرى آرون إيدن، الرئيس التنفيذي لمعهد "Applied Tinkering"، أن الأزمة عضّدت وجهة نظره القائلة بأن "الأشخاص الذين يعملون مثل محركات البحث الآلية لن ينالوا العمل المنشود ولن يكون لهم الحق في اختيار مسارات حياتهم"، لا سيّما وأن هذا العالم بتعقيداته المتزايدة يتطلب امتلاك السمات البشرية، كالإبداع والتعاطف والفاعلية وحب الاستقصاء، وليس ما يُسميه "التفكير الحسابي والانعكاسية والإذعان الأعمى للسلطة". وبحسب ما أوردته مارغوت فوستر، مديرة الممارسات المهنية، فلعلّ جائحة "كوفيد-19" قد أحدثت صدمة في أنماطنا السلوكية اليومية وعاداتنا والروتين المعتاد، بما يجعلنا نعاود "رؤية واسكتشاف طلابنا من جديد، والنظر إليهم كمتعلمين بالطريقة الصحيحة وللمرة الأولى". وعلى غرار آرون، تفكر مارغوت في كيفية تغيير الوضع الحالي للتعليم المدرسي بوصفه "عقد تعاملات غير مُعلن بين المعلم والطالب مُفاده تلقين المعلومة من جانب المعلم وتلقيها من قِبل المتعلم فحسب".

ومتى أردنا تغيير النهج القديم للتعليم المشوب بعدم التوافق والإلزام، فعلينا عندئذٍ – طبقًا لما ذكره آرون –التخلي عن "التعليم السلطوي الشبيه بخطوط تجميع المنتجات" (ومقصد هذه العبارة أن التعليم قد أصبح بمثابة آلية تسير على غرار عملية تجميع المنتجات داخل المصانع لتنتج في نهاية المطاف دفعات من الطلاب ذوي عقول نمطية غير قادرة على التفكير

المستقل)، والتركيز بدلاً من ذلك على إقامة "أماكن غير تقليدية" ترحب بكل طالب يرغب في الالتحاق بها. ومع ذلك، فإن هذا التحول من "التعليم غير الذاتي إلى التعليم الموجه ذاتيًا" لا يرمي إلى استبعاد الآباء والمعلمين من الصورة، بل مقصوده التخلي عن الفكر السائد المتمثل في افتراض حقنا كراشدين في تقرير المهم للأطفال وإجبارهم على أدائه. وهذا يعني الانتقال إلى "حالة من الإنصاف والإبداع المشترك بدلاً من القيادة والسيطرة". ومُفاد ذلك أنه من خلال تلك الأماكن يمكنك بناء مجتمع تعليمي قائم على نظام قيم مُغاير يتبنى أخلاقيات المشاركة ويسمح للطلاب بالتفاعل مع كل من يقدم لهم يد العون والمساعدة. يمكن أن تتخذ "الأماكن غير التقليدية" شكل مدرسة قائمة بذاتها أو أكاديمية في منطقة ما أو مدرسة داخل مدرسة أو حتى تجرِبة تعليمية مكثفة لثلاثة أسابيع فحسب. ويرى إيدن ضرورة اعتماد هذه الأماكن على مستوى السياسة التعليمية حتى يتسنى توافرها فيما بعد.

وخلال عملها في جنوب أستراليا، اضطلعت مارغوت فوستر بإجراء مشروع بحثي في الفترة من 2010 حتى 2013 – شارك فيه نحو 484 معلمًا ومعلمة – لمعرفة مدى عمق العقد اللاإرادي بين المعلمين والطلاب. وكشفت نتائج المشروع عن الحاجة إلى تعزيز قدرات الطلاب في التعلم "بوصفها المحرك الرئيسي ونتاج التغيير التربوي المطلوب لتحسين التحصيل الدراسي على مستوى الدولة"، وعلى الرغم من فهم جدوى هذه النتائج، فقد كشف المشروع عن ثقافة "علاقة الإنقاذ" حيث اجتهد المعلمون وصمموا خطط دروس رائعة، ولكنها كانت مشوبة بوجود قدر ضئيل من التحدي المعرفي. كان المعلمون "ينقذون" المتعلمين ويحولون بينهم وبين التفكير الجاد بجعلهم مجرد مستقبلين للمعلومات. وقد بيّنت تجربة البحث أنه للانتقال من النهج التبادلي إلى نهج تعليمي يركز على الطالب ويمنح المتعلمين القدرات المطلوبة، فإن المعلمين بحاجة إلى رؤية طلابهم من منظور مختلف، بحسب ما ذكرته مارغوت، بمعنى النظر إليهم "كمبتكرين للمعنى وطارحين للأفكار وناشرين للمعرفة".

لقد طرحت أفكار مارغوت وآرون تساؤلات جوهرية حول بعض نُظُم التعليم التي عفا عليها الزمن وما إذا كانت تتجاهل إلى حدٍّ كبير الاحتياجات الحقيقية لطلابها. وهل كان النظام التعليمي يهتم بطرق التدريس أكثر من اهتمامه بتنمية مدارك الطلاب؟ أم كان متأهبًا لاستخدام الأدوات أكثر من استعداده لتعزيز جودة التعلم؟ وهل سلك المعلمون بطلابهم المسار الأيسر اتقاءً للمتاعب، وذلك على حساب إعدادهم ذهنيًا لمجابهة الصعوبات المقبلة؟

الهدف الأساسي للتعليم

دعا الكثيرون إلى إعادة تقييم نظامنا التعليمي، استنادًا إلى قناعتهم بأنه قد حان الوقت لتغييره من نمط تعليمي شبيه بخط التجميع الرامي فقط إلى تغذية سوق العمل، والتحول إلى نظام يمنح المتعلمين القيم الحياتية المطلوبة. وفي هذا الصدد، ذكرت ليسلي أودوين، مؤسسة برنامج Think Equal، أنه قد حان الوقت "لإعادة النظر في قيمنا" وفي "الأولويات المضلِلة"، كمثال على مفهوم المجتمع للنجاح الذي يُقاس بمقدار ما تحقق من الثروة المادية فحسب. لذلك، وعلى حد تعبيرها، فإننا بحاجة عاجلة إلى "إصلاح نظام التعليم الذي لا بُدّ أن يضطلع بدوره بوصفه المحرك الرئيس للإنسانية والتنمية المستدامة والتقدم البشري".

وعلاوةً على تعلُم مهارات الحساب والقراءة والكتابة والاختبارات، فلا بُد أن يُزود التعليمُ الأطفال بالمهارات الحياتية الأساسية أو التعلُّم الاجتماعي والوجداني. وفي إطار تحقيق ذلك، ثمّة إجماع واضح على أن التعليم بوّابة يمرّ المتعلمون منها إلى سوق العمل. وبحسب ما ذكرته ليسلي، فإن للتعليم دوره الحيوي في "تربية الأطفال لينعموا بحياة مُرْضية وصحية

وسعيدة وكريمة". ومع ذلك، ترى المؤلفة أن هناك حلقة مفقودة لا بُدَ من إدراجها في "الهدف الأساسي" للتعليم، وهي تعليم الأطفال قيم التسامح ونبذ العنف وتقدير بعضهم بعضًا على أساس المساواة والاندماج. وتدرك وزارات التعليم وصانعو السياسات أهمية المهارات والقدرات النفسية والاجتماعية والوجدانية، ولكن على الرغم ممّا تتضمنه قائمة مهارات التعليم الاجتماعي والوجداني، نجدهم يميلون إلى تعزيز مهارات الإبداع والتواصل وحل المشكلات ويغفلون في أحيانٍ كثيرة القدرات والسمات الأخرى كالمساواة بين الجنسين والثقافة الوجدانية والتعاطف وحل الخلافات بالطرق السلمية.

وسعيًا وراء بلوغ النتائج الإيجابية من التعلُّم الاجتماعي والوجداني مستقبلاً – وفقًا لما طرحته ليزلي – فمن الضروري البدء في تطبيق هذا النوع من التعلُّم منذ السنوات المبكّرة من عمر الطالب؛ أي قبل سن السادسة. وهذا يقودها إلى نقطتها المهمة حول الخلل الكائن بين أحوال معلمي السنوات المبكرة "غير المدربين الذين لا يحظون بالتقدير الكافي ويتقاضون أجورًا زهيدة" وبين التوقعات المتوخاة بأنهم سيبادرون إلى تقديم تعليم شامل عالي الجودة لطلابهم. وترى ليسلي أن تصحيح هذا الخلل سيستغرق وقتًا طويلاً، لذلك فإننا بحاجة إلى التفكير بواقعية وتطبيق نظام التعلُّم الاجتماعي والوجداني تطبيقًا إلزاميًا. ومن خلال برنامج "Think Equal" جرى وضع نحو 90 خطة تدريسية، وكتابة حوالي 22 كتابًا مصورًا سرديًا، إلى جانب عقد دورات تدريبية حول كيفية الانتفاع بمصادره. وتأتي خطط الدروس مصحوبة بإرشادات يسيرة متدرجة المستوى ليتبعها المعلمون، ما يُغني عن الحاجة إلى وجود متخصصين في التعلُّم الاجتماعي والوجداني لفهم المحتوى المقدّم.

وخلاصة القول إن واجبنا رعاية النشء، ومن حقهم أن يحظوا بالتأسيس المطلوب لتحقيق نتائج إيجابية في الحياة. وتسعى برامج "Think Equal" وغيرها من برامج المهارات الحياتية إلى جعل التعلم الاجتماعي والوجداني جزءًا إلزاميًا من النظام التعليمي في السنوات المبكّرة. وللمضي قدمًا في عالم ما بعد الجائحة، تبدو وجهة نظر ليزلي منطقية تمامًا بأننا نعيش في عالم موصوم بالفعل بشتّى أوجه عدم المساواة والانقسامات الاجتماعية، ولذا يتضح لنا أن تعليم أطفالنا مبادئ المساواة والتعاطف، في مقتبل أعمارهم بين 3 إلى 6 سنوات، هو السبيل الأمثل.

القيادة في أوقات الأزمات

كشفت الجائحة الراهنة عن أزمة القيادة في هذه الفترة العصيبة. وظهر ذلك جليًّا في تردد بعض حكومات الدول منذ تفشي الجائحة؛ فعجز هذه الحكومات عن اتخاذ قرارات حاسمة مسترشدة بآراء الخبراء في المجالين العلمي والطبي قد أثار حالة من غياب الرؤية والمخاوف الجماعية، فضلاً عن غياب القيادة العالمية عن المشهد. وبدلاً من تعاون الدول معًا في مواجهة الأزمة، سلك كل بلد طريقه بمفرده بمعزلٍ عن البُلدان الأخرى. إذن ماذا عن الإجراءات التي اتخِذت في مجال التعليم؟ لقد أربكت جائحة "كوفيد-19" حسابات وخطط مديري المدارس والقائمين على نظام التعليم ووضعتهم أمام اختبارات عِدة في المناحي النفسية والمعرفية والعملية. وكان على مديري المدارس المسارعة إلى تنسيق جهودهم في إطار التعامل مع أزمة إغلاق المدارس. وفي خِضم هذه "الفوضى"، أفاد كل من ألان ووكر ودارين براينت من جامعة هونج كونج بأن هذه الأزمة " خالفت أعرافًا مقررة في مبادئ القيادة، حتى تلك التي نشأت خلال فترات التعطُّل التي أصابت العملية التعليمية في السابق". ونظرًا لأننا لم نشهد مثل هذه الأزمة من قبل، "فلم يكن يمتلك القادة سوى القليل من الأدلّة التي توجه جهودهم – فضلاً عن طرح القليل من الحلول التي تتواءم مع تلك الظروف المتغيرة بصفة يومية".

إننا دائمًا ما نشهد في أوقات الأزمات أن القادة الأكفاء ليسوا من يملكون مفتاح الحلول، ولكن من بوسعهم مواجهة حالة الغموض السائدة في مختلف الاضطرابات المتغايرة. وبحسب ما ذكره ووكر وبراينت، فإن الاضطراب هو "وضع ليس له حل أو إجابات واضحة ولكن ينبثق عنه العديد من المسارات المتناقضة غالبًا التي تتشعب بهم في سبل مختلفة." وهنا تظهر شخصية القائد الحقّ صاحب القدرة على إدارة الاضطرابات عن دراية تصحبها القدرة على التأقلم والتكيّف، وهو من يستطيع قيادة مجتمعه خلال الأزمة. ومن الاضطرابات الشائعة التي تواجه قادة المدارس، بحسب ما ذكره ووكر وبراينت، إدارة مناحي الحياة الطبيعية أثناء عملية التعطُّل؛ وتعزيز الابتكار مع توخي الاتساق؛ ورعاية الأشخاص مع الحفاظ على المعايير؛ ورعاية الذات والآخرين في آن واحد.

وإلى جانب تلك الدروس المستقاة، تشير مؤرخة الأعمال نانسي كوهن في كتابها "من رحِم الأزمة" (Forged in Crisis) إلى أن القادة الحقيقيين هم من يقرون بمخاوف شعوبهم ويشجعون على حلها؛ وهم من يحددون لهم الأدوار والأهداف ويدعمونهم ماديًا ومعنويًا؛ وهم من يؤكدون على ضرورة التجربة والتعلم. وهذه العبارة الأخيرة تتصل ببعض النقاط التي أكّد عليها ووكر وبراينت، فوفقًا لما ذكرته كوهن فإن التجربة والتعلُّم تعني تكوين قادة أقوياء يألفون التعامل مع حالات الغموض والفوضى دون الحاجة إلى اللجوء إلى ما يُعرف بمسمى "دليل الأزمات". وبدلاً من ذلك، نجد القادة يكتفون بتوجيه تابعيهم "خلال الأزمة، ويكتفون بدورهم في التعديل والتحسين وإعادة التوجيه وذلك في ظل تغير الوضع وظهور معلومات جديدة".

علينا ألّا نفوّت فرصة الاستفادة من الأزمة

في إطار التحول الذي نشهده خلال هذه الأوقات المبهمة، نتذكر قول الراحل الدكتور مارتن لوثر كينغ أنه "في خضم الظلام الدامث، يمكننا رؤية النجوم". لقد أكّدت جائحة كورونا من جديد أهمية الرعاية الصحية الشاملة والحاجة إلى دعم الحكومة للاقتصاد في أوقات الأزمات، ولفتت انتباهنا إلى العمال الأساسيين كأحد الركائز الأساسية في أي مجتمع – مثل العاملين في مجال الرعاية الصحية وخدمات الطوارئ وعمّال البقالات وعمّال النظافة وغيرهم. كذلك لا نستطيع إغفال دور العاملين في قطاع التعليم. وإذا كانت الحكومات تُعطي الأولوية لاستقرار الاقتصاد ودعم نُظم الرعاية الصحية، فلا يمكننا إغفال دعم التعليم وعدم وضعه على رأس أولوياتنا إلى جانب الاقتصاد والصحة. وبالفعل، أسفرت هذه الجائحة عن ضياع أثمن السنوات التعليمية لدى الأطفال، إذ خلّفت الجائحة تبعات وخيمة حتى الآن على ما يقرب من 1.725 مليار متعلم ومتعلمة.

لقد توقفت كل مناحي الحياة بفعل هذه الجائحة، وهو ما يجعلنا نعيش في حالة من غياب الرؤية الواضحة لمستقبلنا المنظور، لكن علينا ألا ننسى أنها كانت سببًا في إنشاء قنوات جديدة من الابتكار والإبداع تسارعت بمعدلات غير مسبوقة. كما واجهت النُظم المدرسية تحديًا كبيرًا بشأن إعادة النظر في طرائق التعلم التقليدية ووضع نماذج جديدة لاستيعاب الواقع الجديد الذي نشهده. لذا، علينا أن نسأل أنفسنا: ما الذي يمكن أن نتعلمه من هذه الأزمة بهدف تحسين نظامنا التعليمي في المستقبل؟

لقد أسهمت الأفكار والتجارب التي طرحها مؤلفي الكتاب في بناء بيئة خصبة لإعمال الفكر. ومن خلال إعادة تصوّر التعليم، دعونا نبدي ثقتنا في متعلمينا ونعزز من فاعلية طلابنا من خلال منحهم مساحة للتعلم من إخفاقاتهم بما يحقق لهم الفائدة المنشودة بنهاية المطاف. وإنني أدعو إلى تعليم أجيالنا المقبلة، في مقتبل أعمارهم، قيم المساواة والتعاطف والكفاءات

والمهارات التعليمية الاجتماعية والوجدانية، لكي ينشؤون في مجتمع سمته العناية بالآخرين وتحقيق العدالة للجميع. وختامًا، علينا أن نتذكر أن القيادة الحقيقية – سواء أكانت متصلة بقادة المدارس أو الحرم الجامعي أو قادة التعليم العالي – لا تتمثل في امتلاك كافة الحلول، بل تتجلى حقًا في التصدي لحالة الغموض التي نعايشها بشيءٍ من القدرة على التكيّف والتأقلم مستنيرين في ذلك بقيمنا الراسخة.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل عمر ذكي منصب باحث مشارك أول لدى مؤتمر "وايز".

استكشاف المتعلمين من جديد

تعزيز فاعلية الطلاب في جنوب أستراليا

بقلم مارغوت فوستر

"الفرص تلوح خلال الأزمات"

كثيرًا ما سمعت هذه العبارة على مدار الأشهر التي شهدت تفشي جائحة "كوفيد-19"، وهي تعني – بالنسبة لي – التفكير بشأن كيفية التعاطي مع الرؤى العالمية الجديدة فيما يتصل بالتعليم والتعلُم بعد أن كادت الأمور تخرج عن السيطرة. وإذا كان التعلُم العميق يتطلب الصدمة/المحفز اللازم، فإن التخلي عن أنماطنا السلوكية اليومية والعادات المألوفة قد يكون بمثابة كل ما نحتاج إليه لإعادة استكشاف قدرات طلابنا من جديد، والنظر إليهم كمتعلمين للمرة الأولى.

وفي أحيانٍ كثيرة يُقال إن العائق الأكبر في تغيير نهج التعليم هو التجربة الشاملة للتعلُّم – ومفادها وجود عقد غير مُعلن بين المعلم والطالب يقضي بتلقين المعلومة من جانب المعلم وتلقيها من قِبل المتعلم؛ وهذا هو الوضع السائد في عملية التعلُّم، ومن الصعب إعادة تصوره أو نسيانه أو تغييره.

وفي جنوب أستراليا ما بين عامي 2010 و2013، تكّشف لنا مدى تغلغل هذا العقد في نظامنا التعليمي؛ فقد كشف مشروع بحثي دراسي امتد على مدار أربع سنوات، شارك فيه نحو 484 معلمًا بعنوان "المجتمعات وبناء شراكات وطنية تصنع الفارق: التعليم من أجل التعلُّم الفاعل في جنوب أستراليا" عن طبيعة العلاقات المتبادلة المعقدة القائمة بين الفكر التربوي للمعلمين وإشراك الطلاب والتحصيل الدراسي. وسلطت نتائج المشروع البحثي الضوء على يلي:

- حصيلة الأدوات والطرق التربوية التي يراعيها المعلمون.
- العلاقة بين رؤى المعلمين على المستوى العالمي وجودة الطرق التربوية.
- سمات الطالب الأساسية وتأثيرها على مشاركته وتحصيله الدراسي.
- العلاقة بين جودة الطرق التربوية وعناصر محددة من مقاربة التدريس من أجل التعلم الفعال وأثرها على سمات الطلاب من حيث الرغبة في التعلم والفائدة والأثر الإيجابي والأثر السلبي والسلوك الاجتماعي السلبي.
- تصورات الطلاب حول الطرق التربوية المتبعة من جانب المعلمين.

وقد أسهمت الرؤى المستقاة من هذا البحث في التركيز على تعزيز قدرات الطلاب في التعلم بوصفها المحرك الرئيسي ونتاج التغيير التربوي المطلوب لتحسين التحصيل الدراسي على مستوى الدولة. وقد أضحت هذه الرؤى بعد ذلك محورًا رئيسيًا في عدد من المبادرات على مستوى الإدارات المعنية في ذلك الوقت. ومن بين هذه المبادرات البرنامج التدريبي للتدريس من أجل التعلم الفاعل في جنوب أستراليا.

انطوى هذا البرنامج على إقامة شراكة بين الوحدات المعنية بخدمات التدريس والتعلُّم، وأبدّت 10مدارس استعدادها لاستكشاف طرق مبتكرة بهدف تعزيز قدرات طلابها في التعلُّم. وكان المبدأ الأساسي للمبادرة قائمًا على مشاركة مديري المدارس والمعلمين مع الطلاب من البداية، بحيث لا يقتصر ذلك على التشاور مع الطلاب فحسب، بل الهدف بناء شراكة حقيقية مراعية للاحتياجات القائمة.

والتساؤل هنا لماذا اشترط البرنامج وجود هذا المبدأ الأساسي؟ وتكمن الإجابة في نتائج البحث المتعلقة بآراء المعلمين على الصعيد العالمي وجودة التدريس المقدّم؛ فقد كنا نبحث عن طرق لدعم المعلمين في تطوير ذخيرتهم التربوية وطرق التدريس الناجعة، بما يعزز من إقبال الطلاب على التعلُم ويعضّد قدرتهم على التأقلم في مواجهة التحديات المعقدة وغير المألوفة التي تعترض سبيل تعلُمهم.

وعلى مدار تلك الفترة، كشفت 2000 ساعة فأكثر من متابعة الأنشطة الصفيّة عما يسمى بثقافة "علاقة الإنقاذ"، حيث شارك الطلاب في أنشطة ممتعة لكنها تفتقر إلى القدر الكافي من التحدي المعرفي. وعلى الرغم من جهود معلمينا الحثيثة، وتصميمهم لعدد من الأنشطة المتميزة ورعايتهم للطلاب، فقد آلت النتائج – غير المقصودة – إلى وجود ما يُعرف بثقافة "إنقاذ" المتعلمين والحيلولة بينهم وبين التفكير الجاد. وكشفت المقابلات الشخصية عن تحقيق طلابنا مستويات "دون التوقعات"، فضلاً عن التداخل المعقد بين معتقدات المعلمين والمناهج التربوية وخصائص تعلم الطلاب الناتجة عنها. وفيما يلي النتائج المنبثقة عن البحث:

النتيجة الرئيسية (2-1):

تؤثر معتقدات المعلمين وتصوراتهم بشأن الأدوار المنوطة بهم على ممارساتهم التربوية، وقد حُددت ثلاثة محاور للممارسات التربوية على النحو التالي:

- تغطية المحتوى والتحكم فيه: يتمثل دور المعلم في تغطية المناهج الدراسية.
- بناء علاقة كبيرة مصحوبة بقليل من التحدي: اضطلاع المعلم بدوره في رعاية الطلاب والاهتمام بهم.
- التعلُّم المراعي للاحتياجات وطرق التدريس المتمحورة حول الطالب: يتمثل دور المعلم في ضمان تعلم الطلاب في إطار هادف.

النتيجة الرئيسية (2-2):

يؤثر الوعي المعرفي لدى المعلمين على نهجهم في التدريس: فهناك نهج "التدريس النصي" الذي يركز على التقدم المرصود والمتسلسل في تدريس المنهج التعليمي واتباع خطة محددة مسبقًا؛ وهناك نهج "التدريس التصميمي" والذي يتسم بكونه نهجًا مخصصًا يُراعى فيه احتياجات الطلاب من أجل تحقيق نتائج التعلم المرجوة.

النتيجة الرئيسية (2-3):

أظهر المعلمون أصحاب نهج "التدريس التصميمي" امتلاكهم حصيلة تربوية وطرق تدريس أكثر تطورًا، وكانت مستويات طلابنا التي جاءت "دون التوقعات" دافعًا أساسيًا لتغيير ممارساتنا التعليمية التي اعتدنا عليها سابقًا والعمل على وضع نهج تربوي أكثر تطورًا ومراعاة لاحتياجات الطلاب.

من هنا صِيغ المبدأ الأساسي لبرنامجنا التجريبي "التدريس من أجل التعلم الفعال"، ومفاده أنه إذا دخل مديرو المدارس والمعلمون في شراكة أصيلة مع الطلاب بهدف وضع أساليب جديدة للتعلم، فيمكنهم عندئذٍ تقييم ما قدموه بوضوح علاوةً على إعادة استكشاف قدرات طلابهم من جديد.

كما نفّذت المدارس المشاركة البرنامج التجريبي من خلال انتهاج عدة طرق، وفيما يلي بعض منها:

- ابتكرت مدرسة كريجمور الثانوية تصميمًا يُسمى "5x5" – وهو عبارة عن شكل جديد من أشكال مجتمع التعلم المهني في مدرستهم، يتجسد في قيام خمسة طلاب وخمسة معلمين بتصميم وحدات عمل يمكنهم من خلالها التعرف على آراء الطلاب بشأن إعادة التصميم لزيادة نسبة المشاركة.

- وفي مدرسة سي فيو الثانوية، وضع المعلمون أسئلة–لا يمكن العثور على أجوبة لها على محرك البحث جوجل–لموادهم الدراسية بهدف تحفيز الطلاب على إعمال عقولهم ومحاولة حلها.

- وفي مدرسة جيلز ستريت الابتدائية، قدّم الطلاب ملاحظات للمعلمين حول ما نجحوا في القيام به وما عجزوا عن أدائه في تعلُم مادة الرياضيات، وشارك المعلمون معهم لاحقًا خططهم بشأن كيفية الردّ على الملاحظات الواردة من الطلاب.

- وفي اتحاد مدارس ساحل ماريون (بدءًا من مرحلة الروضة وحتى الصف الثاني عشر)، نظّم الطلاب والمعلمون جولات تعلُّم طلابية يجرى خلالها رصد ومتابعة أداء الطلاب في الصفوف الدراسية، بهدف جمع الأمثلة على التفكير المتعمق وأسباب "الإخفاق" في التعلُّم – ثم مشاركة هذه الرؤى مع المعلمين والمديرين في اجتماعات هيئة التدريس وأولياء الأمور في مجالس إدارة المدارس، حيث يتبنى المعلمون ويتأقلمون مع الممارسات التربوية الناجعة لزملائهم والتي لاقت قبولاً لدى الطلاب.

أظهر لنا البرنامج أن تغيير الممارسات التربوية أمر صعب، كما تبين لنا أيضًا أنه لاستكمال التحول من نهج "تغطية المنهج التعليمي" والبدء في بناء نهج تعليمي مبتكر يتيح مساحة أكبر للحوار ويركز على الطالب، احتاج المعلمون إلى "دفعة" معرفية ومنظور جديد لإعادة استكشاف قدرات طلابهم – أي النظر إليهم على أنهم صُناع للمعاني ومبتكرين للأفكار والمعرفة والخبرة ... وعندها فقط بات من الممكن اكتشاف أن طرق التدريس الشائعة في تدريس المناهج الدراسية وتغطية مقرراتها قد حالت دون تمكين الطلاب من إبراز إمكاناتهم، بما يحول دون تعزيز قدراتهم والمهارات المطلوبة منهم في عملية التعلُّم.

لقد كنّا بحاجة إلى إفساح المجال أمام المشاركة الطلابية؛ وعندما أتاحت المدارس هذه المساحة من خلال المشاركة في تصميم البرنامج وتجربته، كان ذلك بالنسبة للكثيرين بمثابة بارقة أمل تُنبئ عن زوال مقاربات التدريس التقليدية التي تغفل دور الطلاب الحتمي في التعلُّم. وإنني أتساءل الآن: هل ستسفر الجائحة والصدمة الراهنة عن التخلي عن أساليب التدريس الصفيّة المعتادة وتجبر صانعي القرار على إعادة التفكير بشأن نُظُم التعلم لدينا؟ وهل بإمكانها أن تُغير من رؤى وأساليب المعلمين، بما يمكنهم من رؤية واستكشاف قدرات طلابهم من جديد ومنحهم المساحة الكافية لتنمية قدراتهم؟

*****

نبذة عن المؤلفة: تعمل مارغوت فوستر مديرة لقسم الممارسات المهنية في إدارة التعليم بجنوب أستراليا

القيادة وقت الأزمة

الأزمات التي تصنع القادة

بقلم آلان ووكر ودارين براينت

يقوم نجاح الجهود المبذولة أثناء الأزمات على كفاءة القيادة الحقيقية. وفي ظل تزايد عدم القدرة على التنبؤ بجميع الخطط التنظيمية، يتعرض قادة المدارس ومديروها إلى وضع قدراتهم النفسية والمعرفية والعملية تحت الاختبار. وقد برزت أهمية هذا الأمر بسبب هشاشة النظام التعليمي الناجمة عن حالة الطوارئ المستمرة التي خلّفتها جائحة كورونا الراهنة.

لقد أعقبت الأزمة أوضاع صعبة في شتى جنبات مجتمعاتنا، بما أفضى إلى حالات من الفهم المغلوط ومخالفة الأعراف المقررة في القيادة، ومنها الأعراف والمعايير التي نشأت خلال الاضطرابات السابقة. ومن ثم، لم يعد يمتلك القادة سوى القليل من الأدّلة التي توجه جهودهم – فضلاً عن طرح القليل من الحلول التي تتواءم مع تلك الظروف المتغيرة بصفة يومية. وبالنظر إلى غياب المعايير المُطبّقة سابقًا، فلم يعد يُنظر إلى القادة الأكفاء على أنهم يمتلكون مفتاح الحلول، ولكن من بوسعهم مواجهة حالة الغموض السائدة في مختلف الاضطرابات المتغايرة . والمقصود بالاضطراب هنا هو وضع ليس له حل أو إجابات واضحة ولكن ينبثق عنه العديد من المسارات المتناقضة غالبًا التي تتشعب بهم في سبل مختلفة.

هنا تظهر شخصية القائد الحقّ صاحب القدرة على إدارة الاضطرابات عن دراية تصحبها القدرة على التأقلم والتكيّف، وهو من يستطيع قيادة مجتمعه خلال الأزمة إلى برّ الأمان. ويستعرض الجدول 1 بعض الاضطرابات الأكثر شيوعًا التي تواجه القادة في هذه الأزمة، وقد جرى طرح أربع منها الآن بمزيد من التفصيل.

الجدول 1: تمخضت الأزمة عن إدارة القادة للاضطرابات التالية:

- العمل على إدارة الحياة الطبيعية أثناء إدارة الاضطرابات
- سرعة الإجراءات التي يصاحبها التروي في إدارة الأزمة
- تشجيع الابتكار مع السعي إلى تحقيق الاتساق
- دفع عجلة الابتكار مع السعي إلى تحقيق التماسك
- رعاية الموظفين والاهتمام بالتعلم في آن معًا
- تعميم القرارات عند اتخاذها
- التعلُم والتخلي عن مفاهيم التعلم الخاطئة
- اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحتنا والحرص على مصلحة الآخرين
- رعاية الأشخاص مع الامتثال للمعايير
- العناية بالنفس وبالآخرين في آن واحد

الاضطرابات التي يتعرض لها القادة

العمل على إدارة الحياة الطبيعية أثناء إدارة الاضطرابات: عند مواجهة الأزمات، يتطلع الأشخاص إلى قادتهم آملين في الشعور بالاطمئنان أو الأمن؛ فهم بحاجة إلى من يمنحهم الطمأنينة ويخبرهم أن الأمور تسير على خير حال. لذا، تنعقد على القادة مسؤولية تأمين حيز من الاستقرار يمكن للأشخاص أن يعيشوا ويعملوا في ظله – وبعبارة أخرى وضع نموذج أساسه القيم يمكن أن "يشعر به" الأشخاص إذا تداعت الأمور من حولهم. وعلى الجانب الآخر، يجب على القادة مساعدة أفراد المجتمع على إدارة الاضطرابات في حياتهم وعملهم والتأكد من عدم توقف حركة طلابهم ومجتمعاتهم، وأن بإمكانهم التفاعل بقدر من العقلانية والإيجابية.

تشجيع الابتكار مع السعي إلى تحقيق الاتساق: يتطلب التعامل مع الأزمة تفكيرًا إبداعيًا وقرارات جريئة. ولا يمكن تلبية هذا المطلب من خلال القادة وحدهم، بل يتعين تضافر جهود كافة العاملين بالمؤسسة. وتوخيًا للأمور غير المتوقعة، يجدر بالقادة منح مرؤوسيهم مساحة كافية لطرح الابتكارات وتنفيذها في نطاق أدوارهم ومسؤولياتهم، وأن يضطلع القادة في الوقت ذاته بمسؤولية الحفاظ على قدر من الاتساق على مستوى مؤسساتهم. وهذا يستلزم التأكد من أن الأفكار المُثلى لا تختص بمجموعات بعينها، بل يجب نشرها وتعميمها لمصلحة المجتمع بأكمله، وذلك بصرف النظر عن مصدرها.

رعاية الأشخاص مع الامتثال للمعايير: عندما تحِل الأزمات، يتعين على القائد رعاية أفراد مجتمعه في المقام الأول – فيجب على مديري المدارس مثلاً رعاية معلميهم وطلابهم وغيرهم. وهذا يستلزم بذل كل الجهود الممكنة للحفاظ على سلامة هؤلاء الأشخاص جسديًا ونفسيًا وعلائقيًا، علاوةً على العمل على كبح جماح الخوف المستشري بينهم قدر الإمكان. ونحن نعلم أن تقديم الرعاية من الأمور المسلّم بها؛ ولكن إذا ساد الخوف، فمآل الأوضاع إلى تدهور وخيم. ومع هذا، لا يمكن أن تكون الأزمة داعيًا أو مبررًا للتخلي عن التمسك بالمعايير. وفي جميع الأزمات، يجب على المؤسسات التركيز على هدفها وتحديد التوقعات لبلوغ هذا الهدف – فالقادة هم حُماة المعايير والتوقعات، وعليهم الامتثال لها حتى وإن تغيرت السياقات.

العناية بالنفس وبالآخرين في آن واحد: قد يبدو هذا المطلب يسير المنال، لكنه ليس كذلك؛ إذ يعمد القادة المخلصين خلال الأزمات إلى بذل ما في وسعهم لرعاية مجتمعهم، لكنّ ذلك يتأتى في كثير من الأحيان على حساب راحتهم. وفي حين قد يتراءى للبعض أن هذا هو الواجب والمأمول فعله في سياقات مشابهة، إلا أنه قد يُفضي إلى نتائج عكسية. ولذلك تحتاج المؤسسات التي تعترضها الأزمات إلى قادة يتمتعون بالذكاء واليقظة معًا، ولن يحدث هذا إذا لم يهتم القادة بأنفسهم جسديًا وعقليًا حتى يتسنى لهم اجتياز الأزمة.

الأزمات تصنع القادة

يدعي العديد من القادة أن شخصياتهم قد تشكّلت من رحم الأزمات، ومقصود ذلك أن الأزمة هي التي تنبؤ عن قوة شخصيتنا وتضعنا إما في صفوف العامّة أو في مصاف القادة. وقد تكون مجابهة الاضطرابات التي لا تتشكل إلا بفعل الأزمات هي ما يسهم فعليًا في تكوين شخصياتنا. ولا تُعنى القيادة طيلة حدوث الاضطرابات بالتوازن ولا بمسألة العدالة – بل تُعنى بالتحلي بالقيم الصحيحة لمواصلة العمل في ظل غياب الرؤية الواضحة التي تفضي إلى تلك الاضطرابات – وهنا يمكن القول إن تلك اللحظات العصيبة هي التي تصنع قادة المستقبل.

وقد علمتنا التجارب أن القادة الذين ينجحون في ذلك يمكن اعتبارهم أصحاب رؤى براغماتية، وهم أنفسهم من يبقون على هدف قصير المدى وموجه نحو المستقبل، ويصبحون بمثابة قاعدة الاستقرار التي يستند إليها عمل الآخرين وحياتهم، وهم من يبدون الاهتمام والعناية بالآخرين ويظلون على اتصال وثيق بمن حولهم متحلين بالتواضع في كل أفعالهم، وهم كذلك من يدخرون طاقاتهم ويبقون على فسحة من الأمل الذي يمنحونه للآخرين، ناهيك عن تمتعهم بالقدرات العقلية الكبيرة.

*****

نبذة عن المؤلفين: يشغل آلان ووكر منصب أستاذ كرسيّ جوزيف لاو للقيادة التربوية الدولية بجامعة التربية بهونج كونج. أمّا دارين براينت فيعمل رئيسًا لقسم الإدارة والسياسات التعليمية في جامعة التعليم بهونج كونج.

تسريع وتيرة العمل من أجل تغيير نظام التعليم

بقلم ليزلي أودوين

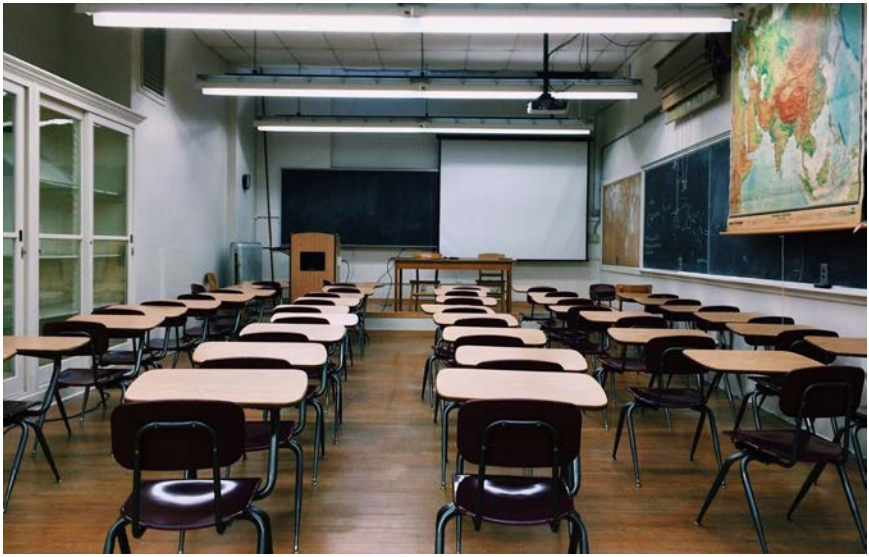

يُعدّ التوقف الواضح في حركة الحياة على الأرض بفعل جائحة "كوفيد-19" التي خيّمت بظلالها على العالم قاطبةً بمثابة الوقت الأمثل للتأني في التفكير وإعادة تقييم المبادئ الأساسية التي اعتدنا النظر إليها كأمر مُسَلّم به. لقد حان الوقت لإعادة النظر في قيمنا والأعراف الاجتماعية والثقافية الراسخة والأولويات المضللة التي انسقنا خلفها مقيدين دونما تدبر. لقد حان الوقت لتأمل ما يجري حولنا عندما يطغى تفكيرنا في تكديس الثروة على إنسانيتنا ويهدد بقاءنا على هذه الأرض.

كما حان الوقت لنتخلى عن السخرية واللامبالاة التي اعتدناها، ولنُلزم أنفسنا بقيم ومبادئ إنسانية جديدة، والأهم من ذلك ضرورة وضع الخطوات التي تعيننا على بلوغ هذه الأهداف. وعلينا في السياق ذاته المسارعة إلى إصلاح نظام التعليم الذي يجب أن يكون قاطرة مبادئنا الإنسانية الجديدة، والدافع نحو تحقيق التنمية المستدامة والتقدم البشري بوجه عام. ويجب أن تتميز هذه الفترة من تاريخنا المعاصر بنجاحنا في إعادة تصوّر التعليم والشروع الفوري في تغيير النظام التعليمي من خلال الاستعانة بالوسائل البرامجية الفعالة بهدف تحقيق النتائج الملموسة على أرض الواقع.

ثمّة حلقة مفقودة في نظام التعليم الحالي؛ فبالإضافة إلى تعلم مهارات الحساب والقراءة والكتابة والاختبارات – وهي السمات المميزة لنظامنا التعليمي الذي تقادمت ملامحه – نحتاج إلى تزويد أطفالنا بأسس "المهارات الحياتية" أو "التعلُّم الاجتماعي والوجداني. ويقع على عاتق مسؤولي التعليم التزام رعاية الأطفال كي ينعموا بحياة مُرْضية وصحية وسعيدة وكريمة كمواطنين عالميين يتمتعون بقدر من المسؤولية والشعور بالمساواة. وإنني على قناعة تامة بأن هذه "الحلقة المفقودة" يجب أن تشكل الهدف الأساسي للتعليم (لا سيّما التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة)، من أجل تعليم أطفالنا قيم التسامح ونبذ العنف والمحبة والتقدير على أساس المساواة التامة والإدماج، واحترام وحماية كوكبنا الذي نعيش جميعًا عليه.

ويكتسب التساؤل عن الوقت الأنسب لبدء إدراج التعلم الاجتماعي والوجداني في عملية التعليم أهمية قصوى. وللعلم فإن معظم برامج التعلم الاجتماعي والوجداني يبدأ تقديمها للأطفال في سِن السادسة أو الثامنة باعتباره السن الأمثل لتطبيق هذه النوعية من البرامج. فكما لا يتسنى لأي مهندس معماري الشروع في البناء من الطابق الأرضي صاعدًا إلى الطوابق العُليا دون إرساء أساس متين أولاً، فلا بُدّ أن يبدأ التعليم الاجتماعي والوجداني في السنوات المبكّرة من عمر الطالب ليشكل الأساس الذي تقوم عليه العملية التعليمية (وبالطبع فإن سِن ما قبل السادسة هو السِن الأنسب لذلك)، وذلك إذا كنا ننشد إرساء أسس قوية لأطفالنا تسفر عن نتائج إيجابية مستقبلاً في حياة المجتمع ككل. تجدر الإشارة إلى أن ثمة أنشطة معينة في العقل البشري المتطور، من بينها الطرق المعتادة للاستجابة والتحكم الوجداني، وهي مكونات أساسية للمواقف والسلوكيات المعادية للمجتمع. تتوقف عن التطور في سن السادسة (مجلس تنمية الطفولة المبكرة؛ ناش 1997، ودراسة السنوات المبكرة 1999؛ شونكوف، 2000). وإذا أحسنّا استغلال هذه السنوات، فلا ريب أننا سنجني ثمرات جمّة من حيث تعزيز الأداء الدراسي والسلوك الاجتماعي، وتقليل وطأة عدم المساواة بين الأجيال والعنف القائم على النوع الاجتماعي وخفض معدلات حمل المراهقات وارتكاب الجرائم والشعور بالاكتئاب وكذا انخفاض معدلات الانتحار، بما في ذلك الحد من عوامل الخطر على الصحة البدنية (مثل أمراض القلب والأوعية الدموية).

لقد صارت الرؤية لدى وزارات التعليم وصانعي السياسات في جميع أنحاء العالم أكثر وضوحًا بشأن المهارات والكفاءات النفسية والاجتماعية والوجدانية التي ينبغي إدراجها بأي من برامج التعلُّم الاجتماعي والوجداني. وفي ظل الإجماع الواضح على أن التعليم بوّابة يمرّ المتعلمون منها إلى سوق العمل ، نجد تركيز القائمين على التعليم موجهًا نحو تعزيز جوانب التنظيم الذاتي والتعاون والمرونة والإبداع والتواصل والرعاية الذاتية وحل المشكلات، مع إغفال تنمية الجوانب الأخرى كالمساواة بين الجنسين والتفكير الناقد والثقافة الوجدانية وحل الخلافات بالطرق السلمية وقبول التنوع واحترام الذات والاندماج والتعاطف والوعي البيئي. ومثل هذه المهارات هي التي تعزز من كرامة الإنسان وتدعم التنمية المستدامة والرفاه. وعلى الرغم من الإلمام بما يجب فعله، فإن جُلّ ما يشغل المسؤولون هو الجوانب العملية لكيفية إدراج هذا "النهج الجديد"، وذلك نتيجة لعدم إدراكهم للمصادر المتاحة أو المطلوبة.

ويأتي المعلمون في طليعة التغييرات التي نحتاج إلى إجرائها، ولا يمكن لنا إغفال دورهم المهم في هذه المرحلة. وبعد أن أدركنا مؤخرًا الأهمية الحاسمة للتعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، تكشّف لنا أننا نتعامل مع معلمي هذه المرحلة على أنهم مجرد مجالسي أطفال أو أكثر من ذلك بقليل. وبالتالي، هناك خلل كبير بين أحوال معلمي السنوات المبكرة غير المدربين الذي لا يحظون بالتقدير الكافي ويتقاضون أجورًا زهيدة من جهة وبين التوقعات المنشودة بأنهم سيبادرون إلى تقديم تعليم شامل عالي الجودة، وذلك في إطار تحقيق قائمة من النتائج والأهداف السامية التي حددناها في الآونة الأخيرة. لا ريب أن الأمر سيستغرق عقودًا حتى نتمكن من تدريب معلمي الأطفال في السنوات المبكّرة تدريبًا كاملاً يتسم بالجدية المطلوبة. وحتى

ذلك الحين، أعتقد أنه يجب علينا إلزام تدريس التعلم الاجتماعي والوجداني، الذي يشكل أحد الحقوق الأساسية التي ينبغي توفيرها لكل طفل. ولا ينبغي أن يضطر الأطفال إلى المعاناة بسبب الفوارق في تدريب المعلمين ومهاراتهم وكفاءتهم والتي نتجت عن تجاهلنا لها طوال الفترات السابقة.

وهذا هو السبب الذي دفعنا إلى ضرورة أن يتضمن برنامج Think Equal، الذي جرى إعداده وإطلاقه بفضل الاستفادة من آراء قادة الفكر العالميين في هذا المجال، خطط دروس تشتمل على إرشادات تدريجية يتبعها المعلمون. ولا يتطلب استخدام البرنامج خبراء في التعلُّم الاجتماعي والوجداني، بل كل ما نحتاجه هو إجادة القراءة فحسب. كما يتيح البرنامج مجموعة من المصادر المُختبرة والعملية التي ترمي إلى إطلاق العنان لخيال المعلمين وتحفيزهم وتمكينهم من تدريس التعلُّم الاجتماعي والوجداني على مدار 30 أسبوعًا للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و6سنوات. كما يقدم البرنامج (مجانًا أو بتكلفة مباشرة) ثلاثة مستويات تناسب كافة أعمار الأطفال، ويحتوي كل مستوى على 22 كتابًا مصورًا سرديًا و90 خطة تدريسية علاوةً على المصادر المرفقة بها. كما يحظى المعلمون بالدعم والتوجيه على مدار السنة الأولى من تدريس البرنامج، ويستغرق تدريبهم يومين فقط، حيث يشرعون في دراسة بعض العلوم الذهنية علاوةً على التعرف على الغرض والتأثير المتوقع للبرنامج وكيفية استخدام المصادر المتاحة به. ويتلقى المشاركون تدريبًا بواقع 3 مرات أسبوعيًا، وفي كل مرة يقومون بالتدريس وفق خطط الدروس الإرشادية. يتيح هذا النهج إجراء تغيير عملي وفوري على مستوى النظام يتسم بالاستدامة والقابلية للتوسع والتطوير.

ختامًا، يتبيّن لنا أن هناك واجب أدبي وأخلاقي قائم على إرساء الحقوق يحتم علينا العمل على إجراء التحسينات اللازمة وعدم الركون إلى الأُطر النظرية ومجرد الرغبة في بلوغ الأهداف المنشودة. إنّ علينا رعاية أطفالنا في السنوات المبكّرة من أعمارهم، وأن نمنحهم الحق الأصيل في أن يحظوا بالنتائج الإيجابية في حياتهم بما في ذلك حقهم في تكافؤ الفرص. ومن حقهم علينا أيضًا ألا نعمد إلى تنشئتهم ليصبحوا مغتصبين أو متنمرين، بسبب تعرضهم للتحيز وعدم تزويدهم منذ صغرهم بالإمكانات والمهارات التي يحتاجونها لإطلاق قدراتهم والنجاح في هذه الحياة. ولهذا فإن برنامج Think Equal وغيره من برامج تعزيز المهارات الحياتية يتيح الفرصة لضمان تنشئة الأطفال تنشئة سليمة مع الاعتراف بحقوقهم وإعمالها. ويجب إيلاء الأولوية لتقديم التعلُّم الاجتماعي والوجداني باعتباره المحور الإلزامي الثالث في التعليم في السنوات المبكّرة؛ وعندها فقط سيكون بمقدورنا التخلص من نزعة التمييز والعنف المتناقلة بين الأجيال بسبب عدم اتخاذ ما يلزم إزائها.

وخير ما اختتم به مقالتي عبارة أقتبسها من كلام الراحل غاندي: "إذا أردنا الوصول إلى سلام حقيقي في العالم... فعلينا أن نبدأ في تعليم الأطفال".

*****

نبذة عن المؤلفة: ليزلي أودوين هي مؤسسة برنامج Think Equal.

التحوّل الأساسي المطلوب لتغيير مفهوم التعليم

بقلم آرون إيدن

تتعالى الأصوات المطالبة بضرورة العمل على "إخراج التعليم من هذه الأزمة العالمية منسلخًا من نهجه التقليدي". ونحن كمؤيدين لهذه الدعوات، فإن مقصدنا من هذا التحول أن يصير التعليم أكثر إنسانية وأكثر إنصافًا. ونقتفي في هذا السياق أثر ما كان ينادي به جون ديوي وغيره من المعلمين على مدار أكثر من قرن من الزمان، مؤكدين على أن نظام التعليم السلطوي والآلي الشبيه بخطوط التجميع يحد من إطلاق القدرات البشرية على مستوى العالم. وقد سلطّت الأزمة الراهنة الضوء على أمور جليّة بالفعل، منها أن الأشخاص الذين يعملون كمحركات البحث الآلية لن ينالوا العمل المنشود ولن يكون لهم الحق في اختيار مسارات حياتهم، لا سيّما وأن عالمنا بتعقيداته المتزايدة يتطلب امتلاك السمات البشرية – مثل الإبداع والتعاطف والفاعلية وحب الاستقصاء – وليس التفكير الحسابي والانعكاسية والإذعان الأعمى للسلطة الناجم عن نظامنا التعليمي الحالي في ظل أساليبه وأهدافه الحالية.

غير أننا في هذا المسعى منذ عقود، فلماذا إذن سيتغير منظورنا السائد عن التعليم غير المتسق والقائم على الإلزام هذه المرة؟ لقد رأى العديد من الآباء والأمهات عن كثب عدم جدوى كثير من الواجبات المطلوبة من أطفالهم، لا سيّما في ظل الظروف الراهنة التي أجبرتهم على مواصلة التعلُّم من المنزل. وقد رأوا كذلك أن فاعلية تعليمهم تقل نتيجة لشعورهم بأنهم غير مؤهلين لتعليم أطفالهم. فهل سيكون ذلك كافيًا لفرض تغيير جذري ودائم في الطريقة التي نعلُم بها صغارنا؟

وفي رأيي أن هذا الأمر عصيّ على التحقق ما لم نُقدِم على اتخاذ إجراءين: أولهما ضرورة أن نتوقف عن محاولة تحول جميع مدارسنا أو مناطقنا التعليمية تدريجيًا بعيدًا عن التعليم السلطوي الشبيه بخطوط التجميع جملةً واحدة، ولكن علينا بدلاً من ذلك التركيز على إنشاء ما أسماه فريق عملي "الأماكن غير التقليدية" التي يستطيع الوصول إليها كل من لديه رغبة حقيقية في ذلك، مع عدم فرض هذا التحول على الجميع في آن واحد، وخاصةً إذا لم يكونوا مستعدين لهذا الاختيار بعد.

والتحول الذي نحن بصدد الحديث عنه في مجال التعليم هو بمثابة تحول من التعليم غير الذاتي إلى التعليم الموجه ذاتيًا، لكنّه لا يرمي إلى استبعاد الكبار من الصورة وترك الأمر برُمته للأطفال لا يألون على شيء وكل تركيزهم في لعب ألعاب الفيديو طوال اليوم؛ وإنما يُقصد بهذا التحول التخلي عن الفكر السائد بأن النظام التعليمي قد يحتوي جانبًا من إجبار المتعلم وعدم الحاجة إلى قناعة المتعلم ورضاه عن كل ما يُقدم إليه في التعليم – وكذا التحول من افتراض حقنا كراشدين في تقرير الجوانب المهمة في تعليم أطفالنا وإجبارهم على القيام بذلك دون نقاش – إلى الاعتقاد بضرورة إعمال حقوق الأطفال وجعل التعليم دافعًا لتحقيق المساواة والإبداع المشترك بدلاً من التركيز على القيادة والسيطرة. وبافتتاحنا للأماكن التعليمية التي تقوم بالكامل على نظام قيم يتبنى أخلاقيات المشاركة ويرحب بكل من يرغب في الانضمام، يمكننا بناء مجتمعات تعليمية بناءة تثري كامل الجوانب الشخصية لدى الأطفال (والكبار!) وتعزز من سماتنا الإنسانية الأكثر قيمة بدلاً من إغفالها والتخلي عنها. قد تأخذ هذه الأماكن شكل مدارس قائمة بذاتها أو أكاديمية في منطقة ما، أو مدرسة داخل مدرسة، بل ويمكن أن تأتي في شكل تجربة تعليمية مكثفة ومتكاملة تمتد على مدار ثلاثة أسابيع تجمع بين التعلم بصحبة الأشخاص الذين يتشاركون هذه المساحة.
لقد اضطلعت ببناء كل هذه الأنواع من البيئات، وعملت أيضًا في ومع العديد من المدارس التي تجرب النهج التدريجي الشامل، وكان الفرق جليًا كما الفرق بين الليل والنهار من حيث جودة النتائج.

أمّا الإجراء الثاني الذي يتوجب علينا فعله هو العمل على وضع السياسات التي تسمح بإقامة هذه الأماكن غير التقليدية وإتاحة الالتحاق بها للأسر التي تفضلها على نموذج المدارس التقليدي، وذلك من منطلق أنها مسألة تتعلق بإعمال حقوق الإنسان وليست مجرد نهج تعليمي مُبتَكر. والسبب في مطالبتنا بوجود هذه الأماكن هو أنه على مدار العقود الستة الماضية بُذلت مساعٍ حثيثة في المناطق التعليمية على مستوى الولايات المتحدة لإنشاء المدارس البديلة أو البرامج الشاملة استجابة لمطالبات أولياء الأمور والمعلمين. وقد استمرت هذه المدارس والبرامج في بدايتها مدفوعةً بالشغف تجاهها من الأسر والمعلمين والمطالبين بإنشائها؛ لكن أثرها ما لبث أن تلاشى أو اختفى تمامًا بمرور الوقت، وذلك لأنها كانت تسبح ضد التيار المتمثل في النموذج التعليمي السائد الذي قضى عليها في مهدها.

وخلاصة القول إننا إذا قُدّر لنا أن نشهد التحول المطلوب بعد هذه الأزمة، أو في أي وقت، فسيكون لِزامًا علينا أن ندرك أن التغيير الذي نتحدث عنه هو أمر جوهري. وحتى تسنح لنا فرصة إجراء هذا التغيير، علينا أن نعترف بأن التغيير الذي نريده ليس مقتصرًا على التفكير التصميمي أو استخدام التكنولوجيا أو التطوير فحسب، بل يشمل معرفة الكيفية والطريقة الصحيحة التي تتيح لنا التحول من الهيمنة المطلقة إلى الصلاحيات المشتركة، وكذا التحول من نموذج الهيمنة والقيادة والسيطرة إلى تبني مبادئ العدالة والمشاركة في الإبداع. وعلينا أن ندرك أنه متى ما أردنا الدفع بهذا التحول إلى الأمام، فعلينا أن نوفر له المساحة الخاصة به، بحيث يحددها أصحاب الحق في الاختيار، مع ضرورة الاعتراف بحق كل أسرة في الوصول إلى التعليم الذاتي بدلاً من إجبارهم على التعليم غير الذاتي بوصفه الخيار الأوحد المتاح أمامهم.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل آرون إيدن عضوية مجلس إدارة معهد Applied Tinkering، كما يشغل عضوية الفريق الإداري للتحالف من أجل التعليم الموجه ذاتيًا.

حب الاستقصاء

بقلم: أندرو فريشمان

"تحل بالصبر على كل سؤال لم تجد له جوابًا في صدرك، واسع جاهدًا إلى حب الاستقصاء في حد ذاته في رحلة بحثك عن إجابات الأسئلة التي تراودك" – راينر ماريا ريلكه

بعد إنعام النظر في نصيحة ريلكه عن حب الاستقصاء والبحث عن إجابات الأسئلة التي تجول بخاطرنا، تفكرت في مهمتنا الحالية المتمثلة في وضع إجابات عن العديد من الأسئلة الملّحة للبعض منّا على حساب تحديد الأسئلة المهمة التي ينبغي طرحها. فهل يمكن أن تكون هذه العجلة هي السبب وراء سيرنا في الاتجاه الخاطئ بدلاً من مجابهة التحديات باتباع طرق وجيزة وذات جدوى في الوقت نفسه؟

وهل حاجتنا إلى إعادة تصميم المدارس والتدريس في ظل هذه الجائحة التي نأمل ألا يطول مداها قد كشفت عن فرصة سانحة تجيبنا عمّا لدينا من تساؤلات وتفسح المجال أمام طرح تساؤلات جديدة ذات مغزى؟

وهل يمكن أن يكون التحول التعليمي الذي نسعى إلى رسم ملامحه لا يرقى إلى أن يكون حلاً جذريًا بل مجرد تفكيك بطيء للنموذج الحالي؟

إن مهمتنا في مؤسسة (Big Picture Learning) تكمن في "إطلاق القدرات" على جميع مستويات نظام التعليم، وفي صميمها إطلاق قدرات طلابنا. وتمضي المؤسسة في تنفيذ

هذه المهمة عبر ثلاث استراتيجيات عامة تحمل بصمتنا المميزة: 1) التركيز الشديد على الاحتياجات الخاصة لكل فرد - طالب واحد في كل مرة، 2) العلاقات - التعلُّم وسط مجتمع طلابي ومعهم ومن خلالهم؛ و 3) التعلُّم الواقعي - التعلُّم في سياقات وبيئات حقيقية. وقد لجأت جهات كثيرة للاستفادة من بعض مكونات تصميم المدارس المتبعة في المؤسسة مثل الإرشادات، وخطط التعلُّم وملفات الإنجاز، وتقييمات الأداء، ولم تعد تلك المكونات حكرًا على شبكة مدارس المؤسسة التي تضم أكثر من 60 مدرسة في الولايات المتحدة وأكثر من 100 مدرسة في أنحاء العالم، بل صارت برهانًا ساطعًا على إتقاننا لعملنا، مما حدى بالعديد من المدارس غير التابعة للمؤسسة أن تدمج بعض هذه المكونات في تصميماتها.

وفي مؤسستنا نسعى جاهدين لطرح إجابات جديدة على التساؤلات الدائمة عن التعلُّم والطلاب والمدارس والتعليم. لقد اضطرتنا هذه الجائحة الراهنة للتعمق في البحث حتى نضمن استمرار ملائمة تصميمنا للوضع الطبيعي الجديد الذي لا تزال ميزاته تظهر من حين لآخر، وما زلنا ونحن نفعل ذلك نكرس بعض جهودنا للتعرف على التساؤلات المهمة التي لم تطفو على السطح بعد.

أودّ هنا أن أتشارك معكم بعض التساؤلات التي تشكل تحديًا لنا، وهي لماذا تصمم معظم المدارس والمناهج الدراسية على نحو يفترض مسبقًا أن الطلاب لديهم الدافع للمشاركة القوية والمتواصلة، رغم ارتفاع نسب عزوف الطلاب؟

إننا نركز على جوانب قل من يتطرق إليها من المعلمين، أو تلك الجوانب التي لا يسمح إلا عدد قليل من المؤسسات التعليمية للمعلمين بالتركيز عليها - حيث تعد قوة اهتمامات الطلاب وميولهم من أهم مصادر التحفيز والمشاركة القوية، وتلك هي الخلطة السرية للتعلُّم القوي والمتواصل.

- هل يتحتم علينا رفض الرغبة الطبيعية في "العودة إلى الوضع المعتاد"؟ وهل هذه الرغبة مسموح بها أو مقبولة؟
- هل علينا أن نقلل من الجهود التي نبذلها للتنبؤ بالوضع الاعتيادي الجديد وتوقع ماهيته، أم علينا اغتنام الفرصة لتصميم هذا الوضع ؟
- ما مكونات تصميم المدرسة التي ينبغي تضمينها في الوضع الجديد، والتي من شأنها الإسهام في تشكيل هذا الوضع؟

لقد وضع اثنان من زملائي في المؤسسة قبل عدة سنوات عشرة "توقعات" يأملها الطلاب من مدارسهم، في إطار مساعي الزميلين لتخطي نطاق تصميم المدارس إلى وضع مجموعة من المتطلبات لتقييم تصميم أي مدرسة. وقد استخدمنا هذه التوقعات لتقييم تصميم مدارس مؤسستنا وغيرها من المدارس، ونرى أن مؤسستنا تحقق هذه التوقعات بوتيرة جيدة.

وقد توصلنا بعد هذه السنوات إلى أن هناك ثلاثة توقعات تحظى بأهمية خاصة وهي الاهتمامات والعلاقات والممارسات التربوية، وهذا يؤكد عمليًا الفكرة البحثية التي وثقها بنيامين بلوم في كتابه عن تطوير المواهب لدى الشباب (الصادر عام 1985). كيف يمكن تطويع المناهج الدراسية حتى تناسب اهتمامات كل طالب على حدة ومواطن القوة لديه؟ وكيف نساعد كل طالب على إقامة علاقات عديدة ومتنوعة مع الكبار والأقران الذين يمارسون الأنشطة التعليمية والعملية التي يرغب الطلاب في ممارستها؟ وكيف نساعد الطلاب على المشاركة

في ممارسة اهتماماتهم بقوة واستدامة، بفضل العلاقات التي أقاموها؟ وأدركنا أن المدارس التي ترغب في تحقيق هذه التوقعات الثلاثة خصيصًا والتوقعات العشرة عمومًا، عليها أن تتيح للطلاب فرصة "الخروج من البيئة التعليمية المعتادة"، وممارسة التعلُّم والعمل في بيئات وسياقات واقعية في المجتمع وأماكن العمل.

والسؤال الذي نود أن نطرحه: إلى أي مدى ستلبي تصميمات الوضع الاعتيادي الجديد هذه التوقعات؟

نظرًا لالتزامنا جميعًا بالتباعد في ظل جائحة كورونا الراهنة، لجأنا لاستخدام التكنولوجيا حتى نتيح التعلُّم عن بُعد. فكيف يمكننا أن نقيس أثر هذه التكنولوجيا قياسًا دقيقًا؟ على سبيل المثال، هل يمكن المزج بين التدريس الفردي المدعوم بالتكنولوجيا (من توصيات بلوم الأخرى) والتعلُّم الفردي عبر الإنترنت وفي مجموعات صغيرة؟

قالت عالمة الاجتماع إليز بولدينغ ذات مرة: "إذا كان الشخص منهكًا عقليًا طيلة الوقت من جرّاء التعامل مع الحاضر، فلن تكون لديه القدرة على تصور المستقبل." ونحن في مؤسستنا نخصص جزءًا كبيرًا من قدراتنا للبحث عن الأسئلة التي تيسر لنا تصور المستقبل ودعم الجهود التي نبذلها.

*****

نبذة عن المؤلف: أندرو فيشرمان هو المدير التنفيذي المشارك لمؤسسة Big Picture Learning.

موجز تجميعي
الاستفادة من الأزمة في إعادة تصوّر النّظم والممارسات التعليمية

بقلم: دومينيك ريجستر وعمر زكي

كتب الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل ميلتون فريدمان ذات مرة قائلاً: "لا ينشأ تغيير حقيقي إلا من رحم أزمة واقعة أو متوقّعة. وحين تحدث تلك الأزمة، فإن الإجراءات المُتخذة تنبني على أساس الأفكار المحيطة بنا، وحينئذٍ تتمثل مهمتنا الأساسية في رأيي في العمل على تطوير بدائل للسياسات الحالية، وأن نبقيها حاضرة ومتاحة إلى أن يصير المستحيل سياسيًا حتمية سياسية".

ممّا لا شك فيه أننا نمُرّ بأزمات عالمية متعددة في الوقت الراهن، وقد غيّرت جائحة كورونا الراهنة العالمية من المشهد التعليمي خاصةً، على المدى القصير على الأقل. وقدحت هذه الجائحة زناد الفكر لإمعان النظر في السبل التي يمكن من خلالها تغيير أنظمة وممارسات التعليم. وفي ظل كل هذه المخاوف والشكوك، تتسارع وتيرة قنوات الابتكار والإبداع الجديدة أيضًا بمعدلات غير مسبوقة بسبب هذه الأوضاع. واضطرت النُّظم المدرسية في جميع أنحاء

العالم إلى إعادة النظر تمامًا في نماذج التعلُّم التقليدية بطريقة لم يكن من الممكن تصورها من قبل، وسارعت ببناء واختبار وتجريب هياكل جديدة لاستيعاب واقع مضطرب ومختلف تمامًا. وحين ينقشع الغبار، سيُنظر إلى جائحة كورونا الراهنة باعتبارها أنموذجًا مصغرًا لما ستواجهه النُظم المدرسية والطلاب في المستقبل.

وقد شارك خمسة من مؤلفي المقالات الواردة في هذا القسم، في مؤتمر "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره" الافتراضي الذي نظّمه مؤتمر "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" في أبريل 2020. وطرحوا في هذه المقالات أفكارهم عن كيفية تغيير أنظمة التعليم ومدى حاجة هذه النُظم إلى إجراء هذا التغيير. ومع اقترابنا من بداية العام الدراسي الجديد بحلول شهر سبتمبر في مناطق كثيرة في العالم، صرنا نشهد نقاشات كثيرة عن التعليم في أبرز وسائل الإعلام، وكثرت مقالات الرأي عن الغرض من التعليم، وعن أماكن التعلُّم، وكيفية تقديم هذا التعلُّم، والأطراف المساهمة فيه، وأهم ما تعتني به المجتمعات في أنظمتها التعليمية.

لقد كنّا نعلم قبل تفشي الجائحة أن الكثير من الأشياء في التعليم لم تكن صحيحة وأن المدرسة قد خيبت آمال الكثير من الطلاب في جميع أنحاء العالم. وأدّت التغييرات التي أحدثتها الجائحة بالفعل في التعليم إلى تحقيق زخم سياسي جديد لإصلاح التعليم. توجد فرصة في الوقت الحالي لتحسين التعليم على مستوى العالم.

أزمات متداخلة

ليست جائحة كورونا الراهنة هي الأزمة الوحيدة التي تخيّم بظلالها على العالم في الوقت الراهن، ولذا تطرق لوكا باري في مقالته إلى الحديث عن أزمة المناخ وحرائق الغابات في أستراليا، فيما تحدث ديفيد نغ أيضًا عن الاعتبارات البيئية التي لها أثر كبير على النتائج المستقبلية في ظل حاجة سنغافورة إلى "الموازنة بين حاجتها العمرانية إلى الموارد والممارسات المستدامة".

وأشار توماس هاتش إلى نقطة وجيهة مفادها أن "جائحة كورونا الراهنة كشفت عن صعوبات بالغة تحيط بالعديد من الأطفال، رغم أن تلك الصعوبات كانت موجودة قبل ذلك بكثير". وفي سياق التصدي لجائحة كورونا الراهنة تشكلت في أجزاء كثيرة من العالم شراكات جديدة في قطاع الصحة والتعليم وجهات العمل، مع الحاجة الماسّة إلى استدامة هذه الشراكات. كما تحدثت جويسي جون في مقالتها عن عدم التكافؤ وذكرت أنه (اعتبارًا من مايو 2020 في المملكة المتحدة) "يقضي أطفال الأسر الميسورة وقتًا أكبر بنسبة 30% في التعلُّم المنزلي مقارنة بأطفال العائلات الفقيرة". وأوضحت أورفاشي ساهني أن نسبة 36% من سكان الهند تتاح لهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت و12.5% فقط من الطلاب تتاح لهم إمكانية الوصول إلى الهواتف الذكية"، وحذرت من خطر الفجوة الرقمية التي تزيد من تلك التفاوتات الموجودة بالفعل في النظام، وتلك مشكلة عالمية لا تقتصر على الهند وحدها.

وقد شارك المؤلفون الخمسة بكتاباتهم من أستراليا والهند وسنغافورة والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، وبعضهم يعمل في جهات حكومة وبعضهم خارجها، وبعضهم كتب من منظور أكاديمي، وآخرون كتبوا من منطلق اهتماماتهم الفكرية، فيما يشغل البعض الآخر مناصب قيادية مؤسسية. ورغم هذا التنوع في وجهات النظر، فهناك اتساق بين بعض الموضوعات أو المحاور التي تضمنتها مقالاتهم. وإذا نجح مفهوم إعادة تصوّر التعليم، فيمكن توجيه مخصصات الدعم المالي نحو تقليل المناهج الدراسية، وزيادة الاهتمام بالتعلُّم الاجتماعي والوجداني، وزيادة مشاركة المجتمع في التعليم، باعتبار هذه الأشياء مكونات بارزة في المشهد التعليمي عقب جائحة كورونا الراهنة.

التعلُّم الاجتماعي والوجداني

تمثل مهارات وسلوكيات التعلُّم الاجتماعي والوجداني قدرات بشرية أساسية تتيح للأفراد التحكم في مشاعرهم والعمل مع الآخرين وتحقيق أهدافهم، وتدعم أمورًا مثل الرفاه والتعاطف والتكافؤ والعدالة والانضباط الذاتي والتسامح والإبداع (على سبيل المثال لا الحصر)، وقد طرح مصطلح التعلُّم الاجتماعي والوجداني مرارًا وتكرارًا في مؤتمر أبريل وورد في جميع المقالات على نحو بارز.

وتناولت أورفاشي ساهني أهمية الذكاء الوجداني في القيادة، ونوهت إلى أن الدول التي لديها "قادة يجسدون مبادئ الديمقراطية" (مثل نيوزيلندا وألمانيا وأيسلندا) تعاملت مع الجائحة بصورة أفضل في العموم، وذكرت أن جميع هذه الدول لديها قادة حريصون أشد الحرص على استشارة غيرهم وسمتهم التعاطف والتواضع، والعجيب أنهن جميعًا من النساء، "ما يؤكد على ضرورة الاستعانة بعدد أكبر من القيادات النسائية ووجهات النظر النسائية في القيادة".

وتطرقت ساهني وغيرها من المؤلفين إلى أهمية دمج التعلُّم الاجتماعي والوجداني في المناهج الدراسية. وذكر باري: "يجب أن تعتني السياسات والممارسات التربوية برفاه الطلاب والمعلمين، مع الاستفادة من قوة تأثير التعلُّم الاجتماعي والوجداني الواعي". وأشار توماس هاتش إلى نقطة وجيهة مفادها أن المناهج الدراسية في جميع أنحاء العالم مكتظة بالفعل، فيمكن خفض كل مادة إلى النصف لضمان تمكن جميع الطلاب من تحقيق الأهداف الدراسية المهمة ومنحهم الوقت والمجال اللازمين لاكتساب وتطوير المهارات الاجتماعية والوجدانية.

كذلك، تناولت جويسي جون العوامل التحفيزية الخارجية التي قد تساعد الطلاب في مواصلة تعلُّمهم أثناء جائحة كورونا الراهنة وطيلة حياتهم، وركزت على منح الطلاب القدرة على الاختيار، وإشعارهم بالفاعلية والاستقلالية.

إن مسألة التعلُّم الاجتماعي والوجداني ليست أمرًا جديدًا في حد ذاتها، إلا أنه من الأهمية بمكان إعادة النظر في أولوية الموضوعات والمناهج المقررة في مجال التعليم خلال جائحة كورونا الراهنة وبعدها.

التقييم

تحدث جميع المؤلفين عن الحاجة إلى إعادة النظر في مسألة التقييم التربوي، ومدى حاجتنا إلى "قياس ما نقيمه بدلاً من تقييم ما نقيسه" (باري). وما نقوم بقياسه وتقييمه يأتي في صميم الهدف المنشود من التعليم، "فالغرض من التعليم لا يقتصر على تحصيل المعارف، بل على معرفة سبل العيش في هذه الحياة" (ساهني).

وفي هذا السياق، أورد ديفيد نغ مسوغات قوية تعمق من فهم السياقات المدرسية والنتائج غير الأكاديمية - بما في ذلك الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وأدرج أورفاشي ساهني بعض الأمثلة الرائعة للطرق التي يتعاون بها طلاب مؤسسة "Study Hall Education Foundation" ويدعمون بعضهم بعضًا من خلالها.

التكنولوجيا وأماكن التعلُّم

اضطر الطلاب بعد إغلاق المدارس إلى التعلُّم في بيئات كثيرة متنوعة، ويعزو عدد من المؤلفين ذلك إلى زيادة مشاركة المجتمع في التعليم وتزايد الوعي بإمكانية توفير التعلُّم في بيئات عديدة متنوعة خارج أسوار المدارس. ومما لا شك فيه أن الجائحة أتاحت فرصًا مواتية لزيادة تعريفنا بالنشر الفعال للتكنولوجيا في مجال التعليم، أو على حد تعبير جويسي جون، فإن هذه الجائحة قد أمّدّتنا "بأكبر تجربة تعلُّم عبر الإنترنت على مستوى العالم".

وحتى قبل تفشي الجائحة الراهنة، كانت هناك دول كثيرة تمر أو مرت بالفعل بمرحلة تغيير جذري. ويحدثنا المؤلف ديفيد نغ من سنغافورة عن التحولات الأساسية التي طرأت على حياة الناس وأعمالهم وتعلُّمهم، وما أحدثته التكنولوجيا بالفعل من أثر عميق على الاقتصاد المحلي "حتى صارت المنظمات تتنافس على الأصول غير الملموسة مثل الملكية الفكرية والبيانات وشبكات المستخدمين".

ويركز ديفيد نغ في مقالته على الأساليب المختلفة لقياس النتائج المستقبلية. وفي طور انتقالنا نحو مستقبل أكثر غموضًا، تزداد أهمية هذه الأنواع من النماذج التي تساعدنا في التفكير في نوع التعليم الذي سنحتاجه لتلبية اهتماماتنا الاقتصادية والاجتماعية والبيئية المستقبلية. وكتبت جويسي جون أيضًا مقالة وجيهة عن أهمية الاستثمار في مهارات المعلمين ورفع كفاءاتهم، وهي السمة التي تتميز بها بعض أقوى أنظمة المدارس، ولكنها ستصير أمرًا ضروريًا في ظل تكيف المعلمين مع السبل الجديدة لدعم التعلُّم.

"لن يتغير شيء، ما لم نغيّره بأيدينا"

يقول توماس هاتش "لن يتغير شيء، ما لم نغيره بأيدينا". ولقد منحتنا هذه الجائحة فرصة لإعادة التفكير أو إعادة تصور ما يحدث في المدارس، وتقع على عاتقنا مسؤولية اغتنام هذه الفرصة لإنشاء مدارس متكافئة تلبي الاحتياجات التنموية للأطفال. وتتناول المقالات الواردة في هذا القسم بعض الأفكار الشائقة حول كيفية تحقيق هذه الإمكانات.

*****

نبذة عن المؤلفين: يعمل دومينيك ريجستر مديرًا للبرامج في مؤسسة سالزبورغ جلوبال سيمنار وعضوًا باللجنة التنفيذية لتحالف كارانجا، ويعمل عمر زكي باحثًا مشاركًا أول في مؤتمر وايز.

النجاح الجديد في مستقبلنا التعليمي

بقلم: لوكا باري

على الرغم من أن الأزمات تتسب في عرقلة الجهود وتوقفها، فإنها أيضًا كاشفة للحقائق. لقد تضررنا جميعًا من جائحة كورونا الراهنة، وكشفت هذه الأزمة عن تفاوتات بنيوية عميقة ووجود مبادئ وأولويات عفا عليها الزمن في المجتمعات. وهذا ينطبق أول ما ينطبق على إلمامنا بماهية التعليم المدرسي، وكيف ينعكس على اقتصادات التعلُّم الناشئة.

لقد منحتنا هذه الأزمة فرصة ذهبية لإعادة صياغة تجربة التعلُّم وإعادة تصورها على نحو يكفل مصلحة الجميع. وأهم مكتسباتنا من الأزمة هي القدرة على التكيف مع مفهوم التعلُّم مدى الحياة، ويتحتم علينا أن ننظر في مسألة إعداد العقليات السليمة وتنمية المهارات التي تكفل لنا العمل اللائق والحياة المُرضية.

إذن كيف يمكننا اغتنام هذه الأزمة في ابتكار مفهوم جديد لنجاح الطلاب والمدارس والمجتمع؟ وكيف يمكننا [إعادة] تصميم المدارس والجامعات والقطاعات والنُّظم الاجتماعية على نحو يكفل إمداد الطلاب بالمهارات التي يحتاجونها في الدراسة والعمل والحياة في هذا المستقبل الذي يشوبه انعدام الرؤية الواضحة؟

الواقع الحالي

لقد باغتنا المستقبل بضربات موجعة، ففي أستراليا، موطني الأصلي، كنا على وشك الخروج من أسوأ موسم حرائق غابات مرّت به بلادنا وأتى على مساحات شاسعة من الغابات والأدغال التي قد تبلغ مساحتها مساحة بعض الدول فعليًا، ناهيك عن وقوع الأضرار الصحية البالغة جرّاء جائحة كورونا الراهنة، ثمّ الموجة الثانية والثالثة من الاضطراب الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة وزيادة المخاوف، وتزامن ذلك مع فعاليات الحركات الاجتماعية المناهضة للعنصرية الهيكلية وانعدام المساواة. لقد عشنا سنة من أكثر السنوات اضطرابًا في مخيلاتنا، وكل تلك المجريات وقعت في شهر يونيو فحسب.

وفي ظل الأزمة الراهنة قد نلتمس العذر لحالة التشاؤم المسيطرة على الجميع والتي دفعت البعض إلى الاعتقاد بقرب نهاية العالم.

ومع هذا خلفت تلك الأزمات إيجابيات عديدة وأدى خواء الشوارع وإغلاق المتاجر والالتزام بالتباعد بفضل عمق إدراكنا لمدى ارتباط مصائرنا ببعضنا بعضًا، كل ذلك أدى إلى تقليل التلوث وتحسين نوعية الهواء مما أنقذ آلاف الأرواح وأعاد الأمل للعديد من النظم الإيكولوجية البيئية، وصارت مجتمعات كثيرة تتساءل: ما مغزى أن تكون مواطنًا؟ وكيف ننشئ مجتمعًا أكثر أمانًا وإنصافًا وصحةً؟ وما الغرض الحقيقي من وجود المدارس؟

وكشفت لنا هذه الأزمة عن بعض قصص التعلُّم الملهمة فقد تحرك عشرات الملايين من المعلمين بين عشية وضحاها لمواصلة التعلُّم، وحسنوا من مهاراتهم كثيرًا، ولجأوا إلى استخدام نماذج افتراضية في التدريس، وقد شاهدنا مقاطع فيديو لمعلمين يقودون سياراتهم بين الضواحي يلوِّحون لطلابهم من سياراتهم، وآخرون يستعينون بطرق جديدة مبتكرة باستخدام البيئات الافتراضية مثل "ماينكرافت" (Minecraft)، ومثلوا مصدر إلهام لغيرهم في ظل هذه الأزمة التي تعرضنا لها جميعًا.

النجاح الجديد

وعقب انتهاء هذه الظروف الطارئة، سنكون أمام خيارين: إما العودة إلى أبنية المدارس بصورتها المعهودة، أو استخدام الحلول الافتراضية طويلة المدى، وها قد أتيحت لنا الفرصة لنتساءل عما نسعى إليه.

إذن، ما تعريفنا كمدرسة أو نظام أو مجتمع للنجاح؟ يجب أن نهتم برفاه الطلاب والمعلمين في كلٍ من السياسات والممارسات، مع الاستفادة من قوة تأثير التعلُّم الاجتماعي والوجداني الذي ينم عن وعي واضح.

لقد آن الأوان لتعريف النجاح من جديد بتعريف أفضل، فالمدارس لا يقتصر عملها على الإعداد الاقتصادي؛ بل الهدف النهائي من التعليم هو إمداد الشباب بالمعارف والمهارات والتصرفات التي تكفل لهم النجاح وتحقيق الرفاه.

وبعد تخلي العديد من النُّظم التعليمية عن التقييم الموحد للطلاب، فقد حان الوقت لأن تركز التقييمات على تطور القدرات البشرية الرئيسة التي اتضحت أهميتها في الوقت الراهن، ومن ذلك مهارات الانضباط الذاتي، التي تماثل أهميتها أهمية الالتزام بإعدادات القاعات الدراسية، وقد جرى استبدال تلك المهارة بخيارات افتراضية.

وفي رأيي أننا يجب أن نفكر تفكيرًا شموليًا في دور المعرفة وقيامنا بعملنا كمعلمين وقادة وصانعي سياسات.

ما السبيل إلى تحقيق الهدف المذكور؟

يقوم التغيير الحقيقي على طرح الأسئلة الفعّالة، ومن ثمَّ يجب علينا طرح التساؤلات التالية:

- ما مفهومنا الجديد عن النجاح؟ (الإيمان)
- كيف ننشئ تجربة تتيح لنا ذلك؟ (السلوكيات)
- كيف نعرف ما إذا كنا نسير في الطريق الصحيح؟ (الحدود)

إننا إن أعدنا النظر في رؤيتنا للنجاح المدرسي، صار بإمكاننا التحرر من تعقد الأوضاع القائمة في المدارس إلى مساحة رحبة كفيلة بتغيير تلك الأوضاع. وإذا نظرنا للنجاح باعتباره تطويرًا شاملاً للفرد، فحينئذٍ يمكننا الشروع في تغيير سلوكياتنا والتركيز على القدرات الاجتماعية والوجدانية مع القدرات المعرفية، وسنخرج بتجارب ملهمة ومفيدة ومرتبطة بالتعليم المدرسي، وبعد ذلك علينا أن نعرف حدود تأثيرنا. فهل يمكننا البدء بقياس ما نقيمه بدلاً من تقييم ما نقيسه؟ وهل يمكننا توسيع مفهومنا للتقييمات حتى يشمل ما بعد "الاختبارات" أو "الدرجات"؟ إننا إن أعدنا النظر في تصوراتنا، كما كنا نفعل جميعًا حين كنا أطفالاً صغارًا، فإنه يمكننا تحرير أنفسنا وإنشاء منظومات تعليمية مواتية.

ومما يحمُد في هذا الصدد أن لدينا طلابًا ومعلمين شاركوا في تصميم تجارب تعليمية مؤثرة، وكل ما علينا أن نسلط الضوء على هذه الممارسات والنماذج حتى تدخل ضمن الاتجاهات الرئيسة الناشئة. وبوجه عام فإنه لا بد لنا من العمل على تمكين الشباب والمعلمين ودعم ترابطهم ورفاههم عبر تنمية الشعور بالانتماء وتعميق التواصل وإشعارهم بالاستقلالية، وإلا فإن الوقوف ضد إطلاق العنان لحريات الشباب والمعلمين سيفوت علينا إمكانات غير مستغلة للتعلُّم المدفوع بالشغف.

والسؤال المطروح الآن: ما الذي نريده من وراء عملنا كقادة ومعلمين ومدارس وأنظمة؟ إننا نأمل بطرح التساؤلات الصحيحة والتركيز على التعلُّم الاجتماعي والوجداني أن نكون على أبواب تجربة دراسية تكفل التفوق لجميع الطلاب.

*****

نبذة عن المؤلف: لوكا باري هو الرئيس التنفيذي ومؤسس منظمة The Learning Future، وعضو اللجنة التنفيذية في تحالف كارانجا.

التعليم في الهند أثناء أزمة "كوفيد-19"
فرصة للتعلُّم وإعادة الابتكار

بقلم: أورفاشي ساهني

في 25 مارس 2020، أصدرت الحكومة الهندية أوامرها بالإغلاق العام لأكبر دولة ديمقراطية في العالم، واضطر 1.3 مليار نسمة إلى ملازمة منازلهم مع عدم علمهم بمدة استمرار تلك الإجراءات، وأغلقت المدارس والكليات والجامعات أبوابها قبل ذلك بأسبوع واحد، في خطوة تضرر منها 320 مليون طالب هندي، ليطلب منهم بعد ذلك مواصلة الدراسة عبر الإنترنت. ونظرًا لأن العالم لم يشهد مثيلاً لهذه الأزمة، فلم يكن أحد يدرك تمام الإدراك المطلوب منه فعله. وفجأة صار أولياء الأمور والطلاب والمعلمون وقادة المؤسسات التعليمية محاصرين وخائفين من تفشي هذا المرض المجهول، ولم يكن المعلمون مهيئين للتدريس عبر الإنترنت، في بلد لا تتاح إمكانية الوصول إلى الإنترنت سوى لنسبة 36% فقط من سكانها، ولا يمتلك الهواتف الذكية سوى 12.5% فقط من طلابها، مما جعل الفجوة الرقمية تمثل عائقًا كبيرًا أمام التعلُّم عبر الإنترنت.

تدير مؤسسة "Study Hall Educational Foundation" شبكة من المدارس والمبادرات التعليمية في لوكناو، عاصمة ولاية اوتار براديش الهندية، وتقدم خدماتها المباشرة إلى 7594 طالبًا وخدماتها غير المباشرة إلى 100.000 طالب، معظمهم ممن يعانون من سلبيات الفجوة

الرقمية، وأكثر هؤلاء من الفتيات. وفي هذا التوقيت، نجحت المؤسسة في التواصل مع 58% فقط من طلابها من أبناء المجتمعات الفقيرة؛ وتوصلت إلى أن 56% من هؤلاء الطلاب تتاح لهم إمكانية الوصول إلى الهواتف الذكية والإنترنت، في حين أن 44% منهم تتاح لهم إمكانية الوصول إلى الهواتف العادية.

الدور المحوري للقادة

تضع الأزمات القادة في أي مؤسسة تحت محك الاختبار، سواءً في ذلك المؤسسات الصغيرة نسبيًا مثل مؤسستنا (التي يعمل بها400 شخص) أو على مستوى الدولة ككل. ونظرًا لخطورة الوضع الراهن وعدم اتضاح معالمه، فقد شكّل ذلك اختبارًا لمهارة مؤسستنا ومرونتها وسرعة تحركها ومستوى اهتمامها وقيادتها.

وتسلك مؤسستنا نهجًا ديمقراطيًا في القيادة القائمة على المشورة، وتصدر جميع القرارات بعد مشاورات جماعية، وتتواصل القيادة مع جميع الأطراف المعنية (الطلاب وأولياء الأمور والمعلمين) وتطلعهم على المستجدات. وعلاوة على ذلك، تعمل المؤسسة على تطوير نفسها ذاتيًا وتتقبل التعقيبات وتتصرف بموجبها، ولا يرى قادة المؤسسة أنفسهم سوى أنهم موجهون ومدربون، ويعلمون أنهم لا يحيطون بمعرفة كل شيء؛ ولذلك يحرصون على التعلُّم المستمر.

وهذه السمات متأصلة في ثقافة المؤسسة، ولذلك تتعامل قيادة المؤسسة على نحو شمولي وعميق، ويستشير القادة الفرق العاملة معهم ويتَّسِمون بالحسم والابتكار والتعاطف، ورغم اعترافهم بأنهم حديثو العهد بهذه الظروف، فإنهم اتخذوا من هذه الأزمة فرصة للتعلُّم، فاستهلوا الأمر بتهدئة المخاوف عبر توفير المعلومات وطمأنة الآخرين بأننا جميعًا في سفينة واحدة، ثم قاموا بتدريب فرقهم وتوجيههم وتشجيعهم وإيجاد الحلول الجماعية، والأهم من ذلك أنهم ظلوا يتواصلون مع فرقهم، وهذا منحهم ميزة سرعة الاستجابة.

الاستجابة الترابطية الشاملة

تؤمن المؤسسة أن الغرض من التعليم لا يقتصر على تحصيل المعارف فحسب، بل على الإلمام بسُبُل العيش في هذه الحياة. ويجب أن يمكّن التعليم الطلاب من الإجابة على سؤال "من نحن وما علاقتنا بهذا الكون وشركائنا فيه؟" وقد عملنا طيلة 34 عامًا على تطوير مناهج وطرق تربوية وثقافة رعاية تنظيمية لأجل تحقيق هذا الغرض. وعبر تبني نهج النمو المتكامل للطفل، يتفاعل المعلمون داخل الفصول الدراسية مع مختلف جوانب حياة الطلاب من خلال تمكينهم من طرح احتياجاتهم وتحدياتهم وفرصهم ومخاوفهم وآمالهم، ويسعى المعلمون لتعزيز الرفاه الاجتماعي والوجداني للطلاب، إلى جانب تطوير قدراتهم من الناحية المعرفية.

وهذه الأزمة ليست حالة استثنائية.

وبغية الوصول إلى جميع الطلاب، أعد المعلمون جيشًا من المتطوعين الرقميين من الطلاب وأولياء الأمور والخريجين الذين لديهم هواتف، وكان دورهم توصيل الرسائل إلى المقربين منهم الذين ليس لديهم هواتف. وركزت الاتصالات الأولية على إدارة المخاوف وإطلاع الأسر المحتاجة على إجراءات الإغاثة الحكومية؛ وتطوع معلمون كثر ومدوا يد العون بأنفسهم. وأنشئت خطوط مساعدة لتقديم المشورة والإبلاغ عن حالات العنف المنزلي أو العنف الجنسي، مع تعليم الخريجات والطالبات كيفية صناعة فوط صحية قطنية قابلة لإعادة الاستخدام.

وبعد تلبية هذه الاحتياجات الأساسية، انتقل المعلمون إلى تناول المناهج الدراسية، وابتكروا حلولاً إبداعية للتغلب على عدم استطاعة العديد من الطلاب الوصول إلى الإنترنت، فأعدوا مقاطع فيديو قصيرة للطلاب الذين لديهم هواتف ذكية؛ أما من ليس لديهم هواتف ذكية فتواصلوا معهم بالرسائل والمكالمات، وأرسلوا نسخًا مصورة من الكتب المدرسية للطلاب لمشاركتها بأمان مع المقربين منهم. وإدراكًا للفجوة الرقمية بين الجنسين، أنشأت المؤسسة مكتبة للهواتف الذكية المستعملة المتبرع بها وأتاحت للفتيات استعارتها للوصول إلى المواد التعليمية. وذكر المعلمون أن تكرار تواصلهم مع أولياء الأمور قد عزز كثيرًا من ترابطهم مع مجتمعاتهم، وصار أولياء الأمور أكثر حرصًا على المشاركة في تعليم بناتهم بفضل ذلك.

ومما يدل على حرصنا على بناء ثقافة الرعاية على مدى ثلاثة عقود، إدراكنا للفوارق الطبقية والجنسية والطائفية، وتاريخنا الطويل في التعامل الشامل، واتصالاتنا المجتمعية الوثيقة، فأتاح لنا ذلك كله تقليل الفجوة الرقمية وتقديم الرعاية الكافية لجميع طلابنا.

الدروس المستفادة

القيادة تكتسب أهمية بالغة. اتضح في هذه الأزمة العالمية أن الدول التي لديها قادة يجسدون مبادئ الديمقراطية (مثل نيوزيلندا وألمانيا وأيسلندا) تعاملت مع الجائحة بصورة أفضل في العموم، وقادة هذه الدول حريصون أشد الحرص على استشارة غيرهم وسمتهم التعاطف والتواضع ونشطون في تحركاتهم، ومن ثمَّ فلا بد من إعداد قيادات تتسم بمثل هذه الصفات، والعجيب أنهن جميعًا كن من النساء، مما يؤكد على ضرورة الاستعانة بعدد أكبر من القيادات النسائية ووجهات النظر النسائية في القيادة.

المناهج وطرق التدريس بحاجة إلى إصلاحات عاجلة. ظلت المنظمات مثل مؤسستنا تدعو على مدار عشرات السنين إلى اتباع نهج تعليمي أعمق وأوفى وأوسع نطاقًا، لا يهتم فقط بالتطور المعرفي ونقل المعلومات، بل يشمل أيضًا تطوير مهارات المرونة، والتفكير الناقد، وحل المشكلات بطريقة إبداعية، والتصور الريادي، والوعي الاجتماعي والسياسي الناقد، وكذلك دمج دروس المساواة في موضعها اللائق في المناهج الدراسية الرسمية. لقد كشفت الأزمة عن معاناة الهند من أوجه انعدام العدالة على نحو غير مسبوق، وهذا يتطلب اهتمامنا.

التكنولوجيا نشأت لتبقى! توفر لنا التكنولوجيا فرصة عظيمة لنشر التعليم وتحسين جودته، ونحن بحاجة إلى توصيل كابلات الألياف البصرية إلى المناطق الفقيرة، وأن نتيح للنساء خصيصًا الوصول إلى الأجهزة الرقمية وخدمات الاتصالات، مع إعداد المعلمين للتدريس عبر الإنترنت، وكذلك على الحكومات تحديد أولويات الفجوة الرقمية ومعالجتها.

نهج التعليم القائم على مشاركة المجتمع. على الرغم من أهمية التكنولوجيا، يتطلب تعليم الأطفال أكثر من ذلك. فلم تعد المدرسة هي المكان الوحيد الذي يمارس فيه التدريس والتعلُّم، بل صار للمجتمعات دور مهم بعد إخراج التعليم خارج أسوار المدارس، وبفضل التكنولوجيا صار بإمكان بقية أبناء المجتمع المشاركة باعتبارهم أطرافًا وسيطة، ومقدمين للمقاطع المرئية الرقمية، ومنشئين للموارد التعليمية.

الحل يكمن في الثقافة التنظيمية، ولا غنى لنا عن بناء ثقافة تنظيمية قوامها الرعاية والديمقراطية والمشورة؛ مع العلم بأن تلك الثقافة لن تترسخ بين عشية وضحاها، بل ستستغرق زمانًا طويلاً حتى تتغلغل في المؤسسات بأكملها وتتجذر فيها.

"عالم جديد جسور"

إن الأزمة الراهنة لمّ تنته بعد؛ ولا يزال فيروس كورونا عصيًّا ومتفشيًا، وسيخلف وراءه تحديات كبيرة، وتداعيات اقتصادية وإنسانية تمس الكثيرين منا لسنوات عدّة. لكنّنا أيضًا استفدنا الكثير من هذه التجربة المريرة، فعملنا على تحسين *سُبُل* التعلُّم القديمة وتوصلنا إلى ابتكارات جديدة، ولن نتجاوز هذه الأزمة ونخرج منها أقوى من ذي قبل إلا إذا نظرنا إليها باعتبارها فرصة للتعلُّم، والتأمل الذاتي، والقدرة على التكيّف والتأقلم، وكذلك إعادة تخيل عالمنا والتحلي بالشجاعة لإعادة بنائه من جديد.

*****

نبذة عن المؤلفة: تشغل أورفاشي ساهني منصب المؤسس والرئيس والرئيس التنفيذي لمؤسسة "Study Hall Educational Foundation" في الهند.

نتائج وتقييمات جاهزية الطلاب للمستقبل

بقلم: ديفيد نغ

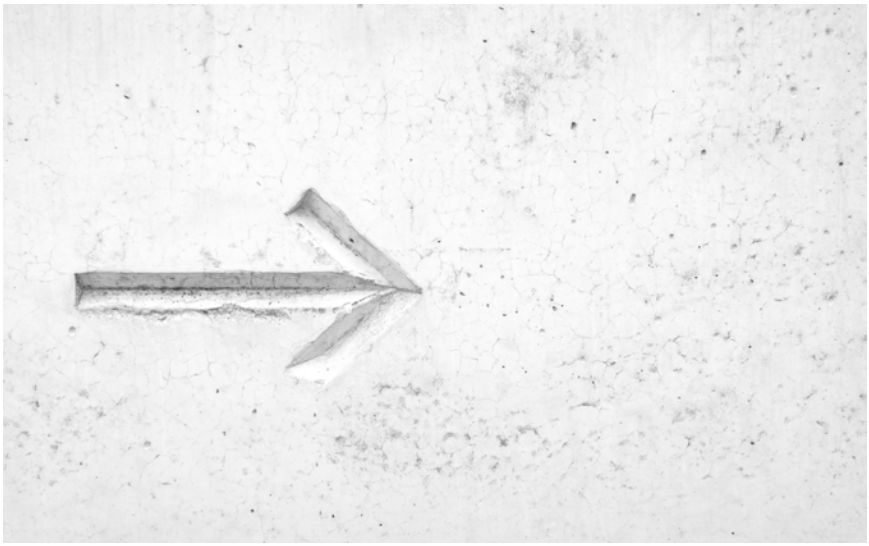

في حين تبذل المدارس قصارى جهدها في إقامة الروابط وبناء العلاقات عالمية المستوى، يعتني الإصلاح المدرسي بالسياقات المحلية والدولية. وصارت البيئات الدولية مرهونة بالنتائج المقارنة للاختبارات الدولية، مثل الاتجاهات في الدراسة العالمية للرياضيات والعلوم (TIMSS) وبرنامج تقييم الطلاب الدوليين (PISA)، إذ تهدف تلك الاختبارات إلى قياس جوانب معينة من جودة التعليم. ومن الوسائل الجديدة للنظر في إصلاح المدارس الفهم العميق للسياقات والنتائج غير الأكاديمية، بما في ذلك النتائج الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

السياقات المحددة للنتائج المستقبلية

إننا نشهد تحولات كبرى في الاقتصاد والمجال الاجتماعي والبيئة على الأصعدة العالمية والإقليمية والوطنية، وكل هذا يغير نظرتنا لكيفية عملنا وعيشنا وتعلُّمنا في سنغافورة. فعلى سبيل المثال، أسهمت التطورات التكنولوجية السريعة التي يشهدها العالم بأسره في إعادة تشكيل نماذج الأعمال التي تتنافس فيها المنظمات على الأصول غير الملموسة مثل الملكية الفكرية والبيانات وشبكات المستخدمين. وتشهد سنغافورة تحولاً آخر يكمن في زيادة معدلات شيخوخة السكان وانخفاض معدل المواليد، وسيؤدي هذا التغيير السكاني إلى قلة الأيدي العاملة المحلية ويمثل عبئًا على النسيج الاجتماعي لدولة سنغافورة. وكذلك تواجه سنغافورة صعوبات في الحفاظ على السلم والوئام في مجتمعها المتنوع دينيًا. وعلى الصعيد

البيئي، تحتاج سنغافورة إلى تحقيق الموازنة بين حاجتها العمرانية إلى الموارد والممارسات المستدامة للحد من انبعاثات الكربون. ولكل هذه السياقات - الاقتصادية والاجتماعية والبيئية - آثار كبيرة على النتائج المستقبلية التي نريد أن ينميها نظامنا التعليمي لدى الطلاب.

نتائج الجاهزية للمستقبل لتلبية متطلبات السياقات الراهنة

يلخص الجدول التالي مسارات السياقات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في سنغافورة والمهارات والمعارف والقيم المطلوبة من الطلاب في هذه المسارات.

السياق	المسار	المهارات والمعارف والقيم
الاقتصادي	• التصنيع عالي القيمة • الخدمات الجديدة والمبتكرة (الخدمات عالية التقنية التي تستلزم إنترنت الأشياء وقواعد بيانات متسلسلة، وما إلى ذلك.) • التسويق التجاري للحلول المبتكرة • الميزة التنافسية من خلال الاعتماد الهادف والجذري للتكنولوجيا والرقمنة في الخدمات والتصنيع	• إتقان المهارات • التعلم مدى الحياة والتعلم متعدد الخبرات الواقعية والتعلم متعدد المهارات الحياتية • الابتكار • تحقيق القيمة • اعتماد التكنولوجيا • الرقمنة • التفكير الإبداعي
الاجتماعي	• زيادة التدين: خطر التطرف الديني • زيادة الهجرة: الحاجة إلى الاندماج وقبول الوافدين الجدد • المشكلات العرقية: الحاجة إلى التواؤم العرقي • شيخوخة السكان: الحاجة إلى التعليم المستمر • المعلومات الخاطئة وتأثير منصات التواصل الاجتماعي	• التسامح • التفاهم المتبادل • الاحترام المتبادل • مهارات التفكير المنطقي (التفكير الناقد) • الأصالة • تعلم تقييم المعلومات
البيئي	• زيادة التحضر: زيادة استهلاك الطاقة والمواد • المشكلات البيئية العالمية: الحاجة إلى الحد من البصمة الكربونية • الطاقة المتجددة • كفاءة الطاقة عبر الحلول الخضراء والمبتكرة • الحلول المائية عالية التقنية لتلبية الاحتياجات المتزايدة من المياه • المزارع عالية التكنولوجيا والصديقة للبيئة لزيادة المنتجات الغذائية المحلية	• إتقان المهارات • الابتكار • تحقيق القيمة • اعتماد التكنولوجيا • الرقمنة • التفكير الإبداعي • أسلوب الحياة المستدام

الدراسات المنشورة حول قياس نتائج الجاهزية للمستقبل

يعد قياس جاهزية الطلاب للمستقبل من الأمور بالغة الأهمية لإعداد مبادرة ناجحة للجاهزية للمستقبل، وهناك خيارات كثيرة لقياس الجاهزية للمستقبل، ومكمن الصعوبة هنا أنه يتعذر أن تقدم طريقة واحدة للقياس رؤية شاملة لجميع جوانب الجاهزية للمستقبل لفرد أو مدرسة أو نظام. ولا بد من القياس الثلاثي لأن القياسات المختلفة تدرس مختلف جوانب الجاهزية ومن ثمَّ توفر صورة أكمل. وقد وصف عدد من الباحثين الطرق التي يمكن من خلالها تقييم مهارات القرن الحادي والعشرين من جهة الجاهزية للمستقبل. وفي العموم، فإنه يمكن تصنيف الأساليب إلى ما يلي - التقييم الذاتي، والتقييم المباشر (أسئلة الاختيار من متعدد عن طريق الحاسوب)، والإجابات المفتوحة، وتقييم المعلم، والتقارير.

إمكانية وضع نموذج تحليلي لقياس نتائج الجاهزية للمستقبل

يمكن استخدام النمذجة لقياس النتائج التعليمية غير التقليدية، والتعلُّم الآلي من وسائل تحليل البيانات (النمذجة) التي تعمل على أتمتة بناء النموذج التحليلي، وهذا أحد فروع الذكاء الاصطناعي التي تقوم على فكرة أن النُّظم يمكنها التعلُّم من البيانات وتحديد الأنماط واتخاذ القرارات بحد أدنى من التدخل البشري. وقد شهد التعلُّم الآلي تقدمًا كبيرًا مؤخرًا بسبب تطوير خوارزميات التعلُّم الجديدة، والنظرية، وبسبب الكم الهائل من البيانات وتوافر الحوسبة بتكلفة منخفضة. ويتطلب هذا الكم الهائل من البيانات في الوقت الحاضر أساليب يمكنها التعامل معها على نحو مناسب وفعال، فالبشر عرضة للخطأ عند التعامل اليدوي مع كميات كبيرة من البيانات بدون أتمتة؛ ولذلك فإن للتعلُّم الآلي ميزة كبيرة مقارنة بالأساليب التقليدية لمعالجة مثل هذه البيانات. وبالتالي، فإن التعلُّم الآلي يتناسب تمامًا مع نظرية النُظُم الدينامية حيث تتفاعل حدود النظام في مؤسسة تعليمية تفاعلاً غير متماثل ومتداخل يؤثر على مقاييس نتائج جودة التعلم.

يجب أن يتضمن الإصلاح المدرسي الناجح نتائج تحقق الأغراض الثلاثة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية كلها، مع الإدراك العميق لوجهات النظر المستقبلية لهذه الأغراض. وحينئذٍ سيحتاج طلاب المستقبل إلى اكتساب المهارات اللازمة وصقل العادات والممارسات التي ستفيدهم لفترة طويلة بعد تخرجهم في ظل استمرار تطور وتغير المشهد المستقبلي في سنغافورة.

*****

نبذة عن المؤلف: يعمل ديفيد نغ أستاذًا مشاركًا ومساعدًا لعميد المعهد الوطني للتعليم لشؤون الجودة الأكاديمية في جامعة نانيانغ التكنولوجية بسنغافورة.

بناء مستقبل أفضل من خلال تكافؤ الفرص في التعليم

بقلم: جويسي جون

"تتجلى الحضارة بين وقوع الكوارث ونهوض التعليم"
- هربرت جورج ويلز

تعرقلت المسيرة الدراسية لأكثر من مليار طفل في أكثر من 140 دولة في ربوع العالم بسبب جائحة كورونا الراهنة. وتعاملت المدارس والمعلمون والحكومات تعاملاً مبتكرًا لضمان استمرار تلقي الطلاب لدروسهم في هذه المرحلة العصيبة. وطرحت شركات تكنولوجيا التعليم منتجاتها مجانًا لدعم التعلُّم عبر الإنترنت. ورغم حاجة الطلاب للتحفيز وتوافر الإمكانيات اللازمة للحصول على محتوى التعلُّم، تضرر الطلاب الفقراء أكثر من غيرهم من إغلاق المدارس، لأنهم في الغالب ليست لديهم الأجهزة ولا البيئة المنزلية التي تتيح لهم التعلُّم عبر الإنترنت على نحو فعال.

مخاطر تراجع المستوى التعليمي لدى الأطفال

سوف تتفاقم أوجه عدم التكافؤ الحالية في الصحة البدنية والنفسية للأطفال، وتحصيلهم العلمي، وظروفهم المعيشية بعد الأزمة. وقد أظهر استطلاع حديث أجرته منظمة "Teach First" البريطانية أن 2% فقط من المعلمين العاملين في المدارس الواقعة في مناطق فقيرة

يرون أن تلاميذهم تتوافر لديهم إمكانية التعلُّم عبر الإنترنت بقدر كاف، وبالتالي فإن أكثر التلاميذ عرضة لخطر تراجع المستوى. ويقضي أطفال الأسر الميسورة وقتًا أطول في التعلُّم في المنزل بنسبة 30% مقارنة بأطفال الأسر الفقيرة.

المعلمون في طليعة الركب

لقد استثمر المعلمون وقتًا كبيرًا وموارد كثيرة في نقل دروسهم التقليدية إلى منصات الإنترنت، وأظهروا قدرات إبداعية في التكيف مع هذه العملية، كما يمثل المعلمون نبعًا غير مستغل للابتكار في المدارس ويجب تقدير هذه الجهود التي يبذلونها، ومن ذلك على سبيل المثال، ما فعلته نيستا حين منحت جائزة صناع التغيير في الفصول الدراسية "Classroom Changemakers" لخمسة عشر معلمًا من معلمي المملكة المتحدة الذين يغرسون الإبداع في نفوس طلابهم ويعلمونهم مهارات حل المشكلات في حصص الرياضيات والحوسبة، ويمكن التوسع في هذا المسار على مستوى المنهج بالكامل.

تحفيز الطلاب في هذا العصر الجديد

ما الذي يشجع الطلاب على الاستمرار في تعلُّمهم؟ لا بد من منح الطلاب القدرة على الاختيار، وإشعارهم بالفاعلية والاستقلالية من أجل تهيئتهم للتعلُّم طيلة حياتهم.

ما الدليل على أن التكنولوجيا ستحسن النتائج التعليمية؟ تقول روز لوكن، الأستاذة في جامعة كوليدج لندن، "هناك أسباب كثيرة تدعو للتخوف من احتمالية التوسع في التعلُّم عن بُعد". ومن بين الأنشطة التي نقوم بها حاليًا في نيستا السعي إلى معرفة أفضل طريقة لقياس ما يصلح والأسباب الكامنة وراء ذلك، وكذلك نختبر الأنشطة التي أثبتت جدواها أثناء الجائحة ونستفيد منها، في ظل أكبر تجربة للتعلُّم عبر الإنترنت.

الغرض من التعليم

لا يقتصر الغرض من التعليم على إعداد الطلاب لسوق العمل فحسب، بل يجب أن يسهم التعليم في تنشئة مواطنين صالحين يحافظون على أنفسهم وعلى غيرهم وعلى الكوكب ككل. ولا بد أن يساعد التعليم الطلاب في الإلمام بالمعارف والمهارات والقيم والمواقف التي يحتاجون إليها للتكيف مع هذا العالم المتسارع. وتدعو نيستا إلى نظام تعليمي أكبر وأكثر عدلاً وذكاءً يستفيد من التكنولوجيا والأشخاص والبيانات والأدلة على نحو أفضل. ولعل أبرز التحديات التي تواجه ذلك النظام تكمن في تكافؤ فرص جميع الطلاب في الحصول على أي نظام جديد.

دور المجتمع الأشمل

إن التعلُّم ليس حكرًا على جدران الفصل الدراسي، بل يسهم أولياء الأمور والمجتمع بدور مهم في دعم الطلاب في سعيهم للحصول على المعرفة، ومن سمات بيئات التعلُّم الرائعة التشجيع على حب الاستطلاع والتعاون والتأمل، فعلى سبيل المثال، تتيح مدرسة "School21" في المملكة المتحدة لطلابها فرصة تطبيق ما تعلَّموه على مشاكل الحياة الواقعية في مجتمعهم، وتقديم أفكارهم إلى صناع القرار وتحسين قدراتهم بالاستفادة من التعليقات والملاحظات، فلا يقتصر الأمر على تعلُّم الحقائق والنظريات والمعادلات بل بالقدرة على تطبيق تلك المعارف.

الجاهزية للمستقبل

تستعين أفضل نُظم التعليم في العالم بأفضل المعلمين وتواصل الاستثمار في مهاراتهم، فعلى سبيل المثال تدعم دول سنغافورة وإستونيا وأستراليا وفنلندا المعلمين وتشجع طلابها على الإبداع والتفكير الناقد. وفي هذه النُّظم، يستخدم المعلمون التكنولوجيا باعتبارها من مكملات العملية التعليمية، ويعملون على إمداد الطلاب بعقلية تسعى للتطور ويمنحونهم الفرص لحل المشكلات الواقعية في التخصصات المختلفة. وعلى صناع السياسات والمجتمعات المدنية إيجاد السبل اللازمة لتمكين المعلمين من قيادة عملية التغيير، والتأكيد على التعاون والإبداع لضمان تكافؤ الفرص في التعليم. ففي فنلندا على سبيل المثال، تشجع سياسة التعليم على التعاون لا المنافسة؛ وتكفل تكافؤ الفرص والتعليم العام الجيد للجميع مع تسهيل التعاون بين شبكة المدارس والجمعيات غير الحكومية والمجتمعات المحلية.

كيف يكون إحراز النجاح؟ حددت منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية في تقريرها عن "التعليم في عام 2030" الكفاءات اللازمة لإحداث التحول في مجتمعنا وصوغ معالم مستقبلنا. ونحن في مجتمعنا بحاجة إلى فهم متبادل للقيم التي نريدها وكيف تتجلى هذه القيم في أقوالنا وأفعالنا. وعلى صناع السياسات تكريس هذه القيم لدى معلمينا وطلابنا، وتشجيعهم على التجربة والتعلُّم والنمو.

وحتى نتصدى لانعدام التكافؤ داخل نظام التعليم، لا بد أن تتكامل المناهج الدراسية والتقييم ومنهجيات التدريس مع بعضها بعضًا، ويجب أن تتمحور المهارات والقيم الأساسية حول التعاون والتعلُّم متعدد التخصصات والمجازفة والمرونة والإبداع.

ما السبيل إلى بلوغ الهدف المنشود؟

كيف ستعود المدارس لممارسة أنشطتها بعد جائحة كورونا الراهنة؟ ما الدور الذي ستضطلع به المدارس في هذا العالم المضطرب؟ تتمحور القضايا الحيوية لهذا النقاش حول تكافؤ فرص التعلُّم والمرونة الوجدانية للطلاب واستخدام الحلول التكنولوجية القائمة على الأدلة، والعوامل التي ستساعدنا في تحقيق ذلك هي:

- توافر ثقافة التجريب والابتكار في مناهج التدريس.
- وجود قيادة قوية وطموحة وجريئة لقياس المهارات المهمة.
- توافر تكنولوجيا الأدلة والتدريب لدعم الطلاب والمعلمين والنظام.

إن التغيير ليس بالأمر المستحيل، ويرى تحالف كارانجا العالمي للمهارات الاجتماعية والوجدانية، أننا نستطيع معًا تحقيق مستقبل أفضل. ونحن بحاجة إلى نظام تعليمي يناسب القرن الحادي والعشرين، ويركز على المهارات والقيم والمعارف اللازمة للتكيف مع العالم الجديد.

*****

نبذة عن المؤلفة: تترأس جويسي جون إدارة الابتكار التعليمي في نيستا.

خطوات أربع صوب المستقبل

بقلم: توماس هاتش

لقد استهللت مسيرتي المهنية في ميدان التعليم منذ 35 عامًا بدراسة سُبُل تنمية مواطن القوى لدى الأطفال الصغار وتعزيز اهتماماتهم باللعب الحر في مرحلتي ما قبل المدرسة ورياض الأطفال. ومنذ ذلك الوقت وأنا أتعامل مع المدارس والمناطق والنُّظم التعليمية للوقوف على مكمن صعوبة تحسين المدارس وتهيئة بيئات تعليمية تدعم تنمية الأطفال من جميع الجوانب. ومن خلال خبرتي فأنا على يقين أن تلك الانقطاعات الدراسية التي عانى منها الكثيرون هذا العام لن تؤدي بالضرورة إلى إعادة التفكير فيما يقع في المدارس، أو إعادة تصور ذلك. وخلاصة الأمر أنه لن يتغير شيء ما لم نغيره بأيدينا، وما زالت أمامنا خطوات مهمة يمكننا اتخاذها في الوقت الحالي لزيادة كفاءة مدارسنا وفعاليتها وتكافؤ الفرص فيها ووضع الأسس اللازمة لإحداث نقلة في التعليم ككل ونحن في طريقنا نحو المستقبل.

الالتزام بالتصدي لمشكلات التكافؤ

لقد سلطت هذه الجائحة الضوء على التحديات الخطيرة التي يواجهها العديد من الأطفال، مع أن تلك التحديات كانت قائمة قبل تفشي هذه الجائحة بوقت طويل. فهناك ملايين الأطفال يتعرضون لأزمات، ويعانون من الحرمان، ويواجهون الصدمات في كل يوم. وكذلك هناك طلاب لا يمكنهم الذهاب إلى المدارس، وآخرون يتغيبون كثيرًا، وآخرون تعذر عليهم الحصول على فرص التعلُّم التي يحتاجون إليها، ولم يسبق لنا مطلقًا أن اتخذنا أي إجراءات تتيح لهم الاستفادة من الفرص التعليمية. وفي ضوء هذا الواقع، فإن أول خطوة في التصدي لهذه الأزمة تكمن في الاعتراف بأننا أمام حالة طارئة تتعلق بالتكافؤ يمكننا التصدي لها على نحو مباشر ومستمر، هذا بالإضافة إلى مواجهة حالة طوارئ مناخية عالمية. ويعتمد التصدي لهذه الحالة الطارئة على إقامة الشراكات واستدامتها بين قطاعات الصحة والتعليم والاقتصاد التي تسعى بالفعل للتصدي للأزمة الحالية.

توسيع نطاق أولوياتنا لدعم تنمية الأطفال من جميع الجوانب

علينا إعادة النظر في الأهداف التعليمية والمحتوى التعليمي، لا في وسائل التدريس وحدها، إذ إن الأمر لا يقتصر على وقت وكيفية التدريس عبر الإنترنت، بل على ما يجب تدريسه وكيفية ضمان إتاحة الفرصة للطلاب للسعي لتحقيق أغراض وأهداف رئيسة لم يسبق لنا أن أفسحنا المجال لمناقشتها. ولن نستطيع أن ندخل التعلُّم الاجتماعي والوجداني، والتفكير الناقد، والمواطنة العالمية في يوم دراسي مكتظ بالفعل؛ لكن علينا أن ندمج هذه الأهداف ضمن تصميم جميع الفرص التعليمية.

خفض المنهج إلى النصف

عملاً منا على تهيئة المكان والزمان الملائمين للتوسع في دعم نمو الأطفال، فإنه يمكننا خفض المنهج الدراسي في جميع المواد إلى النصف. ولو اتبعنا فلسفة "القليل يعني الكثير"، يمكننا تضييق نطاق تركيزنا والتأكد من تحقيق الجميع لأهداف دراسية مهمة - سواء كان ذلك بالتركيز على تعلُّم القراءة أو تعلُّم الكسور أو تعلُّم كيفية انتشار الفيروسات وأسباب ذلك. ويمكننا أيضًا إفساح المجال في اليوم الدراسي بحيث يتاح لجميع الطلاب الوقت للتفكير في تجاربهم والتحديات التي واجهوها؛ ولتطوير استراتيجيات المواجهة؛ وللخروج واستكشاف بيئتهم؛ وللتواصل وبناء علاقات إيجابية مع أقرانهم ومعلميهم؛ وللمشاركة في أعمال هادفة وبناءة في المجالات التي تحظى باهتمامهم.

كسر الحواجز بين التعلُّم "داخل" المدارس و"خارجها"

يمكننا إعادة النظر في الجداول الدراسية وإتاحة المجال والوقت للتعلُّم الفاعل داخل المدارس وخارجها، لا سيما بعد أن تعلَّمنا كيفية دعم تطوير المهارات الأساسية على نحو أكثر فاعلية على شبكة الإنترنت وخارجها، وصار بإمكاننا ترتيب يوم مدرسي مكثف يتيح فرصًا تعليمية في المتاحف والمنظمات المجتمعية وجولات الاستكشافات الخارجية والشركات التجارية. وفي هذا السياق، يمكننا تحويل الاهتمام من إلحاق الأطفال بالمدارس إلى استغلال فرص التعلُّم في كل مكان توافرت به.

وليس ما سبق بالمهمة اليسيرة ولا هو بالأمر بالمستحيل؛ وقد بدأنا العمل صوب بلوغ هدفنا المنشود، حتى في ظل العُزلة المفروضة علينا، في إطار من إعادة التواصل وبناء العلاقات وتعزيز الالتزام المشترك والمسؤولية الجماعية للعمل معًا في خدمة الصالح العام.

*****

نبذة عن المؤلف: يعمل توماس هاتش أستاذًا في كلية المعلمين بجامعة كولومبيا ومديرًا مشاركًا بالمركز الوطني لإعادة هيكلة التعليم والمدارس والتدريس.

الجزء الثالث

الخطوات التالية لمستقبل التدريس

أغسطس 2020

تغطية خاصة بالأمم المتحدة

من ضيق الأزمة إلى رحابة الفرص

رسم مسار جديد لتيسير الحق في التعليم

بقلم: ستيفانيا غيانيني

بينما شرع المجتمع الدولي خلال العقد الأخير في العمل على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، واجه العالم أخطر تحدٍ له منذ نشأة الأمم المتحدة متمثلاً في جائحة "كوفيد-19 التي أماطت اللثام عن هشاشة عالمنا وضعف ترابطه، ما أثر على كل بلد ومجتمع وعائلة. ومع ذلك، فإن درجة الشعور بتبعات هذه الأزمة كانت ولا تزال متباينة إلى حدٍّ كبير. وتدعو إلى حقبة جديدة من التضامن والتعاون العالميين.

ألقت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-19" بآثارها السلبية على فئات السكان الأكثر ضعفًا وكانوا الأشدّ تضررًا منها، ما عرضّهم لخطر أكبر بالتخلف عن مواكبة الركب نحو مستقبل مستدام للجميع. وكشفت الجائحة على نحوٍ صارخ عن العواقب الوخيمة لعدم المساواة بصورها المختلفة، ومن بينها انعدام المساواة الرقمية التي تحرم الملايين من فرص التعلُّم، وعدم المساواة بين الجنسين التي تُعرِّض الفتيات للعنف المتزايد، وعدم المساواة الاجتماعية التي تتسبب في تخلُّف الفقراء عن اللحاق بالركب، وعدم المساواة الجغرافية بين المناطق الريفية والحضرية.

ويسلّط التقرير العالمي لرصد التعليم في إصداره لعام 2020 الضوء على تفاقم مستويات الإقصاء والتمييز في ظل تفشي جائحة "كوفيد 19"، إذ تشير التقديرات إلى أن حوالي 40% من البلدان منخفضة الدخل والبلدان ذات الدخل المتوسط الأدنى لم تستطع تقديم الدعم اللازم للمتعلمين المحرومين في أثناء فترات إغلاق المدارس. ويأتي هذا في الوقت الذي لم يتمكن فيه نحو 258 مليون طفل وشاب من الالتحاق بالمدارس قبل تفشي الجائحة.

وقد كشفت الأزمة عن الحجم المذهل للفجوة الرقمية العالمية. فمع إغلاق المدارس في جميع أنحاء العالم تقريبًا، أصبح توافر الإنترنت شرطًا أساسيًا لحماية الحق في التعليم. ومع ذلك، ما يزال نصف سكان العالم اليوم غير قادرين على الحصول على خدمة الإنترنت، فيما يتعذر على نحو 500 مليون متعلم، أي ما يعادل نحو 47% من جميع طلاب المدارس الابتدائية والثانوية الذين تستهدفهم منصات التعلم الوطنية عبر الإنترنت، الوصول إلى شبكة الإنترنت من منازلهم.

وعلى الرغم من أن البلدان المختلفة في جميع أنحاء العالم قد بادرت إلى إغلاق المدارس في تتابع سريع دون انتظار لتقييم مدى نجاح هذه الخطوة، كانت تلك البلدان أبطأ كثيرًا في اتخاذ قرارها الحاسم بإعادة فتح المدارس. فهناك أبعاد مهمة تجب مراعاتها في هذا الصدد مثل تقييم مخاطر العدوى، وتقييم عواقب إغلاق المدارس، ورصد فعالية التعلم عن بُعد، ووضع استراتيجيات لتعويض المناهج الفائتة. ومما لا شك فيه أن عملية إعادة فتح المدارس في الواقع لن تحدث من تلقاء نفسها، بل تتطلب إعدادًا دقيقًا مصحوبًا بإدراك أن احتمالية ضعف التحصيل الدراسي والإقصاء ستزداد كلما طالت فترة إغلاق المدارس.

وبقدر مأساوية هذه الأزمة، فقد أطلقت طائفة من القدرات غير العادية لتطوير التعليم وإعادة التفكير فيه.

واليوم نشهد تفاقم أزمة التعليم، لكنّها تتزامن مع زيادة وتيرة التغيير ونطاقه. لقد أظهرت الجائحة قيمة المدارس والمعلمين ومنافعهما الكثيرة للمجتمع، ولعل أهمها دورهما في الوقوف كحصن واقٍ في وجه التمييز وعدم المساواة. وبهذه الطريقة، أنشأت جائحة كورونا الراهنة زخمًا قويًا أسهم في الخروج عن روتين "العملية التعليمية التقليدية" ودفع العالم إلى إعادة التفكير في نظام التعليم في المستقبل. ويجب أن ندرك أننا نمر بمنعطف حاسم، فاليوم لدينا فرصة سانحة لاتخاذ قرار بشأن نوع التعليم الذي سيعزز استيعاب الجميع والقدرة على مواجهة الأزمات وتحقيق السلام في العالم. لكننا ما زلنا في مرحلة إعداد الإجابات المناسبة. ويُلاحظ أن التزام الحكومات وسرعتها في اتخاذ إجراءات مناسبة بين عشية وضحاها لإنشاء مجموعة متنوعة من بدائل التعلم عن بُعد، يُعدان ثورةً حقيقيةً في تقديم خدمات التعليم والتي يجب أن نبني عليها لتعزيز أنظمة التعليم الوطنية.

لقد قدمت هذه الأزمة، من نواحٍ عدّة، برهانًا ساطعًا لإدراك حقيقة النقاشات المتكررة التي جرت في السنوات الماضية. فمن جهة المخاوف المتعلقة بإمكانية استبدال المعلمين بالتقنيات الحديثة، أبرزت الأزمة التأثير الكبير للعنصر البشري في العملية التعليمية. ومن جهة الاعتقاد بأن التكنولوجيا تعمل فقط على تعزيز مصالح القطاع الخاص، يوضح التحالف العالمي للتعليم الذي أطلقته منظمة اليونسكو لمواجهة جائحة كورونا الراهنة، والذي يضم 140 شريكًا، التزامًا مشتركًا بتوفير التعليم المجاني عن بُعد. أمّا من جهة التصور بأن أنظمة التعليم مقاومة للتغيير، فإن تحققت استمرارية التعلم عبر الراديو والتلفزيون ومنصات الإنترنت والعديد من طرق التعلم الإضافية التي غالبًا ما تكون مختلطة. ولا شك أن هذه التجربة ليست فترة استثنائية ستمضي كأن شيئًا لم يكن، لكنها ستلقي حتمًا بظلالها على

كيفية تقديم خدمات التعليم في المستقبل. لذا، يجب الحفاظ على زخم التضامن الراهن ونحن على مشارف مرحلة جديدة من الأزمة ونخطط لمرحلة ما يُسمى "عالم ما بعد كورونا". وتجدر الإشارة إلى أن مستقبل التعليم ومستقبل المجتمع يرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا.

وما لم يحتشد المجتمع العالمي لدعم نظام التعليم، فستحدث انتكاسات خطيرة تؤثر على الطلاب والمجتمعات ككل. ففي ظل الوضع الراهن، يواجه الأطفال والشباب مستقبلاً مبهم المعالم؛ فالركود الاقتصادي يلوح في الأفق، ومن المتوقع ارتفاع معدلات البطالة وأن تظل قضية تغير المناخ تهديدًا وجوديًا للبشرية. وفي هذا السياق، يجب أن يكون التعليم إحدى الركائز المهمة في التعافي من الأزمة وأن يكون حاضرًا باستمرار في حزم التحفيز ومستثنًى من تخفيضات الميزانية المحلية والمساعدات. لذا، فإن التقاعس الآن عن اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية التعليم وتعزيزه كاستثمار مفيد لمستقبل البشرية المستدام ينطوي على خطر جسيم بالتضحية بجيل كامل، ما يتطلب الدعوة إلى تعزيز القيادة السياسية لإعطاء الأولوية للتعليم من الآن فصاعدًا

حان الوقت إذن لاتخاذ التدابير اللازمة وتعزيز قدرة أنظمة التعليم الوطنية على مواجهة الأزمات لضمان إعادة البناء على نحو أفضل فور انجلاء الجائحة.

فبادئ ذي بدء، علينا الإقرار بأن جميع محاولات إعادة "البناء على نحوٍ أفضل" يجب أن تكون نابعة من الاقتناع بأن الجائحة العالمية لن تُقهر بالتدابير الصحية وحدها، فالصحة العامة والتعليم العام مترابطان وهما ركيزتان أساسيتان لمجتمع أفضل. وهذا ينطبق بصفة خاصة على قرارات التمويل التي ينبغي أن ترتكز على دليل قوي مفاده أن التعليم هو الدافع المحفّز لتعزيز كافة جوانب رفاه الإنسان.

ثانيًا، كشفت الأزمة عن مركزية الاتصال وتأكيد أن التعليم والفجوات الرقمية يُعزّزان بعضهما بعضا. وقد شهدنا في سياق الأزمة دور الابتكار والتحوّل والإبداع المتميز في ضمان عدم توقّف عملية التعلُّم مطلقًا. وتعكف الحكومات على التخطيط من أجل المستقبل مستثمرةً في حلول التعلُّم المختلط التي تجمع بين التعلُّم التقليدي وجهًا لوجه والتعلُّم عبر الإنترنت. وهذا لا يتطلب وجود بنية تحتية مناسبة فحسب، بل يستلزم أيضًا إتاحة الوصول إلى المناهج الرقمية، وتدريب المعلمين والطلاب على اكتساب المهارات الرقمية، واتخاذ التدابير التي تكفل الخصوصية وتحميها، والدعوة إلى توفير المصادر التعليمية الكافية.

وثالثًا، ثمّة درس أساسي نستقيه هنا وهو أن العلاقة الإنسانية بين الطالب والمعلم تأتي في صميم العملية التعليمية ذاتها. فقد استطاع المعلّمون في ذروة الجائحة وما بعدها التأقلم مع واقع تعليمي مختلف تمامًا عما عهدوه، استلزم منهم تنمية المهارات اللازمة لضمان استمرارية التعلُّم وسلامة الطلاب ورفاههم. لذا، ينبغي الاعتراف بالدور الأساسي الذي ينهض به المعلمون والبناء عليه؛ علمًا بأن نُظُم التعليم الأكثر استعدادًا لمواجهة الأزمة هي تلك القادرة على تقييم معلميها ومنحهم قدرًا أكبر من الاستقلالية وتيسير الأوضاع المواتية التي تمكنّهم من تضافر جهود العمل المشتركة.

ختامًا، زادت الأزمة من الحاجة إلى إعادة تقييم نوعية التعليم الجيد الذي يتجاوز مجرد تقديم أساسيات المناهج الدراسية فحسب. ومثلما كشفت هذه الأزمة عن مدى ترابطنا، فقد أطلقت أيضًا موجة من المعلومات المضلّلة والأخبار المزيفة والخطاب الباعث على الكراهية. من ثَمَّ، يحتاج التعليم أكثر من أي وقت مضى إلى إعادة تصوُّر بهدف إكساب الطلاب مهارات التفكير الناقد وتعزيز الثقافة العلمية وأنماط التفكير التي تعينهم على أن يكونوا مواطنين عالميين.

إنّ إعادة تصوُّر التعليم تبدأ بالدفاع عن الحق في التعليم في كل مكان.

وهذه مسألة تتعلق بالعدالة وحقوق الإنسان ورؤية التعليم العام كأعظم ثروة في المجتمع. فالتعليم بمقدوره "إنقاذ مستقبلنا" وتمكين كل فرد من بناء عالم أكثر مرونة وشمولية واستدامة. وهذه القناعة تحديدًا هي التي جمعت الجهات الفاعلة الدولية الأساسية معًا لإطلاق حملة عالمية لحماية التعليم وإعطائه الأولوية كشرط أساسي للسلام والمساواة ورفاه الإنسان والنمو المُراعي للبيئة. فإذا أردنا المُضيّ قُدمًا، ينبغي علينا أن نبني على هذا الزخم لتوجيه مستقبلنا على المسار الصحيح وتعزيز القيادة السياسية، فضلاً عن الالتزام غير المسبوق بالتعليم العام والمصالح العامة والتضامن العالمي في محاولة لعدم إغفال أي شخص بينما نُعيد تصوُّر العالم في مرحلة ما بعد جائحة كورونا.

*****

نُبذة عن المؤلفة: ستيفانيا جيانيني هي المديرة العامّة المساعدة للتربية في منظمة اليونسكو، وشغلت قبل ذلك منصب وزيرة التعليم في إيطاليا.

موجز تجميعي
استجابات منظمات الأمم المتحدة لأزمة "كوفيد-19"

بقلم: أحمد بغدادي ومريم الخلف

أخذت جائحة كورونا الراهنة العالم على حين غِرّة، وعطّلت حياة الناس في كافة مناحيها تقريبًا في شتّى أرجاء العالم، ومن بينها التعليم. وقد بدا أن إغلاق المدارس والتعلُّم عن بُعد يُمثّلان استجابة طبيعية عاجلة لمواجهة الأزمة قدر المستطاع، غير أن الكلام دائمًا ما يكون أيسر من اتخاذ أي فعل؛ ولم تمتلك جميع أنظمة التعليم القدرة المتمثّلة في الموارد البشرية أو البنية التحتية لإجراء مثل هذا التحول الهائل في وقت قصير. كما تباينت الاستجابات على مستوى النظام والمدرسة حول العالم، كما ورد في طيات المقالات السابقة في هذا الجزء. الجدير بالذكر أن بعض الدول كانت مهيأة وجاهزة للتعامل مع التحديات الكبرى التي أحدثتها هذه الأزمة، في حين كافحت دولاً أخرى لضمان استمرار التعلُّم أثناء إغلاق المدارس، ناهيك عن الجودة.

وعلى الرغم من أن الخسارة الكبيرة في التعلُّم تبدو وكأنها النتيجة المباشرة الأولى لاضطراب التعليم، فإن النتائج الأخرى قد تكون قاسية أو حتى أكثر قسوة مصحوبةً بنشوء تداعيات على المدى الطويل. ومن الأمثلة على تلك النتائج، تكرار الرسوب والتسرُّب من المدرسة وزيادة العنف المنزلي والزواج المبكر بالنسبة للفتيات. وتنطبق هذه الحالة على الأطفال الذين يعيشون في المجتمعات المحرومة، ومَن يعيشون في مناطق تمزقها الصراعات، واللاجئين، والفئات الضعيفة الأخرى في مناطق مختلفة من العالم. كما يُمكن أن تتأثر صحة الطلاب وسلامتهم النفسية أيضًا جرّاء إغلاق المدارس ونقص الأنشطة وفقدان التعلُّم.

تتناول هذه المقالة جهود منظمات الأمم المتحدة المختلفة في معالجة التأثير السلبي الذي خلّفته أزمة "كوفيد-19" على الفئات الأكثر عُرضة للمخاطر، بما في ذلك اللاجئون، وتوفير تعليم نوعي في حالات الطوارئ. وتستند هذه المقالة التجميعية إلى العروض التقديمية التي قدّمها ممثلو اليونسكو واليونيسيف ومفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين والأونروا خلال فعاليات المؤتمر الافتراضي الذي عقده "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" في أبريل 2020. فالمقالات الواردة في هذا الجزء تبين كيف استجابت منظمات الأمم المتحدة سالفة الذكر لمواجهة الأزمة من أجل ضمان حصول الجميع على تعليم جيد، لا سيّما الفئات الأشدُّ تأثرًا بالمخاطر.

الأثر الوخيم والممتد لجائحة كورونا بما يتجاوز فقدان التعلُّم.

أوضح روبرت جينكنز، رئيس قسم التعليم بمنظمة اليونيسف، في مقالته حول الاستجابة التي اضطلعت بها المنظمة أن أزمة "كوفيد-19" باتت حالة طوارئ صحية عالمية غير مسبوقة عرقلت "معظم النُظم التعليمية التي لم تكن مستعدة لها على مستوى دول العالم". وأشار إلى أن هذه الجائحة ستُفضي حتمًا إلى تعطّل تعليم الأطفال وتوقفه، حتى لو وضع صانعو السياسات استراتيجيات للتعلم عن بُعد. كما قدّم روبرت أمثلة على النتائج التعليمية السلبية التي قد تقع نتيجة لإغلاق المدارس، كالخسائر الكبيرة في التعلم، وزيادة الرسوب في الصفوف الدراسية والانقطاع عن الدراسة، فضلاً عن إلحاق أضرار جسيمة بصحة الطلاب النفسية والجسدية في نهاية المطاف.

ركّزت الاستجابة التي اضطلعت بها منظمة اليونيسف في مواجهة الأزمة الحالية بصفة أساسية على ضمان التشغيل الآمن للمدارس واستمرارية التعلُّم وصحة الأطفال ورفاههم. كما أجرت اليونيسف أيضًا دراسة استقصائية على الإنترنت لعدد 134 مكتبًا قُطريًا بهدف تتبع الاستجابة المُضطلع بها في مجال التعليم حول العالم في إطار مواجهة الجائحة، وكشفت الدراسة عن النتائج الإيجابية للتعلُّم عن بُعد. ومع ذلك، فقد تخلّفت بعض الدول الأقل نمواً عن مواكبة هذا الركب، إذ لا تمتلك إمكانية الوصول إلى معظم الأدوات الرقمية، وتعمل اليونيسف في الآونة الراهنة على معالجة هذه المشكلة. واشتملت استجابتها في مجال التعليم على دراسة كيفية إعادة فتح المدارس، وهو الموضوع الأكثر تحدّيًا قياسًا بالأمثلة السابقة على الأوبئة العالمية، والتي أظهرت عدم احتمالية رجوع الطلاب إلى مدارسهم مرة أخرى.

الأطفال اللاجئون هم أكثر الفئات تضرُّراً على مستوى العالم

تسبّب إغلاق المدارس في إلحاق الضرر بما يقرب من سبعة ملايين لاجئ من الأطفال. وكان اللاجئون يواجهون بالفعل العديد من العوائق التي تحول دون تعلُّمهم حتى قبل أن تبدأ الجائحة، فلم يحظ نصفهم بفرصة الالتحاق بالمدارس، ومع تقدمهم في السن أصبح من الصعب عليهم الالتحاق بمسارات التعليم الملائمة. وتبيّن ريبيكا تلفورد، رئيسة قسم التعليم

في مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، في مقالتها الجهود المبذولة للتصدي الفعّال لهذه الأزمة من خلال التركيز الأساسي على توفير التعليم الجيد وحماية الطلاب الأكثر ضعفًا. واقترحت ريبيكا مقاربات جديدة للتعامل مع جائحة كورونا الراهنة، مما يمنحنا فرصة لإعادة تصوُّر أنظمة التعليم. وتشمل هذه المقاربات النظر في فرص الاستجابة للأزمة على الصعيد العالمي، والاستجابة لتلبية احتياجات أُسر اللاجئين، وإدراك كيف أن الجائحة تؤدي إلى زيادة حالات عدم المساواة، علاوةً على طرح الحلول اليسيرة والناجزة، وحماية القوى العاملة في مجال التعليم، والتركيز على كيفية إعادة فتح المدارس، وأخيراً حماية الفتيات وضمان المساواة. كما أكدت بيكي على أهمية ضمان المساواة للأطفال اللاجئين الذين يمكنهم الإسهام بصورة إيجابية في مجتمعاتهم مستقبلاً.

نضال اللاجئين الفلسطينيين وسعي وكالة الأونروا إلى توفير سُبُل الدعم لهم ولمعلميهم

قدّمت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) برنامجًا تعليميًّا للاجئين الفلسطينيين المسجلين لما يقرب من سبعة عقود في أوقات السِلم وأوقات النزاع، إلّا أن الوكالة لم تُواجه أبدًا أزمة بهذا الحجم كتلك التي سبّبتها جائحة كورونا. فقد أدّت الأزمة إلى إغلاق المدارس والمراكز المهنية في جميع أقاليم عمليات الوكالة (الأردن والضفة الغربية وغزة ولبنان وسوريا). ونتيجة لذلك، اضطرت الأونروا أن تعيد التفكير في تقديم التعليم في حالات الطوارئ؛ وجرى وضع نهج مخصص لذلك في عام 2011 من أجل تمكين الأطفال الذين تأثروا بالحروب أو النزاعات من مواصلة تعلمهم.

كما أوضحت كارولين بونتيفراكت، مديرة إدارة التعليم لدى الوكالة، كيف أن الأونروا أعطت الأولوية لمجالات معينة يمكن فيها تقديم الدعم الكامل للطلاب والمعلمين في آن واحد، وأحد هذه المجالات هو الدعم النفسي، الذي دائمًا ما تؤكد الأونروا من خلاله على أهمية التواصل المباشر والتفاعل الاجتماعي. وثمّة مجال آخر يتمثّل في السلامة والأمن اللّذَين يجري بموجبهما تزويد الطلاب بالمعرفة حول كيفية الحفاظ على صحتهم وسلامتهم، بما في ذلك تطبيق عددٍ من الممارسات المحددة في سياق جائحة كورونا. كما أن الرصد والتقييم يُعدّان من المجالات الأخرى التي واصلت الأونروا فيها إجراء الاستقصاءات والدراسات المتعلقة بتجربة الأطفال والمعلمين وأولياء الأمور إبّان الأزمة. أمّا المجال الأخير وهو التعليم والتدريب التقني والمهني، فتعمل الأونروا على تزويد الطلاب بخبراتها في مجال الدراسة الذاتية علاوةً على إتاحة إمكانية التعرف على العناصر العملية من خلال روابط الموقع. ويكمن الهدف الرئيسي للأونروا في الوقت الحالي في المضي قُدُما واستقاء الدروس المهمة من هذه الجائحة.

الأمم المتحدة بمقدورها – بل ينبغي لها – النهوض بدور رئيس في بناء مستقبل التعليم عقب الأزمة

أوجز مدير الفريق المعني بالتقرير العالمي لرصد التعليم، مانوس أنتونينيس، أزمة التعليم في نقطتين رئيسيتين، أولهما، أن حالات عدم المساواة قائمة منذ فترة طويلة لكنها محجوبة بطريقة ما في نطاق الصفوف الدراسية، غير أن الأزمة الحالية قد سلّطت الضوء عليه. وثانيهما، أن الأزمة دفعت الناس إلى اتخاذ قرارات صعبة في مجالات حساسة مثل التعليم والدعم الطبي والاقتصادي. وقد ذكر مانوس بأن ما يُرثى له هو أن الحلول التعليمية المطروحة أغفلت التركيز على العديد من الشباب. وهنا يأتي دور الأمم المتحدة في حماية التعليم خاصةً للأطفال الأكثر تضرُّرًا، على الرغم من التشكيك في الدور الذي تضطلع به خلال هذه الأزمة.

وبحسب ما ذكره مانوس، تتجلى المهام الرئيسية الأربع للأمم المتحدة في مجال التعليم في: (1) إرساء السلام والأمن، (2) حماية حقوق الإنسان، (3) تقديم المساعدات الإنسانية، (4) تعزيز التنمية المستدامة. ولا شك أن منظومة الأمم المتحدة تواجه تحديات كبيرة سواء في أسلوب هيكلتها أو طريقة عملها. وطرح مانوس أربعة مجالات يمكن للأمم المتحدة الاستفادة منها في إظهار ريادتها في مجال التعليم: أولها، ضرورة إعطاء الأولوية للفئات المُعرضة لخطر الإقصاء. وثانيها، أن على الأمم المتحدة حماية حقوق الإنسان وتحقيق الصالح العام العالمي. وثالثها، وجوب التنبه عند إعادة فتح المدارس إلى المسائل المتعلقة بسياسة التعليم التي طالها الإهمال فيما سبق. ورابعها، أن منظومة الأمم المتحدة منوط بها حماية خدمات التعليم والعمل كوحدة واحدة. كما يجب على الأمم المتحدة بصفة عامة تذكير العالم بأن التعليم هو أحد أعظم الأدوات التي تُمكّن من إعادة بناء عالم أكثر شمولاً وقدرة على التأقلم.

من الجليّ أن تأثير الأزمة على التعليم والجوانب الأخرى للحياة كان تأثيرًا قاسيًا، غير أن هناك بارقة أمل تلوح في مختلف الجهود المذكورة أعلاه بأن المستقبل يحمل آمال التعافي المرجوة. ومن الأهمية بمكان التأكيد على أن جميع منظمات الأمم المتحدة، والحكومات، والجهات المانحة، والمجتمعات بحاجة إلى إبراز إمكانات التعليم من أجل إعادة بناء المجتمعات عقب الأزمات، علاوةً على ضرورة التعاون وتضافر الجهود بين جميع الأطراف المعنية في هذا الصدد.

*****

نبذة عن المؤلفين: يشغل أحمد بغدادي منصب مدير البحوث في مؤتمر "وايز"، وتعمل مريم الخلف باحثة مشاركة لدى مؤتمر "وايز".

التعليم وقدرة الأمم المتحدة على التأقلم

والتكيّف والتعاون في ظل أزمة "كوفيد-19"

بقلم: مانوس أنتونينيس

خيّمت حالة من الشك وعدم اليقين بشأن خطورة جائحة كورونا الراهنة، الأمر الذي أجبر الحكومات في شتّى أرجاء العالم على فرض الإغلاق وتقليص النشاط الاقتصادي في غضون 100 يوم، وهو ما هدّد حياة المليارات من الأُسر الساعية إلى كسب أرزاقها. وكان من بين هذه التدابير الأساسية إغلاق المدارس والجامعات بهدف الحد من مخاطر العدوى، إذ تأثّر نحو 91% من الطلاب حول العالم في 194 دولة جرَّاء ذلك في ذروة فترة الإغلاق في أبريل 2020.

ونتيجةً لذلك، تسبّبت جائحة كورونا الراهنة في حدوث أزمة تعليمية يمكن إيجازها في شقّين: أولهما تأجّج الاضطراب في ظل أوجه عدم المساواة العميقة والمتعددة التي كانت قائمة منذ فترة طويلة ولكنها كانت محجوبة إلى حد ما في الفصول الدراسية، ثم ظهرت فجأة وبصورة حادة. ثانيًا، واجه ملايين الأشخاص هذه الأزمة بخيارات قاسية وقرارات صعبة، لعلّها كانت عونًا لبعضهم لكنّها انطوت على احتمالية إلحاق ضررٍ بالغ بالبعض الآخر. ومن ذلك اضطرار

الأطقم الطبية إلى المفاضلة بين احتياجات المرضى المتعارضة، واحتياج السلطات إلى تقرير كيفية تخصيص الدعم الاقتصادي. كذلك تعين على الأفراد حزم أمرهم فيما إذا كانوا سيلتزمون بقيود الحجر الصحي أم سيتنصلون منها، وبالتالي، فإن إدارة التعليم قد واجهت أيضًا معضلات أخلاقية؛ فقد واجه اضطراب التعلُّم صانعي السياسات بمبدأ "عدم إلحاق الضرر" – وهو شرط يقضي بعدم وضع أي خطة أو برنامج إذا كانت هناك مخاطر من أن يتسبب ذلك في إحداث الضرر لأي شخص مطلقًا. وممّا يُرثى له أن كثيرًا من الحلول التعليمية التي وُضِعت موضع التجرِبة قد أفضت إلى ترك العديد من الأطفال والشباب بعيدين عن مواكبة ركب أقرانهم.

تتسم عواقب أزمة التعليم بأنها آنية وتدريجية في الوقت ذاته؛ فقد أبدت أنظمة التعليم استجابتها لحلول التعلُّم عن بُعد، التي تقدم جميعها بدائل أقل فعالية أو غير مثالية مقارنة بالتدريس داخل الفصول الدراسية. كما أدّت عمليات الإغلاق إلى توقف آليات الدعم التي يستفيد منها العديد من المتعلمين المحرومين، ذلك أن إجبار هؤلاء المتعلمين على قضاء المزيد من الوقت في المنزل قد لا يساعدهم في التعلُّم. ومن المتوقع أيضًا أن يكون للصعوبات الاقتصادية الناجمة عن الإغلاق تأثير متوسط إلى طويل الأجل. وسوف تضطر الحكومات إلى مواجهة خسارة الإيرادات في فترة الركود التي أعقبت ذلك، ناهيك عن مواجهة الطلبات المتنافسة والمُلحّة المُقدّمة من مختلف القطاعات. وأيضًا ستحتاج الأسر إلى اتخاذ قرارات صعبة بشأن تخصيص الموارد وتوزيعها، لا سيّما الأُسر التي ترزح بالقرب من خط الفقر أو دونه، الأمر الذي قد يدفعهم إلى إخراج أطفالهم من المدارس في نهاية المطاف.

ما الدور الذي تضطلع به الأمم المتحدة في هذا السياق؟

لطالما طال التشكيك الأسس التي قامت من أجلها الأمم المتحدة في ظل هذه الأزمة، وكان ذلك غالبًا من الناقدين أنفسهم ممّن وضعوا في إطار منهجي طائفة من القيود على عمل المنظمة التي تأسست منذ أكثر من جيلين، بدلاً من دعم جهودها في تلبية احتياجات القرن الحادي والعشرين.

وبخلاف الاستثناء المحتمل للقانون الدولي، نرى أن التعليم يعكس تطبيق المهام الأربع الأساسية للأمم المتحدة. أولاً، قد يكون الارتباط بالسلام والأمن الحلقة الأقل وضوحًا، غير أن هناك حراكًا مستمرًا لمكافحة الأسباب الكامنة وراء المعلومات المضللة وخطاب الكراهية، ربما في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى. ثانيًا، تُمثّل الأزمة فرصة فريدة لمعالجة قضايا حماية حقوق الإنسان المتعلقة بالخصوصية، إذ تدخل شركات التكنولوجيا في مجال التعليم العام من خلال منصات التعليم عبر الإنترنت. ثالثًا، تتمتع منظومة الأمم المتحدة بخبرة كبيرة في تقديم المساعدات الإنسانية غير أنها بحاجة إلى حشد آلياتها والتعلُّم من الدروس السابقة. أخيرًا، تحتاج منظومة الأمم المتحدة إلى البحث عن حلول مستدامة للتنمية العالمية، إذ إن الأزمة قد تؤدي إلى انتكاسة تُعيق تحقيق أهداف التنمية المستدامة، ومن بينها التعليم. يضاف إلى ذلك أن العدالة والإدماج هما الركيزتان اللتان تقوم عليها الاستدامة، على الرغم من غياب إعمالهما بفاعلية خلال الأسابيع المنصرمة.

وممّا لا شك فيه أن منظومة الأمم المتحدة تجابه جملةً من التحديات؛ أولها أن السياق العالمي بات غير مواتٍ بصورة متزايدة لتعددية الأطراف، إذ لا يحتاج المرء إلى النظر إلى أبعد من منظمة الصحة العالمية، التي تواجه الآن ما واجهته منظمة اليونسكو مرتين في تاريخها – وأعني بذلك انسحاب الولايات المتحدة. وثانيها أن التحول في ميزان القُوى نحو شركات التكنولوجيا كان أمرًا بالغ الصعوبة في تعامل منظومة الأمم المتحدة معه. فعلى سبيل المثال، ضم تحالف التعليم، الذي سارعت منظمة اليونسكو إلى إنشائه من أجل تنسيق الجهود لمواجهة

جائحة كورونا، العديد من شركات التكنولوجيا بصفتهم أعضاء، لكن دون إرساء مبادئ مشاركة واضحة يلتزمون بها. أمّا ثالثًا فقد جرى تعميم حالة الطوارئ هذه، واختبار استجابة منظومة الأمم المتحدة في مجال التصدي للأزمات وقدرتها على الاضطلاع بدور جهة التأمين. لذلك، فإن الحكومات بحاجة إلى توصيات، غير أن السياقات تنمّ عن تباين جليّ في ظل وجود أزمة عالمية، ما يؤثر على أهمية التوجيه المحتمل، بدءًا من القواعد المتعلقة بإعادة فتح المدارس إلى إجراء الاختبارات، فقطاع التعليم يختلف عن قطاع الصحة؛ وبالتالي، فإن نقص الممارسات السريرية والبروتوكولات التي ينبغي اتباعها يشكّل حجر عثرة أمام طرح خيارات الاستجابة.

هناك أربعة مجالات يمكن للأمم المتحدة من خلالها أن تُظهر ريادتها في مجال التعليم.

السؤال المطروح الآن: ما نطاق عمل منظومة الأمم المتحدة في مجال التعليم، بالنظر إلى هذه المعلومات الأساسية؟ وللإجابة عن ذلك تنبغي الإشارة إلى أربعة مجالات لم يحظَ بعضها بالاهتمام الكافي. ففي المقام الأول، تحتاج الأمم المتحدة إلى تحديد أولويات تلك الفئات المعرّضة لمخاطر الاستبعاد والدفاع عنهم، ذلك لأن الاستجابات الرامية لاستمرارية التعلُّم في جميع أنحاء العالم ربما تكون قد بالغت في التأكيد على طرق التعليم عن بُعد عبر الإنترنت، ففي حين أن الدول تريد استغلال الفرصة لتجاوز الأزمة والاستعداد للمستقبل، نجد أن عددًا كبيرًا من السكان ليسوا مستعدين لذلك. وبالتالي، تحتاج الأمم المتحدة إلى دعم مبدأ "عدم إلحاق الضرر" ومساعدة المتعلمين المتخلفين عن مواكبة الركب، إضافة إلى الضغط على الحكومات من أجل إيلاء الأولوية لهؤلاء المتعلمين الذين قد لا تسعفهم الظروف حتى إلى امتلاك راديو أو تلفاز خاص.

ثانيًا، تحتاج الأمم المتحدة إلى توفير المنافع العامة العالمية وحماية حقوق الإنسان، إذ إن استخدام الخدمات الرقمية الخاصة للتعليم لا يعني بالضرورة قبول الشروط والأحكام التي يجري استخدامها لعملائها من القطاع الخاص. يجب أن تضطلع الأمم المتحدة بدورها في قيادة النقاش بهدف حماية الخصوصية وحقوق الطفل والإنصاف وعدم التمييز، كما أن المبادئ التي تحمي المتعلمين الذين يستخدمون منصات التعلُّم عبر الإنترنت ينبغي أن تحترم حقهم في عدم الكشف عن هويتهم وألّا يكونوا أهدافًا للإعلانات، كما يجب حماية بياناتهم أيضًا، سواء كانت مستندات أم محادثات.

ثالثًا، ستحتاج الأمم المتحدة مع إعادة فتح المدارس إلى إعادة تركيز انتباهها على قضايا سياسة التعليم التي على الرغم من أهميتها باتت مُهملة بوجه عام. كما تحتاج الأمم المتحدة إلى حث الحكومات على وضع القيم في صميم عملية التعليم والتعلم التي يُعتز بالعديد منها أثناء الاستجابة لمواجهة الجائحة ولكن يمكن نسيانها بسرعة، ألا وهي: قيم التضامن والتعاطف والإنصاف والثقة والتقدير لإنسانيتنا المشتركة. تعتمد منظومة الأمم المتحدة إجراءات ترمي إلى جذب انتباه البلدان، فهي بحاجة إلى حشد جهود هذه الدول، مُستنيرة في ذلك بالدروس الجديدة المستفادة من الجائحة. وكما أكد البيان المشترك بشأن أزمة جائحة كورونا الصادر عن اللجنة الدولية لمستقبل التعليم، فإن هذه الجائحة التي تُهدد الصحة العالمية "لن تُهزم بالتدابير الصحية وحدها". إن منظومة الأمم المتحدة بحاجة إلى تذكير الحكومات بتقدير أهمية التفاعل البشري والرفاه، أو التعلُّم خارج المدرسة. كما أن الدول ستكون بحاجة إلى الاستثمار في تعليم الطلاب كيفية استخدام التكنولوجيا- بهدف احترام الآخرين وحماية حريتهم في التعبير ومعالجة المعلومات.

ختامًا، يتعين على منظومة الأمم المتحدة حشد جهودها لحماية خدمات التعليم، وأن تعمل كوحدة واحدة متماسكة. فالركود العالمي يعني انخفاض الإيرادات العامة والنفقات، ولا نعلم حجم الميزانيات التي سيجري تحويلها أو إلى متى ستُطبّق إجراءات التقشف أملاً في تعويض التكاليف المتكبدة في تدابير الطوارئ. إن الأزمة المالية التي نعيشها ستكون أسوأ من الأزمة المالية الكبرى التي حدثت بين عامي 2007-2008. لذلك، يجب على الأمم المتحدة، في الوقت الحالي أكثر من أي وقت مضى، تذكير العالم بأن التعليم هو أحد أعظم السُبُل التي يمكنها بناء عالم أكثر شمولاً وأكثر مرونة. يُعدُّ هيكل التعليم الدولي مجزّأ، وهذا يعني أن المنظمات متعددة الأطراف المشاركة في التعليم تحتاج أيضًا إلى إنجاح عملياتها الانتقالية. إن العمل المشترك الذي قامت به منظمات اليونسكو واليونيسيف والبنك الدولي في سياق دعم الشراكة العالمية من أجل التعليم يُعدُّ بمثابة خطوة في الاتجاه الصحيح ينبغي البناء عليها.

*****

نبذة عن المؤلف: يشغل مانوس أنتونينيس منصب مدير الفريق المعني بالتقرير العالمي لرصد التعليم بمنظمة اليونسكو.

برنامج الأونروا للتعليم في أوقات الطوارئ لمواجهة أزمة "كوفيد-19"

بقلم: كارولين بونتيفراكت

منذ ما يقرب من سبعة عقود، يقدم برنامج الأونروا التعليمي خدمات التعليم للاجئين الفلسطينيين المسجلين في الشرق الأوسط، سواء في أوقات السلم أو في أوقات النزاع. وقد بات كلاً من نطاق وجودة برنامج الأونروا التعليمي يتمتع بشهرة كبيرة، إذ أسهم البرنامج في تعليم ما يربو على مليوني طفل طيلة هذه السنوات.

وبالرغم من اعتياد وكالة الأونروا على العمل في الأزمات، فإنها لم تواجه أبدًا أزمة مثل التي خلّفتها جائحة كورونا الراهنة، فمنذ شهر مارس 2020 وبعد ذلك، أغلقت الأونروا مدارسها ومراكز التدريب المهني التابعة لها في جميع ميادين عمل الوكالة- الأردن والضفة الغربية وغزة ولبنان وسوريا- إذ اضطُر نحو 533.342 طالبًا بالمدارس، و 8270 متدربًا مهنيًا تقنيًا، و 1840 طالبًا جامعيًا في مجال تدريب المعلمين إلى مواصلة التعلُّم في المنزل قدر الإمكان.

كما اضطرت الأونروا إلى أن تُعيد التفكير في تقديمها للتعليم في حالات الطوارئ. فقد أتاح نهج الأونروا للتعليم المبكر، منذ عام 2011 فصاعدًا، للأطفال المتأثرين بالصراع الذي دام تسع سنوات في سوريا، أو الحروب المتواصلة في غزة، أو بسبب الاحتلال المستمر في الضفة الغربية، أتاح لهم الاستمرار في الحصول على تعليم جيد. وفي ظل ضرورة تجنب انتقال عدوى المرض من خلال الإغلاق في البلدان المضيفة للمؤسسات التابعة للأونروا، توجب أن يكون أي نموذج من نماذج التعليم في حالات الطوارئ مختلفًا تمامًا حيث لا يمكن جمع الأطفال معًا لأي سبب، سواء كان دراسيًا أم نفسيًا.

وفيما يتصل بجهود التصدي لجائحة كورونا، ظلت موضوعات التعليم في حالات الطوارئ والطبيعة الشمولية للنهج ملائمة كما كانت دائمًا. وفيما يتعلق بالمفاهيم الثلاثة- طرق التعلُّم البديلة، بما في ذلك الدراسة الذاتية؛ والدعم النفسي والاجتماعي؛ والسلامة والأمن، المدعومين برصد وتقييم قويين- فما زالت هذه المفاهيم في غاية الأهمية في هذا السياق. ومع ذلك، كان من الضروري إعادة التفكير في تفاصيل الموضوعات في سياق جائحة فيروس كوفيد-19. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك حاجة لمراعاة أوضاع 8.270 طالبًا في مراكز التدريب المهني التابعة للأونروا لمعرفة أفضل السبل المتاحة أمامهم لمواصلة دراستهم، جنبًا إلى جنب مع 1.840 طالبًا في مؤسستين تابعتين للأونروا لتدريب المعلمين.

وقد لاحت حاجة ماسّة لاستمرار تعلُّم الأطفال إلى جانب معالجة قضايا الصحة والسلامة إلى حد ما بسبب الإغلاق الذي تفرضه الحكومة وإغلاق المدارس. فقد كانت السرعة والكفاءة اللتان جرى بهما تطوير المجالات ونشر مواد الدراسة الذاتية/ التعلُّم عن بُعد محلّ إعجاب الكثيرين، إذ كان هذا المجال ينطوي على مستوى من الإلمام بالمفهوم والممارسة. فقد جرى بناء القدرات على مر السنين والمواد متوفرة بالفعل للشروع في الدراسة الذاتية، عبر التلفزيون التابع لوكالة الأونروا، وبرنامج التعلُّم التفاعلي، وبعض المواد التعليمية القائمة على النصوص، إضافة إلى كتيبات وأدلة خاصة بالمعلمين وأولياء الأمور حول دعم الدراسة الذاتية للأطفال.

كما تعهدت الوكالة بضمان جودة جميع المواد على جميع مستوياتها وفق خمسة معايير، ألا وهي: طبيعة النهج المستخدم، ويقصد به هنا نهج التعلُّم الذاتي؛ ودعم المعلمين؛ وتقييم الطلاب؛ وتوخي مبدأ الحيادية – وهو معيار ذو أهمية بالغة بالنسبة للأونروا باعتبارها وكالة تابعة للأمم المتحدة – وإمكانية الوصول إلى مواد الدراسة الذاتية. ويجري الآن تطبيق الملاحظات المكتوبة والشفهية المُقدمة إلى الفرق الميدانية والفريق التابع للمقر الرئيسي بهدف إعداد دليل للفرق الميدانية حول كيفية تطوير مواد الدراسة الذاتية. وفي سياق الوصول إلى المواد الإلكترونية، أُجريت دراسات في مجالات مختلفة على مستوى الوكالة في نهاية فترة الإغلاق، من بينها استطلاع لآراء أولياء الأمور عبر الهاتف. وتبين النتائج التحديات التي يواجهها العديد من الأطفال ممثلةً في تعذر وصولهم إلى المواد ومدى أهمية اتباع نهج متنوع للتعلُّم عن بُعد، بما يضمن استفادة جميع الأطفال من التعلم، مع استمرار العمل على تعزيز الوصول إلى التكنولوجيا المتطورة واستخدامها على نحو فعّال.
أمّا البُعد الآخر لنموذج التعلُّم عن بُعد – وأعني بهذا دعم المعلم – فلم يكن مباشرًا، إذ غاب التواصل الفعلي بين المعلم والطالب ناهيك عن محدودية الحوار بينهما. ومع ذلك، اضطلع العديد من المعلمين بدورٍ فاعل خلال فترة الإغلاق من خلال استخدام تطبيق واتساب في التواصل مع الأطفال، ووضع مواد إضافية للدراسة الذاتية، واستخدام الاختبارات القصيرة لتقييم مدى تقدمهم. ويجري الآن إجراء دراسة لمعرفة المزيد عن طبيعة ومدى دعم المعلمين من أجل طرح رؤية واضحة وتحديد الاحتياجات التي تتطلبها تنمية قدرات المعلمين.

الدعم النفسي

الدعم النفسي الاجتماعي هو أحد المجالات التي يعطيها برنامج الأونروا التعليمي، والوكالة ككل، الأولوية وفق سياسات الأونروا وأُطُر عملها وأدواتها. وقد خصصت الوكالة مجموعة من المستشارين داخل المدارس، ولكن بنسبة محدودة بواقع مستشار مدرسي واحد لكل 10 مدارس، على الرغم من أن الدعم النقدي المقدم للمشروع قد ساعد في زيادة هذا العدد. وبالنسبة للأطفال الذين يعيشون في ظل إجراءات الإغلاق المطبقة بسبب جائحة كورونا، تُعد الاحتياجات النفسية وسبُل التعاطي معها من المجالات التي يجب التركيز عليها، ولطالما شددت الأونروا على أهمية الدعم المباشر والتواصل الاجتماعي مع الأقران بوصفها محاور أساسية لتقديم الدعم النفسي والاجتماعي.

بدأ العمل على مستوى المقر الرئيسي للوكالة في إعداد دليل الموارد لمستشاري المدارس بعنوان: "دعم الطلاب أثناء أزمة جائحة كورونا: دليل لموارد التعلُّم والصحة والسلامة والموارد النفسية الاجتماعية". وقد سعت إدارة التعليم في المقر الرئيسي للوكالة إلى تصفية الكم الهائل من المعلومات المتاحة على الصعيد العالمي وجرى وضع الدليل لجمع هذه المصادر وتنظيمها، من مصادر موثوقة وقع الاختيار عليها نظرًا لجودتها ومصداقيتها، وتزويد القطاعات المعنية بمرجع سريع لهذه المصادر.

وقد صُنّفت المواد إلى ثلاثة محاور رئيسية: الحفاظ على سلامة الأطفال، وتوفير خدمات الصحة النفسية والدعم النفسي والاجتماعي، ودعم المحافظة على صحة الأطفال.

وهذا الدليل، مدعومًا بتشكيل مجموعة من مستشاري التدريس على مستوى الوكالة، قد أتاح طرح مناقشات حول التحديات والإجراءات التي جرى اتخاذها، والتفكير المشترك حول الإجراءات الإضافية التي يمكن تطبيقها. ومن بين الأمثلة على دعم الأطفال المحرومين قيام المستشارين بالتواصل معهم عبر الهاتف، والاستماع إليهم، واقتراح الألعاب والأنشطة التي قد تساعدهم. كما استعان المستشارون أيضًا بمواقع التواصل الاجتماعي من أجل توصيل رسائل الدعم بالإضافة إلى الألعاب لجميع طلابهم.

ومع تقدم الأطفال في تحصيل مواد الدراسة الذاتية، كان من المهم التأكد من أن هذه المواد تشكّل جزءًا من الدعم النفسي والاجتماعي، إما ضمنيًا من خلال اللغة المستخدمة، أو من خلال جاذبية المادة وإدراج الأسئلة المفتوحة، أو بصورة مباشرة عن طريق إضافة نشاط في ورقة الواجبات. وسوف نتناول أهمية هذا التكامل في دليل تطوير مواد الدراسة الذاتية.

السلامة والأمن

تشير مبادئ السلامة والأمن، فيما يتصل بالتعليم في مناطق النزاع في أوقات الطوارئ، إلى التقيد بخطط الإخلاء ومراعاة تقييمات المخاطر. أمّا بالنسبة لجائحة كورونا ، فالمفترض أن ذلك يتعلق بتوخي السلامة من خلال المعرفة بالممارسات الصحية والحرص على النظافة وتطبيق هذه الممارسات. وقد جرى رفع مستوى الوعي على الصعيدين العالمي والوطني. لذلك كان على البرنامج التعليمي التابع للأونروا أن يكمل ذلك بطرق مناسبة للشباب، فجرى دمج الرسائل الصحية في بعض مواد التعلُّم الذاتي، علاوةً على تشجيع الطلاب على تصميم رسائلهم الخاصة – سواءً في صورة أعمال فنية أو نصية –في المسابقة التي تُجريها الوكالة.

وهناك نهج آخر يتمثل في استخدام الشخصيات المألوفة في مجموعة الأدوات والمقاطع المرئية الخاصة بالأونروا في مجالات حقوق الإنسان وتسوية النزاعات والتسامح، من خلال بثّ مقطع مرئي يروي قصة أعضاء الأونروا في البرلمان المدرسي في إحدى المدارس وهم ينفذون خطة لزيادة الوعي بجائحة كورونا في المدرسة والمجتمع.

وقد جرى تنظيف المدارس وتطهيرها تمامًا عقب إغلاقها مع التخطيط في الوقت الحالي لكيفية الحفاظ على مستوى النظافة الراهن بمجرد إعادة فتح المدارس.

الرصد والتقييم

نظرًا للضرورة الملحّة لتقديم التعليم في السياق الجديد لجائحة كورونا، تعين أن تكون الأدلة مصحوبة في أقرب وقت ممكن بإجراء الاستبيانات والدراسات التي تتمحور حول معرفة ماهية تجربة الأطفال وأولياء الأمور والمعلمين في استجابة المنظومة التعليمية لأزمة "كوفيد-19".

وقد لجأت وكالة الأونروا إلى دراسة كيفية استمرارها في جمع البيانات وفق المؤشرات العالمية التي تستخدمها لقياس جودة برنامج التعليم وشموليته وإنصافه. وعمدت كذلك إلى الاستعانة بمؤشرات بنك التعليم في حالات الطوارئ، التي جرى تطويرها بالتعاون مع اليونسكو ووكالات الأمم المتحدة الأخرى وغيرها من الشركاء، واستلزم ذلك أيضًا إجراء استبيانات جديدة لتقييم بعض الاستجابات المعينة لجائحة كورونا. وفي هذه المرحلة، كان التركيز في المقام الأول منصبًّا على: إتاحة وصول الطلاب إلى أجهزة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإلى وسائل الاتصال والكهرباء، وإلى مشاركة أولياء الأمور وتصورات التعلُّم الذاتي، وكيف يمكن للمعلمين والمستشارين تقديم الدعم للطلاب أثناء تقديم التعلُم عن بُعد.
وقد أُجريت هذه الدراسات بالتزامن مع مراجعة الجودة وتقييم المواد التعليمية وإجراء مراجعة متعمقة لأدوات التكنولوجيا المستخدمة في نشر مواد التعلُّم الذاتي ودعم الطلاب وتشجيعهم؛ واستندت المراجعة إلى مجموعة من المعايير المتعلقة بثلاثة محاور أساسية، هي: المحاور الفنية والمحاور التدريسية والمحاور المتعلقة بحماية الطفل. وسوف تقدم نتائج هذه الدراسات ملاحظات وتعقيبات مفيدة في إطار جهود الاستجابة لأزمة "كوفيد-19" على كافة المستويات بهدف تيسير اتخاذ القرارات والممارسات القائمة على الأدلة.

التعليم والتدريب الفني والمهني

اتّسمت التصورات التي تتعلق بمدى قدرة طلاب مجلس التدريب المهني على مواصلة دراستهم أثناء الإغلاق بأنها تصورات سلبية بصفة عامة، بالنظر إلى كون التعليم والتدريب الفني قائمًا على أساس عملي علاوةً على تنمية المهارات التي لا يمكن تحقيقها من خلال التعلُّم عن بُعد أو عبر الإنترنت. وعلى الرغم من أن طلاب التعليم والتدريب الفني والمهني يحتاجون قطعًا إلى الخبرات العملية في مراحل متنوعة من دراستهم، فقد رأى فريق الأونروا المعني بهذا المجال إمكانية الدراسة الذاتية للعناصر غير العملية من المقررات، وكذلك بهدف التدريب على هذه العناصر من خلال روابط الموقع الإلكتروني. وقد جرى إنشاء منصّة للتعليم والتدريب الفني والمهني ويوضع عليها مواد التدريب بالتزامن مع دراسة حول وصول الطلاب إلى أجهزة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

إن أولويتنا الآن هي المُضي قُدمًا، وينبغي لنا الاستفادة من الدروس المستقاة من تقديم التعليم في ظل التباعد والعزلة التي فرضتها الجائحة، علاوةً على ضرورة مناقشة مسألتي اللحاق بركب التعلم وإعادة فتح المدارس مع الشركاء المعنيين في جميع أنحاء المنطقة. وأودّ الإشارة إلى أن منظمة الأونروا تمتلك حاليًا خبرة لا بأس بها في تقديم التعليم أثناء الجائحة، على غرار غيرها من المؤسسات التعليمية المنتشرة في ربوع العالم، وستواصل تأدية مهامها والتعلم من ممارساتها ومن ممارسات البلدان المُضيفة لها ومن وكالات الأمم المتحدة الشقيقة والشركاء الآخرين. وأيًّا ما يكن النموذج الأنسب لإعادة فتح المدارس، فإن الدروس المستلهمة عبر تجربة تقديم التعليم في ظل الإغلاق بفعل الجائحة ستساعد الأونروا في ضمان تقديم التعلُّم الملائم لاحتياجات الطلاب مع الحرص على سلامتهم وبذل الدعم اللازم لهم على المستوى النفسي والاجتماعي.

*****

نُبذة عن المؤلفة: تشغل كارولين بونتيفراكت منصب مديرة إدارة التعليم لدى وكالة الأونروا.

دعم حصول اللاجئين على تعليمٍ جيد أثناء أزمة "كوفيد-19" وما بعدها

بقلم: ريبيكا تلفورد

أسفر إغلاق المدارس عن تأثّر نحو 90% من الأطفال في سن الدراسة على مستوى العالم، منهم نحو سبعة ملايين لاجئ، إذ كان الأطفال اللاجئون يواجهون عقبات كبيرة في التعليم حتى قبل انتشار الجائحة؛ فقد ترك حوالي 50% منهم المدرسة، وكان هناك انخفاض كبير في الالتحاق بالمدارس مع تقدم الطلاب في السن والانتقال إلى المرحلة الثانوية وما بعدها.

وقد سعت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين خلال هذه الأزمة إلى زيادة التركيز على التعليم، والحيلولة دون فقدان المكاسب التي حققتها في الوصول إلى التعليم النوعي والحفاظ على الأثر الوقائي للتعليم بالنسبة للفئات الأكثر ضعفًا. كما تضافرت جهود المفوضية في جميع أنحاء العالم مع الشركاء والحكومات والجهات المعنية الأخرى لضمان تقليل تعطُّل التعلُّم إلى أدنى حد له، والتصدي لجائحة كورونا التي أدّت إلى تفاقم حالة عدم المساواة على المدى الطويل.

العمل على توفير الفرص المواتية لإدماج اللاجئين: على الرغم من أن جائحة كورونا تُمثّل أزمة عالمية، فإن الاستجابات في مجال التعليم تُدار وفق التدابير المتخذة في كل بلدٍ على حدة. فقد عملت المفوضية مع الحكومات الوطنية للاستجابة لاحتياجات اللاجئين في التخطيط للاستجابات المُضطلع بها في مجابهة جائحة كورونا من خلال الميثاق العالمي المعني بشؤون اللاجئين، الذي يحدد نهجًا لدعم الحكومات التي تستضيف اللاجئين من أجل دمجهم في النُظُم الوطنية.

تلبية احتياجات أُسر اللاجئين والمجتمعات على نطاق أوسع. تتمحور مهمة المفوضية في المقام الأول حول الحماية، وتُركز الأنشطة الفورية على حشد الجهود المجتمعية ونشر المعلومات المحلية الدقيقة. علاوةً على ذلك، حشدت المفوضية مجموعة واسعة من الجهود للتخفيف من وطأة الآثار الاجتماعية والاقتصادية السلبية للأزمة على الأُسر والمجتمعات، بما في ذلك الجهود المبذولة لضمان استمرارية تقديم خدمات الدعم مثل الغذاء الذي كان يُقدم للأطفال في المدارس.

الإلمام بالكيفية التي تُفضي بها الجائحة إلى زيادة عدم المساواة. دعمت المفوضية فرص التعلُّم الرقمي عن بُعد خلال الأزمة، وذلك على غرار ما قامت به الحكومات الوطنية والعديد من الجهات الفاعلة الأخرى، وشملت الجهود تقديم خدمات تكاملية وشاملة لحصر الاستجابات التي تضطلع بها الحكومة، مثل إصدار المحتوى باللغة المحلية أو نشر محتوى إضافي يستوعبه اللاجئون بصورة أفضل. ومع ذلك، فإن العديد من حلول التعلُم عبر الإنترنت والتعلم عن بُعد لم تكن في متناول مجتمعات اللاجئين، لا سيّما قاطني المناطق البعيدة والذين قد لا يمتلكون الأجهزة أو الطاقة أو الاتصال اللازم للوصول إليها بما يعرضهم لمخاطر عدم اللحاق بركب أقرانهم.

المبادرة إلى طرح الحلول اليسيرة والفعّالة. إن استخدام الراديو لبث الدروس التي يقدمها المعلمون وكذلك الأنشطة وسرد القصص للأُسرة بأكملها بهدف مشاركتها مع الآخرين، ونشر الرسائل الصحية حول كيفية الوقاية من فيروس "كوفيد-19"، تُعد جميعها وسائل منخفضة التكلفة لمواصلة دعم عائلات اللاجئين وتزويدهم بمعلومات ومواد تتّسم بالدقة. ومع ذلك، يحتاج العديد من اللاجئين (وبعض المخيمات) إلى تقديم دعم إضافي من أجل الوصول إلى أجهزة الراديو، وتعزيز استقبال إشارات موجة "إف إم" على الراديو وإعداد محتوى يناسبهم باللغة التي يتحدثون بها.

حماية القوى العاملة في مجال التعليم. إن الاستمرار في دفع رواتب المعلمين التي لا تغطيها النُظم الحكومية يُعدّ استثمارًا مهمًا في الوقت الحالي للمحافظة على استمرار تعليم الأطفال قدر الإمكان، ولضمان العودة سريعًا إلى رحاب المدارس مرة أخرى؛ فالهدف من الاستثمار في تدريب المعلمين ودعمهم هو إعدادهم من أجل النهوض بمسؤولياتهم الجديدة وتعزيز قدرتهم على التعامل مع المقاربات المبتكرة.

الاستمرار في التركيز على العودة إلى المدارس. لا يمكن للتعلُم عن بُعد أن يستمر بنفس وتيرة وجودة التعلُم داخل المدارس ، لا سيّما بالنسبة للفئات السكانية المهمشة، حتى مع ضخّ الاستثمارات الكبيرة في هذا النوع من التعلُم. وعلى الرغم من أن إعادة فتح المدارس مرهون بسياسات كل دولة وقدرة شعبها على اتباع البروتوكولات الصحية، فإن الاستعداد للعودة إلى المدارس مع الوعد ببذل مزيدٍ من الدعم للأطفال المحرومين يُعدّ أمرًا بالغ الأهمية. وهناك مجموعة من الخيارات التي يمكن تطبيقها، بدءًا من صفوف أو منتديات تحسين المستوى، إلى استخدام تكنولوجيا الصفوف الدراسية لتزويد الأطفال بمهارات محددة.

حماية الفتيات والعمل على إنصافهن. كشفت تجربة إغلاق المدارس في إطار التصدي لتفشي الأمراض الأخرى أن الأطفال المحرومين هم الأكثر احتمالاً لعدم العودة إلى المدارس، وأن الفتيات المراهقات هُنَّ الأكثر تضررًا في الغالب الأعم. ويشير التقرير الصادر عن صندوق مالالا بعنوان "الفتيات والتعليم وجائحة "كوفيد-19" أنه إذا ظل التسرب من المدارس بنفس المعدّلات المسجلة بعد تفشي مرض الإيبولا، فمن الممكن أن يكون هناك قرابة 10 ملايين فتاة أخرى في سن الدراسة الثانوية خارج المدرسة بعد انتهاء الأزمة الراهنة. وبالنسبة للفتيات اللاجئات اللواتي بلغت احتمالية تركهنَّ للدراسة نصف احتمالية أقرانهنّ من الذكور، فقد يستغرق الأمر أجيالاً لكي يلحقنَ بركب التعلم من جديد.

ولعلّ جائحة كورونا تكشف لنا عن فرصة سانحة لإعادة تصوّر أنظمة التعليم من خلال اتباع هذه الأساليب. وبالنسبة للمفوضية، فإن هذا يعني وضعًا يمكن للأطفال اللاجئين الإسهام فيه في المستقبل لمصلحة الجميع. لقد شهدت الجائحة إعلاء قيمة التعليم والكرامة – بدءًا بتغييرات السياسات في البلدان الأوروبية التي سارعت إلى الاعتراف بالمؤهلات الطبية للاجئين، وصولاً إلى الممرضات اللاتي قدمنَ إلى كينيا كلاجئات وجرى توفير الدعم لهنّ لإكمال تعليمهنَّ العالي. وكما أشار المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فيليبو غراندي، فإن "اللاجئين مستعدون للتدخل والإسهام بما يلزم، إذا سُمح لهم بذلك. وبهذه الطريقة، يمكنهم إظهار تضامنهم وردّ الجميل للمجتمعات التي تؤويهم". ولن تتأتى هذه المساهمة المستقبلية إلا إذا كان بمقدورنا اغتنام اللحظة الراهنة والحيلولة دون تفاقم حالات عدم المساواة القائمة.

*****

نُبذة عن المؤلفة: تشغل ريبيكا تلفورد منصب رئيسة قسم التعليم بمفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين.

كيف تعاطت النُّظُم التعليمية مع جائحة "كوفيد-19"؟

بقلم: روبرت جينكنز

أدَّت جائحة كورونا الراهنة إلى اندلاع أزمة طارئة غير مسبوقة في قطاع التعليم على مستوى العالم. وعلى الرغم من الأزمات الصحية السابقة مثل جائحة إنفلونزا الخنازير المعروفة باسم (إتش1 إن1) التي حدثت في عام 2009 وتفشي وباء الإيبولا من عام 2014 حتى 2016، وتسببهما في إغلاق المدارس لفترات قصيرة وطويلة المدى في دول عدّة، فقد باغتت أزمة "كوفيد-19" معظم النُّظُم التعليمية في العالم على غير استعداد منها، غير أن دولاً كثيرة في جميع أنحاء العالم سعت جاهدة حينئذٍ إلى تطوير وتوفير بدائل التعلُّم عن بُعد حفاظًا على استمرارية تعلُّم الأطفال كافة.

ولمّ يتضح بعد مدى إسهام إغلاق المدارس في الحد من انتشار جائحة كورونا، ذلك أن المرض نفسه لم يُستوعب تمام الاستيعاب بعد، لكن تبيّن أن إغلاق المدارس قد أفضى إلى تعطيل تعليم الأطفال والخدمات الحيوية التي تقدمها المدارس في كثير من الأحيان، بما في ذلك الدعم الغذائي والخدمات الصحية كتوفير اللقاحات والمياه وتعزيز الصحة العامة.

وفيما يتصل بالنتائج التعليمية، أدى تعطُّل الدراسة إلى وقوع خسائر كبيرة في التعلُّم، وزيادة حالات الرسوب في الصفوف الدراسية وارتفاع معدّلات التسرب من المدارس، إذ تبين أن إغلاق المدارس في الولايات المتحدة حتى لفترات قصيرة وغير متوقعة في فصل الشتاء يؤثر سلبًا على التحصيل الدراسي لأطفال المدارس الابتدائية، وأظهرت البحوث أن تعلُّم الطلاب أثناء فترات التعطُّل الطويلة مثل تلك التي أعقبت إعصار كاترينا استغرق أكثر من عامين لكي يعود إلى مستويات ما قبل التعطُّل.

كما أن إغلاق المدارس يُعرّض الطلاب لمخاطر في مجالات التغذية والصحة النفسية والجسدية والوقاية، إذ تُشير الدراسات إلى أن تعرُّض الفتيات للعنف الجنسي قد تزايد كثيرًا عقب إغلاق المدارس في غرب إفريقيا أثناء أزمة إيبولا، وأن دولاً مثل سيراليون شهدت ارتفاعًا كبيرًا في حالات حمل المراهقات وصاحب ذلك انخفاض معدلات التحاق الفتيات بالمدارس فور معاودة فتحها مرة أخرى.

وانصبَّ الدعم الفنِّي الذي قدمته منظمة اليونيسف للحكومات في سياق الاستجابة في مجال التعليم على التشغيل الآمن للمدارس، وعلى صحة الطفل ورفاهه، واستمرارية التعلُّم، وإعادة فتح المدارس بصورة آمنة، وافتتاح مدارس أكثر فاعلية. ومن بين الأدوات والإرشادات التي جرى إعدادها مصفوفة قرارات لدعم اختيار حلول التعلُّم عن بُعد وتنفيذها بناءً على إمكانية الاتصال بشبكة الإنترنت وتوافر البرامج غير المتصلة بالإنترنت مثل الراديو والتلفزيون. وقد عُولجت التحديات الرئيسة على نحو يضمن توفير حلول التعلُّم عن بُعد لجميع الأطفال أثناء إغلاق المدارس. وشمِل ذلك تقليل حالات عدم التكافؤ في الوصول إلى الإنترنت من خلال اعتماد خيارات مدمجة رقمية وغير رقمية، وتطوير منهجيات محددة لتقييم التعلُّم في المواطن التي ينقصها ذلك، فضلاً عن دعم البرامج الإذاعية الحالية ذات المحتوى المحدود وضمان إتاحة الحلول للأطفال ذوي الإعاقة.

تتبّعت منظمة اليونيسف منذ أواخر شهر مارس استجابات دول العالم تجاه التعليم في ظل جائحة كورونا من خلال استطلاع آراء المكاتب القطرية عبر الإنترنت وتحديث هذا الاستطلاع دوريًا، وركزّ هذا الاستطلاع على الممارسات التي استخدمتها الدول لمعالجة أزمة استمرارية التعليم وصحة الطفل ورفاهه وإعادة فتح المدارس بصورة آمنة. وخلال منتصف شهر مايو، انصبَّ التركيز على الجهود المبذولة لمعالجة استمرارية التعليم، إذ أفادت نحو 93 في المائة من الدول عن مشاركتهم في هذا المجال، من أصل 134 دولةً من الدول المشاركة في برنامج اليونيسف التي شملها الاستطلاع. وذكرت معظم الدول أنها تمزج بين الأساليب الرقمية وغير الرقمية لتمكين الأطفال من الحصول على التعلُّم عن بُعد. ومن تلك الأساليب الواردة في مصفوفة القرارات المذكورة أعلاه، اعتمدت الدول في المتوسط على 3.7 طرق مختلفة للتعلُّم عن بُعد لتوسيع نطاق الوصول إلى جميع الأطفال، مع التوسع في البرامج التعليمية التي تُبث عبر التلفزيون والمنصَّات الموجودة عبر الإنترنت المدعومة من الحكومة. ومع ذلك، لا يزال الأطفال المعرضون للخطر أو المهمّشون مُهملين في بعض الأماكن، وتُشارك منظمة اليونيسف مشاركة جدية في معالجة هذا الأمر. فعلى سبيل المثال، تعمل منظمة اليونيسف في رواندا مع منظمة غير حكومية، وهي مؤسسة "إمبوتو" (Imbuto)، للوصول إلى الفتيات عبر الهاتف في المناطق المستهدفة لضمان دمجهنّ في التعلُّم عن بُعد وتزويدهن بالدعم والدروس التعليمية.

وعلاوةً على إتاحة الوصول إلى التعليم المستمر، فقد شكّل الحرص على صحة الأطفال ورفاههم جزءًا أساسيًا من استجابة منظمة اليونيسف في مجال التعليم؛ وأعلنت نحو ستين في المائة من الدول أنها تسعى لتقديم الدعم النفسي والاجتماعي للأطفال، فيما أعلنت 42 في المائة من الدول أنها اتخذت خطوات لدعم التغذية وتعويض برامج التغذية المدرسية بعد توقفها. كما وسعت الدول أيضًا نطاق الاستجابة في مجال التعليم بهدف التحضير لإعادة فتح المدارس وضمان سلامة المدارس مع تطور الأزمة. وشكّل الإبلاغ عن المخاطر والمشاركة المجتمعية لإطلاع الطلاب وأولياء الأمور والموظفين على مستجدات الفيروس والتدابير الوقائية شكّل استراتيجية رئيسة تعتزم ثلثا الدول تطبيقها، وذكرت الكثير من الدول أنها وفرت أدوات التطهير والنظافة العامة أو غيرها من الوسائل المتعلقة بالنظافة. واعتبارًا من منتصف شهر مايو، كان لدى 43 في المائة فقط من الدول خططًا تُعنى بمراقبة صحة الطلاب والموظفين، وأعلنت دول قليلة عن عزمها طرح مبادرات لتوعية الأطفال الذين لا يعودون إلى المدارس، بعد أن أظهرت التجربة السابقة مع أزمة الإيبولا الصحية أن الأطفال الأكثر ضعفًا هم الأكثر عُرضة لعدم العودة إلى المدارس، ومن ثمَّ يتعين على الدول التركيز على مثل هذه التدابير عند إعادة فتح المدارس.

*****

نُبذة عن المؤلف: يشغل روبرت جينكنز منصب رئيس قسم التعليم والمدير المساعد في قسم البرامج لدى منظمة اليونيسف.

أنقذوا مستقبلنا

التعامل مع حالة الطوارئ الراهنة في مجال التعليم

بقلم: سعادة غوردون براون

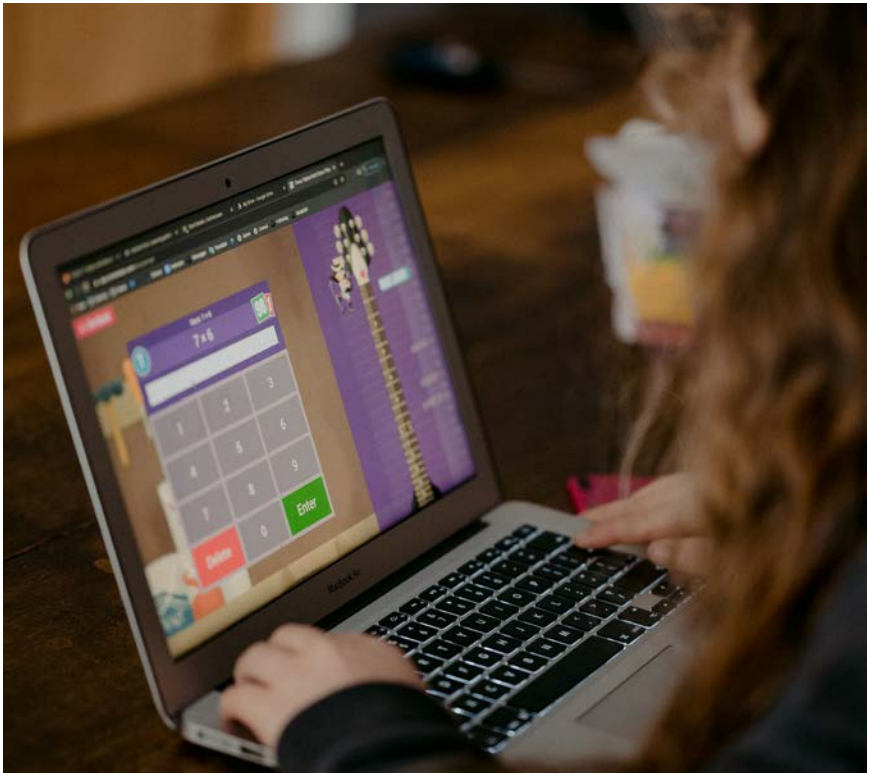

يُقال إنه يمكن للمرء البقاء على قيد الحياة لمدة 40 يومًا دون طعام، وثمانية أيام دون ماء، وثماني دقائق دون هواء – لكن ليس بمقدوره البقاء على قيد الحياة لحظةً واحدة من دون أمل: فالأمل يموت إن لم يُمكن إيصال قافلة محمّلة بالمواد الغذائية إلى مدينة محاصرٌ أهلها، ويموت إن لم تتوفر أجهزة تنفس صناعي لمريض يعاني من إصابة شرسة بفيروس "كوفيد-19"، بل ويموت الأمل متى استشعر الشباب بعدم إتاحة الفرصة لهم من أجل التخطيط والاستعداد للمستقبل.

ورغم أننا نعاصر أسوأ أزمة صحية في حياتنا، فعلينا الإقرار بأن الأزمة الحالية التي يتعرض لها مجال التعليم تُهدّد آمال وفرص الحياة لملايين وملايين الشباب في ربوع العالم.

ومن الحقائق المؤلمة أن هناك قرابة 1.6 مليار طفل، أي ما نسبته 90% من جميع الطلاب في أنحاء العالم- قد تعطّل تعليمهم، ناهيك عن تهجير نحو 50 مليون طفل قسرًا، بعضهم نتيجة لتفشي الجائحة. ومعظم هؤلاء الأطفال غير ملتحقين بأي مدارس وأملهم شبه منعدم في دخول قاعات الدراسة عند فتح المدارس أبوابها مرة أخرى.

إن تعليق التعليم ليس انتكاسة مؤقتة، بل سيعود التعليم والتعلُّم إلى طبيعته فور انحسار الجائحة؛ غير أن هذا الأمر يشكّل خسارة دائمة للإمكانيات بالنسبة للكثيرين. فالطفل الذي يترك المدرسة لأكثر من عام قد لا يعود إليها مرة أخرى مطلقًا، كما أن الفتيات أكثر عرضة بمقدار 2.5 مرة للتسرب من الدراسة مقارنةً بالشباب؛ ويُرجح ألا تعود حوالي 20 مليون فتاة مراهقة إلى الدراسة أبدًا، وقد تؤدي هذه الخسائر التعليمية إلى خسارة 10 تريليونات دولار من الإيرادات المتوقعة من هذا الجيل من الطلاب.

يتباين الأطفال فيما بينهم في الشعور بوطأة الآثار السلبية التي تلحق بهم، كما يواجه السكان الأكثر ضعفًا ضررًا مضاعفًا – إذ يتعرضون للإقصاء من المدارس وتمنعهم الفجوة الرقمية من الاستفادة من الجهود المبذولة في مجال التعلُّم عبر الإنترنت. فالفترات الطويلة التي لا يتوافر فيها التعليم للأطفال الصغار تُعرضهم لمخاطر عمالة الأطفال والزواج المبكر والعنف والتمييز والتجنيد من قِبل الجماعات المتطرفة. كما أن الضرر المضاعف يُنذر بتوسيع وترسيخ حالات التفاوت فيما بينهم، إلى جانب حدوث أضرار يتردد صداها على مدى أجيال.

وتُشير تقديرات البنك الدولي إلى احتمالية خفض الميزانيات الحكومية المخصصة للتعليم على مستوى العالم بأكثر من 100 مليار دولار عن المبالغ التي كان يتوقع تخصيصها لعام 2021. وتُنفق الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى 188 دولارًا فقط سنويًا على تعليم الطفل الواحد - أي حوالي 3 دولارات فقط في الأسبوع. وبالتالي، فإن خفض هذه الميزانية الضئيلة بالفعل يُنذر بكارثة تهدد أطفالنا ومستقبلنا.

وكانت الأزمة الراهنة بالغة الجسامة، مما حدا بما يربو على 180 منظمة محلية ووطنية وعالمية إلى توحيد جهودها في حملة بعنوان "أنقذوا مستقبلنا" لإيصال أصوات الأطفال والشباب، دعوا فيها قادة العالم إلى حماية التعليم وإعادة وضع تصوّر له في عالم ما بعد الجائحة. ووفقًا لبيان الأمين العام للأمم المتحدة بشأن التعليم وجائحة كورونا، يعمل شركاء الحملة على إعداد تقرير رسمي مشترك من المُزمع صدوره في منتدى التعليم العالمي في سبتمبر ينطوي على مقترحات ملموسة لدعم الدول في جهودها لإعادة بناء نُظُم تعليمية أكثر إنصافًا ومرونةً واستدامة.
ونظرًا لأن نفقات الصحة والاقتصاد والحماية الاجتماعية على مستوى العالم تُزاحم تمويل التعليم، فعلينا أن نتذكر أهمية التعليم في انتشال الأفراد من براثن الفقر، وضمان تعزيز صحة الأُسر، والدفاع عن المساواة العرقية والجنسانية وزيادة الأمن، وبناء عالم أكثر عدلاً وسِلمًا واستدامة.

إن الاستثمار في التعليم يوفر فرص عمل ويفضي إلى زيادة مستويات النمو الاقتصادي، وكذلك يؤدي التعليم إلى تحسين النتائج الصحية ؛ فالأم المتعلمة أفضل من غيرها كثيرًا من جهة الاستعداد لرعاية أبنائها، ومن ثمَّ يُسهم ذلك في تقليل وفيات الأطفال الرُضّع والأمهات. ولذلك، يجب حثّ الدول على عدم الإقدام على خفض ميزانياتها التعليمية.

وعلى المجتمع الدولي وجميع الدول دعم أربع مبادرات تسهم جميعها في قياس نطاق الأزمة التعليمية وطابعها الحرج والإلمام بهما، وتسهم في إعادة بناء مستقبل أكثر إنصافًا وقدرةً على الصمود.

تتجلى المبادرة الأولى في ضرورة قيام الحكومات الوطنية بحماية ميزانياتها التعليمية وإعادة التأكيد على أنها لن تعمد إلى تخفيضها للوفاء بأولويات أخرى.

وتتمثل المبادرة الثانية في ضمان حصول الدول الأكثر فقرًا على الأموال اللازمة لاستثمارها في مجال التعليم من خلال إعفائها من الديون: فهذه هي أسرع طريقة يمكننا من خلالها الحصول على المزيد من الأموال في مجاليّ التعليم والصحة، إذ يجب إنفاق 86 مليار دولار على مدفوعات خدمة الديون على مدى الأشهر الثمانية عشر المقبلة في 76 دولة من أفقر دول العالم. فإذا علِّقت مدفوعات فوائد الديون المذكورة حتى نهاية عام 2021، فإنه يمكن إعادة تخصيص 86 مليار دولار من الدائنين من القطاع الخاص، والدائنين من القطاع العام، والأطراف المتعددة لتمويل الاحتياجات التعليمية والصحية المهمة.

أمّا المبادرة الثالثة فتأتي في دعوة صندوق النقد الدولي لإصدار 1.2 تريليون دولار ضمن حقوق السحب الخاصة- من أصوله الاحتياطية العالمية- وإتاحتها للدول التي هي في أمس الحاجة إلى هذه الأموال للإنفاق على التعليم.

وتتمثَّل المبادرة الرابعة في حثّ البنك الدولي على زيادة دعمه للدول منخفضة الدخل من خلال ميزانية تكميلية للمؤسسة الدولية للتنمية. وبالنسبة للدول ذات الدخل المتوسط المنخفض- وهي الدول التي تضم أكبر عدد من الأطفال واللاجئين المتسربين من الدراسة- يجب على الجهات المانحة اتباع نهج المملكة المتحدة وهولندا ودعم مرفق التمويل الدولي للتعليم، وهذا سيوفر ما يصل إلى 10 مليارات دولار من الموارد الإضافية لضخّها في مجال التعليم. هذا بالإضافة إلى تجديد الموارد واستكمالها على مدى العامين المقبلين لمؤسستيّ الشراكة العالمية من أجل التعليم ومبادرة "لا يمكن للتعليم أن ينتظر"، والدعم المستمر لوكالات الأمم المتحدة المعنية بالتعليم والأطفال بقيادة منظمتيّ اليونسكو واليونيسيف.

وستتكشّف فصول مأساة إنسانية إن وقفنا مكتوفي الأيدي تاركين التعليم يعاني من نقص كامل في التمويل دون توفير الموارد اللازمة لازدهار الأطفال في المستقبل. لذا، يجب أن نعمل معًا لنحول دون تضييق الخناق على مجال التعليم وخنق آمال شبابنا.

علينا جميعًا أن نجهر بتذكير صانعي القرار بأن التعليم هو أفضل استثمار يضمن حدوث ازدهار قوي ونمو طويل الأجل. وقد أظهرت أزمة جائحة كورونا بجلاء ارتباط مصائرنا واتحاد همومنا، ونأمل في أن تدفع هذه الأزمة الجهود العالمية الرامية لإعادة تصور وتنشيط نُظُم التعلُّم إعمالاً لحقوق الإنسان في إتاحة التعليم للجميع في شتّى أنحاء العالم. وهذا هو الأمل الذي نحلم بتحقيقه من أجل صحة أطفالنا وكوكبنا و**#إنقاذ مستقبلنا**.

*****

نُبذة عن المؤلف: يشغل سعادة السيد غوردون براون حاليًا منصب المبعوث الخاص للأمم المتحدة للتعليم العالمي ورئيس لجنة التعليم، وهو رئيس الوزراء الأسبق للمملكة المتحدة.

موجز تجميعي
الخطوات التالية لمستقبل التدريس

بقلم: جوليا كيربي وباسم حجازي

أفضى فرض إجراءات الإغلاق العالمية غير المسبوقة لمدّة ستة أشهر إلى تعطُّل الدراسة فعليًا لنحو 90% من النُّظُم التعليمية في العالم. وبينما يترقب الطلاب والمعلمون ومديرو المدارس وأولياء أمور بحذر استهلال العام الدراسي الجديد – بعضهم من خلال برامج المدرسة الافتراضية، وبعضهم من خلال نماذج التعلُّم "المختلطة"، والبعض الآخر من خلال استئناف التدريس وجهًا لوجه- يتساءل الجميع عن ذلك الأثر السلبي أو الإيجابي الذي خلّفته جائحة كورونا على الطلاب والمدارس ونُظُم التعليم.

والواضح للعيان أن الطلاب قد عانوا وسيستمرون في المعاناة أكثر من غيرهم، لا سيّما من أبناء الفئات السكانية الضعيفة. والواقع المرير الذي تناوله رئيس الوزراء البريطاني السابق غوردون براون في مقدمته لهذا الفصل، يشهد بأن إغلاق المدارس في جميع أنحاء العالم لا

يمثل مجرد "انتكاسة مؤقتة"، بل يمثل "خسارة دائمة للإمكانات"، خاصةً للطرف الضعيف في الفجوة الرقمية العالمية. إن اجتماع الكوارث المتتابعة في أماكن كثيرة، من الأزمات الصحية العامة والضائقة الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية، سيجعل من الصعب على العديد من الأطفال العودة إلى المدارس حتى أُعيد افتتاحها. وفي مقابلة أُجريت مؤخرًا مع واشنطن بوست، أوضح أليس أولبرايت، الرئيس التنفيذي للشراكة العالمية من أجل التعليم قائلاً: "بما أن الكثير من الأطفال الخارجين من المدارس هم من الفئات الأكثر تهميشًا، فبمجرد أن يخرجوا من المدارس، فمن المرجّح ألّا يعودوا إليها، إذ ليس من السهل العودة إلى الوراء".

ومن المؤكد أن تبعات خسارة إمكانيات الطلاب لن تقتصر على أفقر طلاب العالم، إذ إن سنوات الدراسة الضائعة لجيل من الطلاب ربما تكلّف الاقتصاد العالمي ما يقدر بنحو "10 تريليونات دولار في صورة أرباح مفقودة"، وفقًا لما ذكره الموقعون على حملة "أنقذوا مستقبلنا" العالمية. حتى في الدول الثريّة والصناعية، فإن التأثير الضار على المدى الطويل للطلاب يُعدّ تأثيرًا حقيقيًّا، حتى لو كان أقل خطورة. وفي الولايات المتحدة التي يشيع فيها الوصول الرقمي، تُشير الأبحاث الناشئة إلى فشل تجربة التعلُّم عن بُعد في أمريكا فشلاً ذريعًا، إذ تخلّف معظم الطلاب دراسيًا أثناء الجائحة، وفقد بعضهم ما يصل إلى عام من مكاسب التحصيل الدراسي. وأشارت دارلين أوبفر في مقالتها أدناه، أن نسبة 12% فحسب من المعلمين ذكروا في دراسة استقصائية تمثيلية محلية أنهم شرحوا جميع محتوى المناهج الدراسية تقريبًا خلال العام الدراسي.

وثمّة مجموعة أخرى يزداد تضررها من تعطُّل التعليم جرّاء جائحة كورونا، ألا وهي فئة أولياء الأمور، إذ تحمّلت الأمهات العاملات على وجه الخصوص عناءً كبيرًا من عبء رعاية الأطفال والتعليم المنزلي خلال جائحة كورونا. وتُظهر دراسة حديثة لجامعة كينت وجامعة برمنغهام أن عبء العمل المتزايد على أولياء الأمور أثناء الجائحة، بما في ذلك التعارض بين التزامات العمل والأسرة، قد أثّر سلبًا على الرفاه النفسي، وبصفة خاصة بين الأمهات، وأن هناك حاجة ماسّة إلى توفير المزيد من الموارد من أجل دعم الأمهات في المنزل وفي سوق العمل أثناء الأزمة وبعدها.

من هنا، أحسّ الجميع بالتأثير العميق والكبير لإغلاق المدارس لا على الطلاب وحدهم، ولكن على المنظومة التعليمية بأكملها. كيف إذن ستُغير تجربة الجائحة من الكيفية التي يجري بها تناول التعليم وتوفيره؟ هل يمكن أن نتوقع أن نرى علامات تغيير حقيقي مع دخول العام الدراسي 2020-2021؟ هل ستستثمر المجتمعات والحكومات الوقت والموارد اللازمة لإدراج التعليم ضمن جهود الازدهار الاجتماعي والاقتصادي الأساسية في الوقت الذي نتعافى فيه من جائحة كورونا؟ وما النُّظُم المطلوب وضعها لتوقع ووقف التعطُّل الناجم عن الأزمات المستقبلية، بعد أن اتضح ارتباط حالة الاقتصاد والصحة العامة وحتى النظام الاجتماعي بعمل النظام المدرسي.

استنادًا إلى العروض التقديمية المطروحة في الجزء الثاني من فعاليات المؤتمر الافتراضي بعنوان "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره" والذي نظمه مؤتمر وايز بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ غلوبال سيمنار" في يونيو 2020، فإن المقالات الواردة في هذا الجزء تُعنى بتوثيق أبحاث وتجارب الأطراف المعنيَّة الرئيسة في مجال التعليم من العاملين بالمؤسسات الحكومية والمنظمات غير الحكومية والبحثية خلال الجائحة. وعلى الرغم من تنوع الدول المذكورة مثل سيراليون، وفنلندا، والولايات المتحدة، وبنغلاديش، وكينيا، فإن البحوث والخبرات والرؤى تجتمع في أربعة قواسم رئيسة مشتركة لا بد منها لتطبيق نهج "إعادة البناء

على نحو أفضل" في مجال التعليم، وهذه القواسم المشترك هي: 1) الحاجة إلى جعل التعليم في صميم أجندات الازدهار الاجتماعي والاقتصادي العالمية، 2) الاعتراف بأن المدارس توفر خدمة أساسية للمجتمع وأنه يجب معاملة المعلمين باعتبارهم أطرافًا أساسية ، 3) أهمية دراسة قصص نجاح التعليم ونحن على مقربةٍ من استقبال العام الدراسي الجديد، 4) التسليم بأنه على الرغم من الدور المحوري الذي تسهم به التكنولوجيا في التعليم، فلا يوجد بديل عن الوجود الفعلي المباشر والتواصل البشري داخل المدارس.

يجب أن يدعم التعليم تحقيق الازدهار الاجتماعي والاقتصادي

دعا كلاً من رئيس الوزراء البريطاني الأسبق غوردون براون، ومساعدة الأمين العام لمنظمة اليونسكو ستيفانيا غيانيني الحكومات إلى ضمان وضع التعليم في صميم خطط التعافي الاجتماعي والاقتصادي من جائحة كورونا. وذكرت الأخيرة قائلة: "إذا لم يحشد المجتمع الدولي جهوده خلف التعليم، فسيتعرض الطلاب والمجتمعات بصفة عامة إلى انتكاسات خطيرة". وقد كشفت هذه الأزمة بوضوح عن الارتباط الوثيق بين الصحة العامة والتعليم، كما هي الحال بالنسبة لاقتصادات الدول، إذ لا يمكن للمجتمع التقدم والازدهار دون تفعيل دور المدارس.

وقد أوضحت ستانيلا ميدي بيكلي، رئيسة لجنة خدمة التدريس بسيراليون، قائلةً إن الرابط المباشر بين التعليم ونتائج الصحة العامة في سيراليون واضح تمامًا بعد أن "مررنا بأزمتين صحيتين شكَّلتا تهديدًا للحياة واستلزما إغلاق المدارس". وأكدت على الأهمية البالغة للمدارس في تثقيف الأطفال بشأن الصحة والنظافة ومكافحة الأمراض، علاوةً على ما تقدمه من مناهج دراسية.

تنسيق الإرادة الاجتماعية والسياسية لتحديد أولويات التعليم

لعلّنا نتساءل عن الوقت الذي ستستغرقه الحكومات لجعل التعليم في صميم خطط الازدهار الاجتماعي والاقتصادي وتوفير التمويل والموارد اللازمة له مثل سائر الخدمات الأساسية الأخرى والتي منها الصحة العامة؟ وفقًا لما أورده مؤلفو هذا التقرير، سيتطلب الأمر الاعتراف الاجتماعي والإجماع السياسي على أهمية دور التعليم والمدارس والمعلمين واعتبارهم بمثابة اللقاح الذي سيساعدنا في التعافي من هذه الأزمة.

وقد ذكر أولي بيكا هينونين، وزير التعليم الفنلندي الأسبق والمدير العام للوكالة الوطنية الفنلندية التعليمية حاليًا، أن النقاش الراهن بشأن ماهية وتوقيت وكيفية إعادة فتح المدارس قد أبرز عدم وجود رؤية مشتركة لهدف التعليم ووظيفته في العديد من المجتمعات، ويرى أنه لا بد من حل هذه المشكلة. ثمَّ تساءل قائلاً: "إن النقاش العام الأخير قد كشف عن غياب الرؤية المشتركة حول العديد من المسائل الأساسية: مثل ما مهمة المدارس؟ وما الذي ينطوي عليه التعليم الإلزامي؟ ومن المسؤول عن تحقيق الرفاه للأطفال والشباب؟ وكيف يعمل نظام التعليم باعتباره منظومة وكيف تُحدد الأدوار عند اتخاذ القرارات؟" ومتى استطاعت الحكومات وأفراد المجتمع التوافق حول هذه المسائل الأساسية، فحينئذٍ يمكننا تنظيم تلك المسائل الاجتماعية والسياسية لضخ الاستثمارات اللازمة في التعليم على النحو المطلوب من أجل إعادة البناء بصورة أفضل بعد انجلاء الأزمة.

كما طرح عاصف صالح، المدير التنفيذي لمنظمة بناء الموارد عبر المجتمعات، ذات الرأي في مقالته، مُشيرًا إلى أن "التعليم في بنغلاديش قد توقّف في معظم أنحاء البلاد" جرَّاء جائحة كورونا، وبالتالي لم يقتصر الضرر على التخلف الدراسي لدى عشرات الملايين من الطلاب، بل إن الآلاف من الطلاب، إن لم يكن أكثر من ذلك، لا سيّما الفتيات، قد لا يعودون إلى المدرسة مرة أخرى. وطبقًا لما ذكره صالح، "تتاح لأقل من 57% من الأُسر التي ينتمي إليها الطلاب في المناطق التي تنشط بها منظمة بناء الموارد عبر المجتمعات، إمكانية الوصول إلى أجهزة التلفزيون، فيما تتاح لأقل من 40% منهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت"، مما يزيد من صعوبة التدريس عن بُعد، على الرغم من الجهود الحثيثة التي تضطلع بها المنظمات غير الحكومية المحلية والدولية مثل منظمة بناء الموارد عبر المجتمعات.

ذكرت سارة روتو وراجارشي سينغ قصة مماثلة في مقالتهما حول كينيا، حيث "يكافح الآباء من أجل دعم تعلم أطفالهم، في ظل حاجتهم إلى العمل من المنزل والتعامل مع وضع اقتصادي شديد الوطأة". كما يشيران إلى أنه "في المستقبل المُعاد تصوُّره"، ستعقد الحكومات شراكة مع القطاع الخاص بهدف توفير الدعم الشامل، بما في ذلك الوصول إلى الأجهزة الرقمية و"شبكات السلامة الاجتماعية الكافية"، لدعم التعليم والأسر خلال أوقات الأزمات.

تسليط الضوء على نجاحات التعليم وإخفاقاته

في خضّم الظلام الحالك الذي ألقى بظلاله بفعل جائحة كورونا، استمرت الجوانب المُشرقة في مجال التعليم في الظهور أو برزت بصورة أكبر. ولا شك أن تسليط الضوء على هذه النجاحات والتعلُّم منها يضاهي في أهميته تحديد مواطن الإخفاق ومعالجتها من أجل تعافي قطاع التعليم في مرحلة ما بعد جائحة كورونا.

أكدت دارلين أوبفر في مقالتها أنه على الرغم من توافق الآراء وقيام الأدلة على فشل التعلم عن بُعد في الولايات المتحدة خلال الأشهر الستة الماضية، فإن بعض المدارس، حتى تلك التي توفر خدماتها لأعداد كبيرة من الطلاب ذوي الدخل المنخفض، تمكنّت من توفير تعليم عالي الجودة". وطبقًا لما ذكرته أوبفر، فإن سر نجاح المدارس يكمن فيما تُطلق عليه اسم **"المحاور الأربعة"**: النُّظُم التعليمية المتماسكة والتعاون والتحسين المستمر والتواصل، إذ تذكر أن كل هذه المحاور تعتمد إلى حد كبير على ثقافة المدارس. فعلى سبيل المثال، المدارس التي "تميزت بمستويات عالية من التعاون في السابق" بين المعلمين قبل الجائحة قدمت التعلُّم عن بُعد بصورة أكثر فعالية، وينسحب الأمر نفسه على الاتصالات والنُّظُم التعليمية المتماسكة والتحسين المستمر. ومن الضروري المُضيّ قُدُمًا في ضمان ترسيخ هذه المحاور في المدارس وبرامج التدريب المهني للمعلمين والقادة، لضمان أن تكون المدارس والنُّظُم التي تنشأ أكثر جاهزيةً ومرونة في مواجهة الأزمات القادمة.

وفي السياق ذاته، ذكر بيكلي أن تقديم التعليم عن بُعد في سيراليون نجح خلال أزمة الإيبولا، وكذلك خلال جائحة كورونا، مما يعني القدرة على حشد المعلمين في فِرق متماسكة. فمع الإعلان عن إغلاق المدارس في 31 مارس، "جرى الإسراع بحشد فرق من المعلمين ممن لديهم معرفة وخبرة سابقة في الاستجابة في مجال التعليم أثناء وباء الإيبولا، وجرى أيضًا تقييم متطلبات البنية التحتية" من أجل تنفيذ الاستراتيجية على مستوى البلاد لتقديم التعليم عن بُعد.

ما بعد جائحة كورونا: نحو استعادة التواصل البشري المباشر

أتاحت هذه الأزمة فرصة مواتية لإعادة تقييم العديد من جوانب النظام التعليمي كُنّا قبل ذلك نسلّم بصحتها. فرغم ضرورة تحديد الخطوات الناجحة في إدخال تعليمنا ساحة الفضاء الرقمي، على القادة مواصلة المناضلة من أجل التعافي الآمن من جائحة كورونا في الوقت المناسب. وكذلك لا بد من ضمان تعافي الاقتصاد. وقد أشار تقرير صادر عن شركة ماكينزي إلى هبوط نوعية الرفاه حول العالم إلى أدنى مستوياتها في أبريل 2020 منذ عام 1980. فالبشر مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، وفقدان القدرة على التواصل إلا من وراء الشاشات قد يكون له تبِعات أشدّ على التعلُّم لم ندركها بعد. ويجب أن نسأل أنفسنا عن التوقيت المناسب للعودة إلى المدارس؟

ويرى غوردون براون أن تعليق التعليم لا يمثِّل انتكاسةً مؤقتة، وسيعود التعليم والتعلُّم إلى حالته الاعتيادية بمجرد انتهاء الجائحة، لكن هذا سيمثِّل للكثيرين خسارة دائمة للإمكانات. وقد ردّد أولي بيكا هذا القلق وأكّد أنه "يجب على المدارس التحوُّل من حل المشكلات الفردية والعناية بتعزيز المرونة وقدرة المجتمع الدراسي والمجتمع الذي يترعرع فيه الأطفال على الحد من المخاوف". أي أنه يجب علينا محاولة إصلاح المدارس في نموذج أكثر شمولاً وجدوى بحيث لا يلزم حصره داخل حدود المدرسة. ويصف عاصف صالح كيف اغتنمت بنغلاديش الفرصة لإعادة تهيئة وإصلاح القاعات الدراسية للمستقبل. "ونظرًا لأننا نتحول إلى الحالة الاعتيادية الجديدة، سنعمل على جلب التكنولوجيا تدريجيًّا، وتدريب معلمينا، وإجراء تغييرات في مُحيط القاعات الدراسية الاعتيادية".

وفي الختام، أكّدت ستيفانيا غيانيني أن "جوهر أي عملية تعليمية يقوم على العلاقة الإنسانية بين الطالب والمعلم" وأنه في عملية إعادة البناء "ستكون النُّظُم التعليمية الأكثر استعدادًا لمجابهة الأزمات هي القادرة على تقدير معلميها، ومنحهم المزيد من الاستقلالية، ومنحهم الظروف التي تمكنهم من تضافر جهودهم".

وفي حين أننا شهدنا تواؤم "روح الابتكار" مع الحدود الرقمية أثناء الجائحة، فإن الهدف النهائي يكمن في البحث عن السُبُل الملائمة لإدماجها في عمليات التعلُّم لدينا من الفضاء الرقمي والاستفادة من التكنولوجيا باعتبارها أداةً تكميلية للتفاعل البشري وليس العكس. وقد أدّت الجائحة إلى تسارع الحاجة إلى أن ننسى عاداتنا وتقاليدنا ونُعيد تعلُّمها. وأسفر ذلك عن نقاشات كثيرة حول تمهيد الطريق إلى بنية التعليم المُعاد تصوّره. وفي الأوقات التي يتخللها عدم الوضوح والشك المستمر، كشفت لنا النتائج، التي تمخّضت عن هذه النقاشات والرؤى المشتركة من مؤلفينا، أن نُظُمنا التعليمية تمثل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الهياكل المجتمعية والاقتصادية التي وصلنا إليها اليوم. وإذا كنا نريد إعادة بناء هياكلنا على نحو أكثر مرونة، فعلينا ألا نتأخر في إدراك أهمية التعليم.

*****

نُبذة عن المؤلفين: تشغل جوليا كيربي منصب مدير البحوث ونشر المحتوى في مؤتمر "وايز". ويشغل باسم حجازي منصب مسؤول الوسائط الرقمية والبودكاست في مؤتمر "وايز".

المحاور الأربعة للتدريس الناجع عن بُعد

بقلم: دارلين أوبفر

عندما أوصدت المدارس أبوابها بسبب جائحة كورونا، سارع المعلمون إلى توفير التعليم عن بُعد. وأفضى عدم التكافؤ في نوعية التعليم المقدّم خلال تلك الفترة إلى التخوف من تزايد الفارق في التحصيل الدراسي بين الطلاب ذوي الدخل المنخفض وذوي الدخل المرتفع؛ وقد كان لهذه المخاوف الأُسس التي استندت إليها. ففي أبريل 2020، استطلعنا آراء المشاركين في هيئة المعلمين الأمريكيين التابعة لمؤسسة راند، وهي هيئة مدرسية تضم المعلمين في أنحاء البلاد، حول ما يقدمه المعلمون في التعليم عن بُعد. وبوجه عام، ذكر نحو 12% منهم فقط أنهم تمكّنوا من تدريس جميع أو معظم محتويات المناهج الدراسية.

في الغالب يُكرّس المعلمون في المدارس ذات معدّلات الفقر المرتفع (التي بها نسبة 75% على الأقل من الطلاب منخفضي الدخل) غالبية وقتهم للمراجعة بدلاً من تدريس محتوى جديد، كما أنهم أقل اهتمامًا بتقديم ملاحظات أو درجات للأنشطة التي يؤديها طلابهم.

وقد أكّدت التغطية الإخبارية والتقارير الأخرى خلال هذه الفترة أن هذا التوجه لم يكن ضروريًا، إذ استطاعت بعض المدارس تقديم تعليم عالي الجودة، حتى بين تلك المدارس التي تخدم أعدادًا كبيرة من الطلاب ذوي الدخل المنخفض. واهتمت هذه المدارس بأربع خصائص متزامنة تدعم نجاحها، وهي على النحو التالي:

النُّظُم التعليمية المتماسكة

قبل تفشّي الجائحة، كان المعلمون في المدارس الناجحة يدرِّسون منهجًا دراسيًا مشتركًا صار متماسكًا بفضل أدلة المعلمين وأدلة مدة تدريس المنهج وخطط الدروس والتقييمات وبرامج تعلُّم الطلاب عبر الإنترنت، وأي مواد تكميلية تتماشى مع المنهج الأساسي والأهداف التعليمية المعززة. كما استخدم المعلمون في هذه المدارس استراتيجيات وممارسات تعليمية مشتركة؛ أي أن العناصر الأساسية المتعلقة بالتعليم والتعلُّم في هذه المدارس تتوافق مع بعضها بعضًا وتقدم نفس الرسائل للمعلمين بخصوص التصوُّر الذي يجب أن يبدو عليه التعليم.

التعاون

تشير بيانات هيئة المعلمين الأمريكيين إلى أن العديد من المعلمين بذلوا جهودًا مضنية من أجل توفير تعليم عالي الجودة عن بُعد. إن ثقافة التدريس التي تتطلب من المعلمين إغلاق أبواب القاعات الدراسية، أو في حالتنا هذه الاتصال بالإنترنت والعمل بمفردهم، تسبب نزاعات لا جدوى لها. وقد تميزت المدارس الناجحة خلال هذه الفترة بمستويات عالية من التعاون اعتمدت عليها في عملية التعلم عن بُعد. وغالبًا ما يتبادل المعلمون في المدارس الناجحة تخطيط الدروس والتعليم. وفي المرحلة الابتدائية، على سبيل المثال، يتولّى مدرس الصف تخطيط وتقديم دروس الرياضيات، وآخر يتولّى تعليم القراءة والكتابة، وآخر يتولّى تدريس العلوم، وما إلى ذلك. وقد أتاح التدريس التعاوني في هذه المدارس توفير يوم كامل تقريبًا من التعلُّم وتغطية معظم المحتوى الدراسي الذي سيدرسونه عادةً. وأثناء تقديم أحد المعلمين لدرسه، يعمل المعلمون الآخرون مع مجموعات صغيرة من الطلاب من المتأخرين دراسيًا أو الذين يجتهدون لإتقان ما درسوه. والجدير بالذكر أن المعلمين في هذه المدارس كانوا قادرين على المشاركة بسهولة لأن لديهم أيضًا نظام تعليمي متماسك قائم بالفعل.

التحسين المستمر

اتجهت المدارس التي لم تحرز نجاحًا كافيًا في التعليم عن بُعد إلى وضع خطة محددة والالتزام بها. كما عملت المدارس الناجحة على مواصلة تحسين ما تُقدمه. وكمثال على ذلك، وضعت الأكاديميات الناجحة في مدينة نيويورك خطة أولية غيَّروها وفقًا للمستجدات بعد بضعة أسابيع. واستخدم المعلمون تقييمات مرجعية بالإضافة إلى إجراء أنشطة لتقييم تعلُّم الطلاب وتقييم فهمهم. وقد أتاح لهم ذلك الوصول الآني إلى البيانات على مستوى القاعات الدراسية، مما ساعدهم في التعرف على الطلاب الذي يحتاجون إلى دعم إضافي أو للإبلاغ عن الاستراتيجيات التعليمية أو سير تدريس المنهج. وكانت البيانات قابلة للتنفيذ على مستوى القاعات الدراسية والمدرسة، وقد تكون البيانات القابلة للتنفيذ على مستوى القاعات الدراسية نادرة لأنها ناتجة عن نظام تعليمي متماسك.

التواصل

أثناء إغلاق المدارس جرَّاء تفشّي جائحة كورونا، كان أولياء الأمور في الغالب يذكرون أنهم لم يتلقوا اتصالات واضحة من المدارس حول التوقعات وكيف ينبغي عليهم دعم أطفالهم. وخلاصة شكواهم أنهم لم يحصلوا على الدعم الكافي حتى يصيروا معلمين مساعدين فعّالين. وكانت لدى المدارس التي نجحت في التحول إلى التعليم عن بُعد اتصالات داخلية وخارجية واضحة ومنتظمة، وقدمت هذه المدارس إرشادات واضحة لأولياء الأمور حول أدوارهم، والوقت الذي يجب أن يقضيه الأطفال في الأعمال المدرسية، وتوقعات الحضور، وغيرها من المسائل المهمة. وفي الغالب كانت الاتصالات الداخلية الفائقة مصحوبة بثقافة تعاونية ووجود توقعات مشتركة.

إن بناء نظام تعليمي متماسك، وتحسين التعاون، وتنفيذ التحسين المستمر، وتعزيز التواصل لا يمكن أن يتحقق بين عشية وضحاها، ولكن إعطاء الأولوية لتطوير هذه المحاور في المدارس يُعد أمرًا بالغ الأهمية بالنسبة للمدارس حتى تصير أكثر مرونة في المستقبل مع سعي مديري المدارس نحو تصميم "الوضع الاعتيادي الجديد".

*****

نُبذة عن المؤلف: تشغل دارلين أوبفر منصب نائب رئيس ومدير مؤسسة راند **"RAND"** للتعليم والعمل، كما تشغل درجة الكرسي المتميز في سياسة التعليم في مؤسسة راند..

إعادة تصوّر التعليم وبناء مستقبل التدريس عقب أزمة "كوفيد-19"

بقلم: ستانيلا ميدي بيكلي

لم تستغرق سيراليون وقتًا طويلاً لتتمكن من تقديم الدروس التعليمية عبر الراديو لأطفال المدارس عند تفشي الإيبولا، إذ بادرت وزارة التعليم والعلوم والتكنولوجيا آنذاك إلى تخصيص محطة إذاعية تعليمية حديثة البث بدعم من اليونيسف. وقد ثبت نجاح هذا الاستثمار بعد ذلك في أوقات الطوارئ التي استلزمت إغلاق المدارس. و اختير المنسّقون من المعلمين المتقاعدين المؤهلين وذوي الخبرة والمعلمين الحاليين، وبعضهم من القائمين على الامتحانات العامة. وقد أشاد 81% من جمهور المستمعين بالتغطية الواسعة للبرنامج من خلال المحطات المحلية الأخرى.

عادت الدراسة عقب نهاية أزمة الإيبولا، واستمر بثّ الدروس عبر الراديو، رغم أنها لم تكن منتظمة كما كانت من قبل بسبب تراجع التمويل، وواظبت المحطة الإذاعية على إعادة بث الدروس السابقة.

بدأت وزارة التعليم الأساسي والثانوي ولجنة خدمات التدريس في بداية جائحة كورونا على الفور الاستعدادات لتقديم برنامج تعليم إذاعي تحسُّبًا لإغلاق المدارس، وأُغلقت المدارس كما كان مقررًا في الفصل الدراسي الثاني بتاريخ 31 مارس. وبعد مرور بضعة أيام، أعلنت الحكومة إغلاق المدارس في جميع أنحاء البلاد بسبب تفشي جائحة كورونا. وقد حشدت الدولة قبل ذلك فرقًا من المعلمين المتخصصين على الفور، ممن لديهم المعرفة والخبرة السابقة في الاستجابة في مجال التعليم لمواجهة وباء الإيبولا، مع تقييم متطلبات البنية التحتية لأجل التوسع في التغطية المحتملة وحتى تكون المحطة الإذاعية التعليمية أكثر فاعلية.

واستفاد العديد من المعلمين الذين كانوا يعملون أثناء فترة تفشي فيروس إيبولا من الخبرات السابقة في قرارات تخطيط البرامج، وعقدت ورشة عمل استمرت لمدة يومين حول اختيار مواد المناهج الدراسية المخصصة للدروس الإذاعية بناءً على أداء الطلاب والمجالات التي يواجه الطلاب فيها صعوبة أكبر. وأُضيفت الموضوعات الأساسية تلقائيًا إلى الجدول الزمني. كما استُفيد من الملاحظات القديمة التي ظهرت أثناء استجابة البرنامج لوباء الإيبولا وتحديثها، مع التركيز على المنهجيات التفاعلية والمناسبة للأطفال. وصِيغت النصوص، وسُلّمت عينات من الدروس في ورشة العمل وطُرحت التعليقات الناقدة المقدمة من الزملاء. وشكَّل التدريس عن طريق الراديو جانبًا رئيسًا من جوانب هذا التوجه، إذ جرى وضع الترتيبات اللازمة والاتفاق على الجدول الزمني للتسجيل والاتفاق. وبدأ البرنامج الإذاعي بثّه للطلاب بعد ثمانية أيام من إغلاق المدارس. وحتى هذه اللحظة هناك ثلاث عشرة محطة إذاعية مجتمعية في جميع أنحاء البلاد تبث الدروس التعليمية.

لقد عايشنا أوقاتًا تغمرها الحماسة والشغف، وأمضى الكثيرون الجزء الأكبر من يومهم يستمعون إلى الدروس، ويدعون غيرهم للاستماع إليها، وكان الجمهور مستعدًا قبل ذلك لبدء بث البرنامج الإذاعي من خلال الإعلانات التي كانت تُبث في الإذاعة والصحف المحلية وعبر وسائل التواصل الاجتماعي. ويستمر كل درس لمدة خمس وأربعين دقيقة مع تخصيص خمس عشرة دقيقة للتفاعل مع الجمهور. وقد أدركنا في سياق البرنامج عدة أشياء منها الحاجة إلى توافر بيانات عن جمهور الراديو والمؤشرات الأخرى مثل إمكانية الوصول إلى أجهزة الراديو، ومدى وصول البث الإذاعي واستقباله، والعادات العائلية المتعلقة بحيازة أجهزة منزلية واستخدامها، ووصول الطلاب إلى هذه الأجهزة واستخدامها ووصول المعلمين إلى الأجهزة الإلكترونية.

ومن خلال خبراتنا في التعامل مع أزمتين صحيتين قاتلتين استلزمتا إغلاق المدارس، تكونت لدينا رؤى ثاقبة حول كيفية العمل في أوقات تفشّي الجوائح مستقبلاً؛ في مقدمة ذلك أن تشتمل المناهج الدراسية على أجزاء تتعلق بالصحة والحياة الصحية وأنماطها، وكذلك يمثل التدهور البيئي ظاهرة عالمية تستلزم زيادة وعي أطفال المدارس بالقضايا البيئية وأسباب الأمراض ومكافحتها. ومن الجوانب المهمة التي ينبغي مراعاتها تقديم التدريبات العملية حول استخدام الأقنعة، واستعمال سوائل تنظيف اليدين، والسلامة والأمن في المدرسة وما حولها، وداخل البيئة الاجتماعية والمنزلية.

فتحت لنا جائحة كورونا آفاقًا للابتكار، إذ بدأت برامج التعليم والتعلُّم على الإنترنت والبرامج الرقمية في الظهور بقيادة روّاد الأعمال المحليين. ومن المحتمل أن تتسارع وتيرة هذه البرامج مع زيادة الطلاب والمعلمين الذين أصبحوا على دراية باستخدامها.

إن مفهوم مواد التدريس والتعلُّم سيطاله التغيير، وستصبح الأجهزة الإلكترونية في المدارس من ضمن "الوضع الاعتيادي الجديد". وستؤول عملية التقييم المستمرة، التي تُعّد أحد الأوجه التي يعاني منها المعلمون المسؤولون عن التدريس لأعداد كبيرة من الطلاب، إلى التطوير بفضل تطبيق التكنولوجيا التي تتيح اختبار الواجبات المدرسية ووضع التقييمات بصورة أسرع.

سيكون إعداد المعلمين لتقديم الدروس عبر الإنترنت من ضمن "الوضع الاعتيادي الجديد" في هذه المؤسسات. وستستخدم التكنولوجيا في تحديد طريقة تدريب المُدرّبين وتعليم الطلاب في هذه المؤسسات، بما يُلبي احتياجات البنية الأساسية القائمة على استخدام التكنولوجيا والمعدات ودعم الموارد البشرية.

ينبغي توفير الموارد من أجل تقييم المستمعين، ذلك لأن احتياجات الأطفال والمعلمين في المناطق النائية والأطفال ذوي الإعاقة تمثِّل أولوية قصوى في خطط الطوارئ المستقبلية، إذ تميل طرق التعلم عن بُعد عبر الإنترنت إلى إفادة سكان المناطق الحضرية بفضل الوصول إلى الأجهزة وقوة إشارة الاستقبال، وبالتالي تتزايد حالات عدم المساواة. وبالمثل، يجب تطوير موارد للطلاب ضعاف السمع والبصر وتنظيم المزيد من التدريب للمعلمين على استخدام التكنولوجيا بالإضافة إلى تقديم دروس عبر الإنترنت.

إن وضع الخطط المستقبلية سيسهم في استكشاف طرق التدريس والتعلم الإلكتروني، وتوسيع نطاق البرامج الإذاعية، وتلبية احتياجات الأطفال ذوي الإعاقة، وتطوير الدروس للمعلمين، ووضع آليات فاعلة لإبداء التعقيبات والملاحظات إلى جانب الأدوات الخاصة بتقييم جمهور المستمعين.

****

نُبذة عن المؤلف: تشغل ستانيلا بيكلي منصب رئيس لجنة خدمات التدريس في سيراليون.

تكشُّف الفوائد في أوقات الطوارئ

بقلم: أولي بيكا هينونين

أستهل مقالتي بطرح تساؤل عن علاقة نظام التعليم بالإنفلونزا الفيروسية التي بدأ تفشّيها في مدينة ووهان الصينية! لقد كان من الصعب الإجابة على هذا السؤال قبل أربعة أشهر خلت، لكن الإجابة باتت واضحة اليوم ومفادها أن فيروس كورونا 2 المُسبّب لمتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (SARS-CoV-2) يشكّل تحدّيًا طبيًّا، ويأبى إلا الانتشار وإعمال معول الهدم في شتّى مناحي الحياة، بما في ذلك توقف المدارس وتعطل التعليم.

لقد حان الوقت لمزيدٍ من الاستقصاء المفضي إلى معرفة ما يمكننا تعلُّمه من هذه التجربة بعد أن اعتدنا على حالة الطوارئ. لقد شكلت جائحة فيروس كورونا دورة تعليمية مكثّفة لنا جميعًا، ممّا أجبرنا على اتخاذ الإجراءات؛ فالمرء منّا يتحمس لإيجاد الحلول الناجعة عندما تكون حياته على المحك.

من جهتها، سارعت فنلندا إلى إعادة تنظيم التدريس والواجبات المدرسية العملية وفق جدول زمني . كما تمكنّا، مقارنة ببقية الدول، من الحفاظ على استمرارية التعليم بقدر جيد إلى حد ما، على الرغم من تغيير طرق التدريس والتعلُّم.

تُسلّط ظروف الطوارئ الضوء على الافتراضات الأساسية التي غالبًا ما تكون مترسخة في العقل الباطن والتي تحكم أنشطتنا اليومية. كما أثبت النقاش العام الذي طرح مؤخرًا أننا ليست لدينا وجهة نظر مشتركة تجاه العديد من الأسئلة الأساسية، ما المهمة المنوطة بالمدارس؟ وماذا يشمل التعليم الإلزامي؟ ومن المسؤول عن رفاه الأطفال والشباب؟ وكيف يعمل نظام التعليم كمنظومة وكيف تُحدّد الأدوار في عملية صنع القرار؟

وأحد المبادئ التي تنطوي عليها إدارة الأمن الشامل يتمثّل في أن العمل يستند إلى نفس الصلاحيات والأدوار التي تكون في الأوضاع الاستثنائية والعادية. والسبب في ذلك بسيط، وهو أن أفضل من يتقن نماذج المعرفة والعمل هي الجهات التي تستخدمها يوميًا في ظل الظروف العادية.

ورغم ذلك، يجري تسليط الضوء على بعض الأمور في حالة الأزمة، ويحظى التواصل حينئذٍ بأهمية خاصة لا سيَّما في محيط الشخص مع المشرفين والأطراف المعنيَّة، إذ تعتمد إدارة حالات الطوارئ في شق كبير منها على التواصل.

لا بد من الإلمام بأدوارنا والمسؤوليات التي تقع على عاتقنا في إطار النظام ككل. والسؤال الآن، ما المسؤولية المنوطة بي وما المسؤوليات التي تقع على عاتق الأطراف الأخرى؟ يعتمد التقسيم الواضح للمسؤوليات على التفاعل المبني على الثقة التي اختبرت في الظروف العادية. إن الاستقلالية الكبيرة الممنوحة للمعلمين والمدارس ومقدّمي خدمات التعليم لا تعني أنهم مستقلّون تمامًا عن المستويات الأخرى من الجهات الفاعلة أو الجهات الفاعلة الأخرى، بل على النقيض من ذلك، لا بد لهم أن يرتبطوا بالشبكة الأكبر.

وإذا لم يكن الناس يعرفون بعضهم بعضًا في ظل الظروف العادية، فإن الضغط الذي تفرضه الأزمة ربما يُودي بالثقة غير الموجودة. إنّ تعزيز الثقة بين أولياء الأمور والمدرسة والعمل معًا من أجل مصلحة الطفل يُعدّ أمرًا مهمًا أيضًا في الظروف العادية. ونحن لم ندّخر جهدًا في الوصول إلى جميع التلاميذ أثناء ظروف الطوارئ، ومن المُفيد الآن أن نُكمل مسعانا في الوصول إلى أولياء أمور جميع التلاميذ في الظروف العادية. ونحن ندرك العلاقة بين اهتمام أولياء الأمور بحضور الطفل إلى المدرسة ونتائج تعلُّم الطفل، ولسنا بحاجة إلى أزمة جديدة لضمان التعاون بين المنازل والمدارس.

وعلى المدارس أن تغير نهجها من حل المشكلات الفردية إلى تعزيز مرونة وقدرة المجتمع المدرسي والمجتمع الذي يترعرع فيه الأطفال على التأقلم بهدف الحد من المخاوف. ويمكن تحقيق ذلك من خلال التفاعل البناءّ مع الأطراف العاملة في المدارس: كالإدارة، وخدمات الشباب، والأخصائيين الاجتماعيين والصحيُّين، وكذلك المؤسسات المعنية وأولياء الأمور. وهذا يعني تقاسم الصلاحيات والقيادة على نطاق أوسع على مستوى كافة الأطراف المعنية بهدف العمل معًا وتضافر الجهود المشتركة لتنشئة الطفل وتعليمه.

تشكّل العناية بالصحة المهنية للمعلمين وجميع موظفي المدرسة في هذا العمل أمرًا ضروريًا، ما يستلزم بالتالي تعزيز الدعم الجماعي المتبادل للمعلمين والقيادة التربوية في المدرسة والملاحظات الواردة من الزملاء في إطار الثقافة التشغيلية لمجتمع المدرسة. وكذلك ينبغي أن نسعى جاهدين لبناء مجتمعات تعليمية تقوم على تقاسم الكفاءات.

بقدر ما يبدو الوضع مدعاةً للرثاء، لكننا نحتاج إلى الاستعداد للحقيقة التي تُنبئ بأنه سيكون هناك أيضًا المزيد من الأزمات والظروف الطارئة في يوم من الأيام. فينبغي علينا حال الرخاء أن نستثمر جهودنا في ترتيب الأمور التي لن يكون لدينا وقت أو فرصة للتركيز عليها عند وقوع

الضراء. والأهم من ذلك هو التفاعل القوي بين الجهات الرئيسة الفاعلة في المجتمع الذي يترعرع فيه الطفل والسلطات المختلفة.

لم تقم أي أدلة حتى الآن على مدى تأثير مرحلة التعليم عن بُعد على نتائج التعلُّم للأطفال والشباب. ونحن بحاجة إلى ما هو أكثر من بيانات البحث والتقييم حول التأثيرات والدروس المستفادة من أزمة فيروس كورونا، فقد اتخذت العديد من جهات البحث بالفعل إجراءات لذلك، ويُخطط مركز تقييم التعليم الفنلندي أيضًا لمشروع يهدف إلى تقييم المساواة والإنصاف في التعليم لدعم اتخاذ القرار.

وقد حان الوقت لتقييم الاحتياجات وأوجه القصور ونقاط القوة في تنفيذ المحتوى والتنفيذ التربوي والفني للتدريس عن بُعد والتعليم الرقمي. والسؤال المطروح الآن، ما المطلوب؟ وما الذي يصلح وما الذي لا يصلح؟

يستلزم المنصب الإداري مسؤولية توقُّع الآفاق المستقبلية؛ فنحن نجهل مثلاً في بداية فصل الصيف حقيقة الوضع الذي سيكون في فصل الخريف. لذا، ينبغي أن نكون على أُهبة الاستعداد للمواقف المختلفة اعتمادًا على المطلوب لحماية الصحة. إن تعزيز المحافظة على النظافة والتباعد عن الآخرين وتقليل الاحتكاك ليست ظاهرة قصيرة وعابرة، ولكنها حالة دائمة. ولهذا كان الأسبوعين الأخيرين من فصل الربيع مهمين للغاية من جهة ممارسة هذه الأساليب العملية.

لقد فُرض علينا أن نتعلم كيف نتعايش في ظل الظروف الغامضة، وأن نعترف بافتقارنا للكفاءة وبجهلنا، وعلينا إيجاد حلول إبداعية واستخدام مهارات التفاعل والتعاون في الواقع الرقمي وإدارة الحياة اليومية في خِضمّ الإجراءات الروتينية المتغيرة، إذ تبدو هذه الأمور أساسية للكفاءة الشاملة في التعليم الأساسي. بعبارة أخرى، كنّا نتعلم وندرس المهارات الأساسية المطلوبة في الحياة. وفي الظروف الاستثنائية، صارت الأمور والقيم الأساسية واضحةً جلية.

*****

نُبذة عن المؤلف: يشغل أولي بيكا هينونين منصب المدير العام في الوكالة الوطنية الفنلندية للتعليم.

من رحم التعطُّل يولد الابتكار:

الوضع الاعتيادي الجديد في التعليم الابتدائي

بقلم: عاصف صالح

توقّفت مسيرة التعليم في بنغلادش في مجملها، ولم يكن هذا التوقف ناتجًا عن نقص الفاعلية- إذ بثت حكومة بنغلادش دروسًا للمرحلتين الابتدائية والثانوية على قناة تلفزيونية تّديرها الدولة وأنشأت بنغلاديش مركز اتصال وطني يتيح تواصل أكثر من 450.000 معلم مع طلابهم. ومثلت هذه المبادرات أهمية بالغة، إذ أسهمت لجنة النهوض بالريف في بنغلاديش وغيرها من المنظمات في وضع خطط الدروس والمحتوى، ووفّرت مدربين في مجال الموارد لتقديم الحصص الدراسية وتهيئة المعلمين.

وفي الوقت الذي أتاح فيه التعليم عبر التلفزيون والخط الساخن لبعض الطلاب إمكانية تحقيق قدرٍ من التعلُّم، فإن هذه المبادرات لم تفد الأطفال في المجتمعات منخفضة الدخل والمهمّشة من الفئات الأكثر تعرُّضًا لخطر التسرُّب من الدراسة، إذ لا يتاح إلا لنحو أقل من 57% من أسر الطلاب، التي تعيش في مناطق نشاط لجنة النهوض بالريف في بنغلاديش (الذين ينتمون عادةً إلى هذه المجتمعات)، إمكانية مشاهدة التلفزيون، وأقل من 40% منهم لديهم إمكانية الوصول إلى الإنترنت.

من الضروري إذن العمل على إيجاد حل مخصّص ومناسب يمكن للطلاب المقيمين في المجتمعات منخفضة الدخل والمهمشة استخدامه.

يتاح لخمسة وتسعين بالمائة من الأسر التي تعيش في مناطق نشاط لجنة النهوض بالريف إمكانية الوصول إلى هاتف محمول مميز (هاتف بسيط بشاشة عرض صغيرة). وفي الغالب يكون هذا الهاتف بحوزة الأب، وبالتالي ينبغي إقناع الآباء بالمكوث في المنزل وإتاحة استعمال هذا الهاتف لفترة محددة إذا أُخطروا بذلك مُسبقًا.

بدأت لجنة النهوض بالريف في بنغلاديش في تجربة نموذج المدرسة المنزلية في مارس 2020 باستخدام هذه المنصّة بعد إغلاق المدارس. وتُستخدم الهواتف المحمولة المميزة في التواصل بين المعلمين والطلاب، مع التركيز على التعلم الذاتي ، سواءً أكان فرديًا أم جماعيًا، من خلال مجموعات تعلُّم الأطفال التي أنشئت مع الأعضاء الذين يعيشون على مقربة من بعضهم بعضًا وبإشراف محدود من جانب المعلمين. فالفكرة بسيطة، إذ ينتقل التعلُّم إلى نموذج التعلُّم الذاتي في حالة عدم وجود حصص دراسية وذلك بدعم من مجموعات الأقران وأولياء أمورهم. ويقتصر دور المعلم على التوجيه والمتابعة عبر الهاتف وإجراء التقييم.

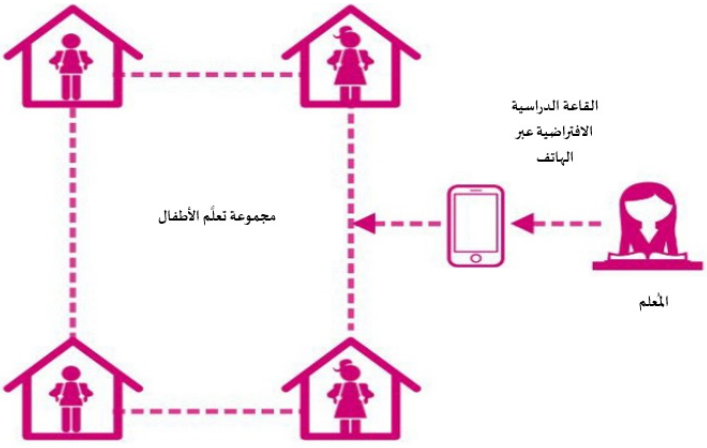

أجرينا تجربة على 50 مدرسة منزلية تابعة للجنة النهوض بالريف لطلاب الصف الخامس، وتخدم 25-20 طالبًا في كل مدرسة منها. يتصل المعلم في المدرسة المنزلية التابعة للجنة بمجموعة تعلُّم الأطفال التي تتكون من أربعة طلاب وأولياء أمورهم، من خلال إجراء مكالمة جماعية مرتين في الأسبوع. تستمر المكالمات لمدة 20-15 دقيقة ويجري خلالها تقييم أداء الطلاب.

وهذه الحصص الافتراضية التي تُجرى مرتين في الأسبوع يصل مداها حاليًا إلى أكثر من 180.000 طالبًا من 6890 مدرسة منزلية تابعة للجنة (اعتبارًا من 20 أغسطس 2020).

ثم جرى وضع منهج مناسب للتعليم المنزلي إلى جانب تدريب المعلمين على الواقع الافتراضي. وركّزت الأيام الثلاثة الأولى من الحصص الدراسية بصفة خاصة على الإرشاد النفسي والرفاه، بينما انصب تركيز اليومين الثالث والرابع على مراجعة دروس المناهج التي كانت تدرس قبل إغلاق المدارس على أن تستمر الدروس حسب مناهجهم بعد الأسبوع الأول. ويضم اليوم السادس من أيام الحصص الدراسية درسًا خاصًا بمواعيد مخصصة يقررها المعلم للطلاب من ذوي الإعاقات، لا سيّما من يعانون من ضعف السمع أو الطلاب الأقل تحصيلاً أو من فاتهم حضور الحصص الدراسية.

وفي ظل نجاح النموذج، فإننا بصدد تطويره لإنشاء نموذج تعليم ابتدائي مدمج حتى يلائم التعليم الوضع الاعتيادي الجديد.

إننا ننتقل من النهج الذي يّركز على المعلم تمامًا إلى النهج الذي يتحمل فيه الطلاب مسؤولية أكبر عن تعلُّمهم بدعمٍ من أُسرهم وأقرانهم والمجتمع، مع مراقبة نتائج التعلُّم باستخدام التكنولوجيا عن بُعد بدلاً من المراقبة العملية.

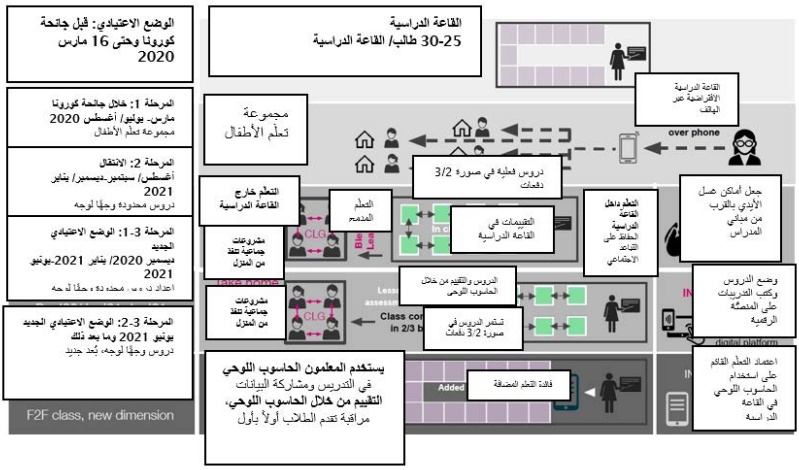

وتزامنًا مع انتقالنا إلى الوضع الاعتيادي الجديد، سنعمل على إدخال التكنولوجيا تدريجيًا وتدريب معلمينا وإجراء تغييرات في إعداد القاعات الدراسية الفعلية حتى نتمكن من التطبيق الناجع لهذا النهج في جميع أنحاء البلاد.

بعض الأفكار الرئيسة المستقاة حتى الآن من بنغلاديش

ثمّة نقاط ثلاثة أساسية نابعة من تجربتنا في بنغلاديش أودّ تسليط الضوء عليها فيما يلي:

- مثلت التجربة فرصة لإدخال التكنولوجيا في القاعات الدراسية وإدارة التعليم، بخطوات تدريجية، إذ لا يزال الطريق طويلاً نحو محو الأمية التكنولوجية والوصول إليها قبل الاستفادة منها في البيئات منخفضة الموارد.

- من المتوقع زيادة عدد المتسربين من المدارس في الدول منخفضة الدخل لأسباب اقتصادية بعد الجائحة، ولا بد من القدرة على التكيف والمرونة مع السيناريو المتغير في أي نموذج لتجاوز تلك العواقب.

- ستتاح إعادة البناء على نحوٍ أفضل من خلال الاستثمارات المتوازنة في القدرات ومحو الأمية التكنولوجية والبنية التحتية وتحسين أساليب التقييم وتحقيق المزيد من الاستقلالية في تعلُّم الطلاب.

لقد أرشدتنا خبرتنا الممتدة لأكثر من 45 عامًا في تقديم الخدمات التعليمية أن الأطفال هم سفراء أساسيون لأسرهم ومجتمعاتهم من خلال تشجيعهم على التعلُّم خارج القاعات الدراسية. لذلك، فإننا لا ننظر للأطفال على أنهم في حاجة ماسّة إلى الدعم فحسب، بل نعدُّهم أيضًا موارد قيّمة في التصدي للجائحة.

ولعلّ في جائحة كورونا التي تسببت في تعطُّل قطاع التعليم فرصة لإعادة التفكير في فعالية النظام التعليمي الحالي، ويمكننا جميعًا بث روح الابتكار من أجل تحويل هذا التعطُّل لفرصة تمكّننا من تحقيق المزيد من الاستقلالية والتعلُّم الذاتي وإجراء تقييم أفضل لنتائج التعلُّم والمزيد من تكافؤ الفرص في إدخال التكنولوجيا إلى القاعات الدراسية.

*****

نُبذة عن المؤلف: يشغل عاصف صالح منصب المدير التنفيذي في لجنة النهوض بالمناطق الريفية في بنغلاديش

ما بعد أزمة "كوفيد-19": إعادة تصوّر مستقبل التعليم النظامي

بقلم: سارة روتو وراجاراشي سينغ

يُشير الوضع الراهن إلى أن جائحة "كوفيد-19" سيكون لها آثار متجذرة ومتعددة على المجتمع البشري الحديث، إذ يُمثّل إغلاق المدارس في جميع أنحاء العالم أحد العواقب الجسيمة التي نتجت عن هذه الكارثة الصحية العامة. فقد شهدنا إغلاق المدارس في 194 دولة ، وأثّرت حالات الإغلاق هذه على 90% من الطلاب حول العالم. وبعد أن كانت المدارس منارات لنشر العلم، انزلق فجأة نحو أكثر من 1.57 مليار متعلّم في جميع أنحاء العالم إلى هوة من الظلام؛ ولعلّ هذا هو السبب في توق الكثيرين إلى "العودة إلى الوضع الاعتيادي". والسؤال المطروح الآن: كيف سيكون هذا "الوضع الاعتيادي" الجديد بالنسبة لطفل لا يمكنه قراءة نص من مستوى الصف الثاني على الرغم من أنه أمضى ثلاث سنوات في المدرسة؟

فكيف إذن يمكن استغلال هذه الأزمة لاستعادة حقّ هذا الطفل الذي حُرم من حقه في الحصول على تعليم جيد؟ على الرغم من الغموض الذي يكتنف الطريق إلى الحياة الاعتيادية وإعادة فتح المدارس إذ لا تزال العديد من الدول تناقش هذه القضية، سنأخذ ثلاثة دروس على محمل الجد ونحن نعيد تصوُّر مستقبل التعليم الذي يشمل الجميع في كينيا، من خلال ما يلي:

1) وضع منظومة للتعلُّم الرقمي تنمّي الإبداع والابتكار وتكافؤ الفرص.
2) بناء طاقم متحمّس من المدربين المعينين محليًا لتنشيط التعلم.
3) استعادة مركزية دور أولياء الأمور في توفير التعليم النظامي.

وفيما يلي بيان النقاط آنفة الذكر:

وضع منظومة للتعلم الرقمي

أجبرت سياسات التباعد الجسدي العديد من نُظُم التعليم على اعتماد منصَّات للتعليم عبر الإنترنت؛ فيما طبّقت نُظُم أخرى مثل كوريا الجنوبية بعض الخطوات لمواءمة واعتماد التدريس عبر الإنترنت وإدارة التعلُّم والتعليم. ولم يكن تحول كينيا إلى التعلُّم عن بُعد أقل تناسقًا، إذ اعتمدت كثيرًا على الوصول إلى البنية الأساسية الحالية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمقدرة المالية للأسر، ونتيجة لذلك "بات الوصول إلى مصادر التعلُّم مكفولاً للقادرين عليه، وبعيدًا عن متناول غير القادرين". وعلى الرغم من أن المدارس والأسر التي تمتلك إنترنت عالي السرعة قد سارعتا معًا إلى إنشاء نظام تعليمي عبر الإنترنت بقصد "التدارك السريع" لتلك المشكلة، ما زال بعض الآباء يكافحون لأجل "دعم" تعلُّم أطفالهم، في ظل حاجتهم إلى العمل من المنزل والتعامل مع وضع اقتصادي شديد الوطأة. وعادةً ما يكون العديد من الآباء غير مستعدين أو لا يستطيعون دعم احتياجات تعليم أطفالهم عن بُعد. بالإضافة إلى ذلك، ظهرت مشكلات في عرض النطاق الترددي بسبب الدخول غير المسبوق إلى مصادر المواقع التعليمية في آنٍ واحد. ورغم ما سبق، تلوح حاجة ماسّة لتعزيز التعلُّم المدمج حتى عقب انتهاء جائحة كورونا. ويعتمد وضع منظومة فعالة للتعلُّم المدمج أولاً على تحسين الوصول الرقمي. وفي المستقبل المُعاد تصوُّره، سيجري دعم ذلك من خلال توزيع الأجهزة الرقمية على جميع الطلاب بإشراف الحكومة، وتُدفع تكاليفها جزئيًا من قبل الحكومة والشعب والقطاع الخاص نظير خصمٍ من مقدمي الخدمة. ويؤمل أن يسهم هذا المستقبل في إشراك الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وتعزيز الأسر المحتاجة بشبكات أمان اجتماعي مناسبة كأولوية قصوى قبل تلبية احتياجات التعليم، إذ يجب أن يكشف المستقبل المعاد تصوّره عن جوانب الإنسانية إلى جانب الأمور المادّية.

وهناك مجال ثانٍ من الاهتمام يتمثّل في المحتوى الرقمي. يحظى معهد كينيا لتطوير المناهج الدراسية في كينيا بالصلاحيات الرسمية لتطوير المحتوى الرقمي للطلاب في جميع المستويات قبل الجامعية. ويجب أن يكون هذا المحتوى ذا تأثير كبير وملائم للأطفال ويجب ربطه بمراحل التعلُّم النمائي، وكذلك يجب أن يكون هذا المحتوى ذا جودة عالية وتفاعلي وجذاب للشباب الذي يتزايد إقباله على "التعليم الترفيهي". لذلك، ستكون هناك حاجة إلى عقد شراكات جديدة في المنظومة الرقمية إذا أردنا إنشاء محتوى لتلبية احتياجات الجمهور الانتقائي. وعلى الجهة المطوّرة للمناهج أن تحتفظ بالقيادة، مع استعدادها لاستدعاء مجموعة مهارات أكثر تنوعًا (صانعو المحتوى والمصممون ومطورو الألعاب والأطفال والمجتمعات المحلية) من أجل إنشاء محتوى تعليمي جذاب يناسب الطلاب؛ أي محتوى لا يشجع فقط على التفكير الناقد والتعلُّم الأساسي، ولكن يحث كذلك على الإبداع. وعلاوة على ذلك، فإن تطويع المحتوى ليتناسب مع البيئة سيؤدي أيضًا إلى تحسين مستوى مشاركة الأطفال، فعلى سبيل المثال، ربما يؤدي مجرد استخدام صوت الأطفال الكينيين في دبلجة قصة إلى زيادة قبول هذه القصة

لدى جميع الأطفال الآخرين، مع توفير معيار مرجعي أيضًا. ورغم ضرورة إنشاء جزء كبير من المحتوى من كينيا، فإن هناك أيضًا فرصة كبيرة للاستفادة من المحتوى المطوّر دوليًا من جميع أنحاء العالم.

وهذا المخزون من المواد التعليمية المتاحة مجانًا لجميع الأطفال في كينيا من شأنه سد الفجوة بين الأطفال الذين يحصلون على تعليم جيد ونظرائهم المحرومين منه. وفي الوقت الحالي، لا تقتصر هذه الفجوة على جودة البنية التحتية للتعليم والتدريس فقط، بل تؤثر أيضًا في الوصول إلى مواد التدريس والتعلُّم. ولنتخيل معًا ما يمكن للأطفال تحصيله إذا أتيح لهم الوصول المفتوح إلى قصص قبائل "الماساي" والمقاطع المرئية التي تعرض تجارب على متن محطة الفضاء الدولية والألعاب المستوحاة من السكان الأصليين من مناطق جغرافية أخرى في جنوب العالم. ويحدونا الأمل في أن يُحفّز هذا المخزون من مواد التعلُّم والتدريس الملائم للأطفال عملية التعلُّم من خلال أساليب الترفيه وإدراج التعلُّم القائم على الأنشطة.

تكمن الإشكالية الثالثة في إعادة تجهيز المعلمين من أجل تيسير أساليب التدريس القائمة على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وإدارة القاعات الدراسية التي تضم طيفًا متنوعًا من الطلاب، إذ إن تمكين المعلمين سيساعدهم في التواصل وبناء العلاقات وتيسير التعلم. فالبدائل الإلكترونية كثيرة جدًا، وإذا لم يُقدّم الدعم الكافي للمعلمين، وبصفة خاصة "المهاجرين الرقميين"، ربما تربكهم هذه البدائل. وفي المستقبل المُعاد تصوّره، سيعمل المعلم في بيئة اتخاذ قرارات غير مركزية وسيكون واثقًا من اتخاذ القرارات المجدية في بيئته المحلية بما يصبُّ في مصلحة الطلاب. وبدلاً من الشعور بالخوف أو العجز بسبب نظام التعلُّم الإلكتروني الذي يضم العديد من المنصَّات مثل الراديو وتلفزيون البث الفضائي والرسائل القصيرة وقنوات يوتيوب الآمنة والمراقبة ومجموعات تطبيق واتساب، عليهم أن يفهموا هذا النظام ويدركوه. فهذا المعلم سيدعم الحصص التفاعلية الآنية عبر الإنترنت أو دون الاتصال بالإنترنت، ويستخدم المحتوى المُسجَّل مُسبقًا وجلسات التدريس عبر الإنترنت القائمة على الممارسة. وقد اختار جيل الشباب هذه الوسائط وسيلة للتواصل والتفاعل، وبالتالي يجب تبنيها كأسلوب جديد للتعلُّم شبه النظامي بدلاً من محاربتها.

أمّا الإشكالية الرابعة فهي أنه بغض النظر عن منصَّة التعلُّم، سواء كانت رقمية أو وجهًا لوجه، فيجب وضع المبادئ الأساسية التي تسمح للأطفال بالتعلُّم الفعّال الذي يتسم بالكفاءة. لذا، يحتاج المعلمون إلى تبني التدريس والتعلُّم القائمَين على الأدلة. يبدأ أحد الأمثلة التي يستخدمها العديد من أعضاء شبكة (People's Action for Learning) بتقييم الأطفال أولاً للوقوف على مستوى كفاءتهم. وتُستخدم بيانات التقييم لتجميع الأطفال ذوي الكفاءات المتشابهة معًا حتى يتمكنوا من التعلُّم معًا. ويجري بعد ذلك إنشاء بيئة مركبة يمكنهم فيها التعلُّم من خلال طرق التدريس المناسبة لمستواهم. إن التعليم والتعلم القائمَين على الأدلة ليسا أكثر فاعلية من الأساليب التي تعتمد على المناهج الدراسية فحسب، بل إنهما أيضًا من النماذج التي يسهل تعامل الأطفال معها وتزيد فيها معدلات إتمام المنهج الدراسي.

هناك العديد من الاستراتيجيات المرتبطة بأنشطة التدريس والتعلُّم القائمة على الأدلة. أولاً: المعلمون بحاجة إلى تحديد أهداف واضحة للدرس لكل متعلّم، ويمكن أن يكون تجميع الطلاب حسب كفاءاتهم استراتيجية جيدة لإدارة القاعات الدراسية الكبيرة. يحتاج المرء أن يحدد بسرعة وسهولة ما يريد المعلّم أن يعرفه الطلاب وأن يكونوا قادرين على فعله في نهاية الدرس المحدد. ثانيًا: من الأفضل الاعتماد على استراتيجية "التعلم بالممارسة"، حيث يلاحظ الأطفال ويتعلمون من خلال تجربة الأنشطة التي يعرضها المعلمون أو تكرارها. ثالثًا: يُعدّ التشجيع على الاستفسار والجدل على قدرٍ كبير من الأهمية. يُلاحظ أن المعلمين يخصصون عادةً قدرًا كبيرًا من وقت التدريس لطرح الأسئلة ولكن القليل منهم يستخدم الأسئلة التي

تظهر خلال الدرس. رابعًا: يمكن تحقيق فائدة كبيرة من استخدام المخططات البيانية مثل الخرائط الذهنية ومخططات سير العمليات ومخططات "فين" في وضع التدريس الجديد عبر الإنترنت. تُستخدم المنهجية الرئيسة للتعليم والتعلّم التي يجري فيها جمع الأدلة السريعة لقياس ما يُجدي وما لا يُجدي، على نحو شائع في تدريس العلوم القائمة على الاكتشاف باستخدام العناصر المتاحة محليًا والألعاب التي يمارسها السكان الأصليون. وأخيرًا: تعتبر الأدلة مفيدة أيضًا في إنشاء مسارات للأطفال للتنقل والتعلُّم بالسرعة التي تناسبهم. كما أثبتت دروس وفرص العمل الجماعي أنها ناجعة أيضًا. ويستخدم بعض الأطفال الخطوات الموضحة هنا بالفعل، ويجب التوسع فيها لتشمل جميع الأطفال.

كل شخص يتولى تعليم فرد

أشارت ستيفانيا غيانيني في مقالتها لليونسكو إلى أنه "كلما طالت فترة الانقطاع عن المدرسة، ازدادت الخسائر التعليمية". وقد أدّى إغلاق المدارس إلى انقطاع الدعم الذي تقدمه المدارس في الحماية الاجتماعية والتغذية والصحة والرفاه للأطفال. وعلى الرغم من أن إعادة فتح المدارس تعتبر مسألة معقدة، فإنها على المدى القصير ستكون مدفوعة بمخاوف الصحة العامة. ويمكن للطلاب الصغار التواصل مع "المعلمين" محليًا نظرًا لتطبيق معايير التباعد الجسدي في الوقت الحالي. ويحتوي نموذج "***كل شخص يتولى تعليم فرد***" المقترح على متغيرين:

1) يتواصل المتعلمون المتقدمون مع الطلاب الأقل تقدمًا على مستوى الأسرة لإعطاء تعليمات التدريس والتعلُّم بانتظام. وغالبًا ما يظهر هذا في المجتمعات التي يساعد فيها الأشقّاء الكبار أشقائهم الصغار على التعلُّم.

2) ويتجلى ذلك أيضًا في ربط الطلاب بحشود الشباب الذين أتموا 12 عامًا على الأقل من التعليم.

ومن شأن هذا الترابط أن يساعد القادة الشباب المهتمين في مناصرة قضية التعلُّم القائم على الاكتشاف في جميع أنحاء كينيا بالنظر إلى معدلات البطالة المتزايدة. ويمكن توظيف هؤلاء الخرّيجين الجدد وتدريبهم ليكونوا بمثابة ميسّرين يربطون الطلاب بمجموعة متنوعة من مواد التدريس والتعلم المهيكلة وشبه المهيكلة المتاحة عن بُعد عبر الراديو والتلفزيون والمنصّة الكينية (Kenya Education Cloud). وستساعد هذه المجموعة الشبابية في إنشاء نظام تربوي يدعم الأطفال للوصول إلى المحتوى الاستكشافي. ويلزم تسجيل هؤلاء الشباب على سبيل المثال في الخدمات الاجتماعية لضمان حماية الأطفال.. كما يمكنهم تنشيط عملية التعلم بطرق لم يتصورها أحد من قبل.

وللتذكرة فإنه حتى قبل جائحة كورونا كان مشهد التعلم في العالم قاتمًا؛ إذ قدَّرت منظمة اليونسكو أن 670 مليون طفل في جميع أنحاء العالم لا يتمتعون بالحد الأدنى من الكفاءة في المهارات الأساسية. كما أظهرت دراسة استطلاعية أجرتها (Uwezo) في كينيا أن 30% في المتوسط فقط من تلاميذ الصف الثالث يمكنهم أداء أعمال الصف الثاني. وبالتالي، يمكن أن تتعمق أزمة التعلُّم هذه كثيرًا مع إغلاق المدارس بما يؤدي إلى حدوث خسائر تعليمية غير مسبوقة. إن استراتيجية "كل شخص يتولى تعليم فرد" تُعدّ بمثابة آلية لوقف نزيف الخسائر التعليمية مع تحسين إنتاجية الشباب ومهاراتهم، وتوسيع المشاركة الإنتاجية بطريقة تهدف إلى إيجاد حلول مجتمعية. كما أن تمكين خريجي الجامعات ليصيروا مصادر معلومات في

مجتمعاتهم المحلية من شأنه أيضًا تحسين ما يتعلمه الأطفال- إذ يقوم خريجو الموسيقى بتدريس الموسيقى والتصميم أو يتولى خريجو الهندسة المعمارية تدريس أساسيات التصميم بالإضافة إلى أساسيات القراءة والرياضيات

تعزيز مدارس الأحياء عبر المشاركة الجادة من المواطنين

يقول المثل الإفريقي "إن تعليم طفل واحد يستلزم تعاون قرية كاملة"، ويبدو أن المستقبل المنشود سيتطلب إحياء قيم العمل الجماعي والمسؤولية المجتمعية في رعاية الأطفال، مع التشديد على تلك القيم بقدر التشديد على الأنشطة الدراسية. وتؤكد الملاحظات المتناقلة أن نسبة كبيرة من الناس يتخوفون من ضعف تأثير المنزل والمجتمع على الطلاب، فلقد ورث التعليم الكيني مفهوم المدارس الداخلية عن حقبة الاستعمار، حيث يظل الأطفال بعيدون عن منازلهم لمدة تسعة أشهر كل عام، وللأسف يتزايد التباعد الاجتماعي للأطفال عن والدِيهم، وتستقل المدارس بصياغة شخصية الأطفال، في تخلٍّ من المجتمعات عن وظيفتها الأبوية لصالح تلك المدارس الداخلية وغيرها من الممارسات المماثلة، وتُدار تلك المدارس بسياسات مكنتها من أن تمثل ملاذات أكثر أمانًا للأطفال، وعندما تتعطل الدراسة، كما حدث بفعل جائحة كورونا، كانت تطفو على السطح مشكلات بين الآباء والأبناء تجعل من المنازل أماكن غير آمنة للأطفال، وصرنا نشهد تزايد حالات حمل المراهقات وتعاطي المخدرات أثناء وجود الأطفال في المنازل.
وعلى أولياء الأمور النهوض بمسؤوليتهم عن رعاية أطفالهم؛ فعلى الرغم من أهمية الدور المجتمعي الذي تنهض به المدارس، فلا ينبغي أن يكون دورها محوريًا مقارنة بدور الأسرة. ويتعين غرس مفهوم مدارس الأحياء، وهي مدارس تستقطب أطفال منطقة معينة على نحو يتيح لسكان تلك المنطقة المشاركة بدور كبير باعتبارهم معلمين وترسيخ أخلاقيات تنظم سلوكيات هذا المجتمع. وبفضل انتشار هذا النوع من المدارس، ستفقد المدارس الداخلية مركزيتها، وسيتقارب الأطفال وآبائهم، وسيؤدي كل طرف الدور المنوط به لضمان توسع الكفاءات واكتساب القيمة. وعلى الجهات التعليمية الرشيدة أن تستفيد من المعارف المجتمعية عبر زيادة صلاحيات أولياء الأمور والمواطنين.

وفي نهاية المطاف فإننا لا نعرف حتى هذه اللحظة متى ستفتح المدارس أبوابها من جديد في كينيا وكيف وبأي طريقة سيحدث ذلك. لكن جائحة كورونا أتاحت لنا فرصة لنعيد تصور نظام التعليم حتى يصير أكثر انفتاحًا ويراعي احتياجات الأطفال ويحظى بقبول أولياء أمور هؤلاء الأطفال القلقين، وكذلك أتاحت لنا تلك الفترة العصيبة فرصة لاكتساب القيم، وإنشاء وضع اعتيادي جديد يسع جميع الأطفال في رحلة تعليمية هادفة.

*****

نبذة عن المؤلفين: تتولى سارة روتو منصب الرئيس التنفيذي لشبكة بال (PAL Network). ويشغل راجارشي سينغ منصب مدير البرامج بالشبكة.

خاتمة
الآفاق المستقبلية في مسار التعليم؟

بقلم: جينيفر آدامز، وجوان مسياشين، ولوكا باري، ودومينيك ريجستر

ينتمي مؤلفو المقالات الواردة في هذا الكتاب إلى جهات مختلفة في شتّى أنحاء العالم: فهم يمثلون وكالات الأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية دولية ووطنية ووزارات التعليم والجامعات، وقد ناقشوا في مقالاتهم مقدار تعطُّل التعليم في دولهم أو على مستوى مناطق أكبر، وطرحوا أفكارًا جديدة جذرية عن مدى حاجة التعليم إلى التغيير. وتتناول الكثير من هذه المقالات بصورة مباشرة أو غير مباشرة مناقشة ما وصفه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش بقوله: "إننا في منعطف حاسم الأهمية بالنسبة لأطفال العالم وشبابه، .... ولقد سنحت لنا الآن فرصةٌ لا تتاح للأجيال إلا فيما ندر لبلورة تصوّر جديد عن التعليم".

وثمّة خيط ناظم يربط بين العديد من هذه المقالات، ألا وهو التطرق لفكرة "إعادة تصوّر" التعليم، على الرغم من اختلاف البُلدان التي يكتب منها هؤلاء المؤلفون أو السياقات التي يتناولونها، ومن ثمَّ فقد طرحوا أفكارًا عن تجارب تعليمية مُعاشة أكثر إيجابية وشمولية

وتعاطفًا وأكثر ارتباطًا بجموع الشباب، والتغيرات التي طرأت على هذه التجارب في الماضي والحاضر. وتندرج هذه الأفكار غالبًا في إطار أهمية التعلُّم الاجتماعي والوجداني أو اكتساب المهارات الحياتية، رغم عدم النص دومًا على تلك الأفكار صراحةً في ثنايا مقالات الكتاب.

إن المهارات الاجتماعية والوجدانية هي بالأساس قدرات بشرية يمكن للمرء تعلُّمها لتمكنه من التحكم في مشاعره والتعاون مع الآخرين وحل المشكلات وتحقيق الأهداف الفردية والجماعية. ولا بدّ للجميع، كبارًا وصغارًا، من اكتساب هذه المهارات بهدف إحراز النجاح وتحقيق الرفاه لأجل مستقبل أفضل لمجتمعاتنا واقتصاداتنا. وتلك المهارات والكفاءات والسلوكيات المتضمنة في برامج وممارسات التعلُّم الاجتماعي والوجداني تساعد الشباب في طرح حلول كثيرة لشتّى التحديات الكبرى التي واجهت المجتمعات والاقتصادات المختلفة على مستوى العالم قبل تفشي هذه الجائحة.

والوقت الراهن هو خير دليل على تعاظم أهمية هذه المهارات وثبوت جدواها.

فليست المهارات والكفاءات والسلوكيات المتنوعة – كالوعي والتعاطف والإدارة الذاتية والتسامح والوعي الاجتماعي والصراحة والإبداع واتخاذ القرارات المسؤولة، مجرد مكمِّلات للعملية التعليمية، بل إنها تأتي في صميمها.

وقد أكّدت منظمات عدّة من مختلف أنحاء العالم على أهمية تلك المهارات في التصدي للكثير من التحديات المختلفة التي تواجهها المجتمعات والحكومات والنُّظم، ومن ذلك إعداد القوى العاملة المستقبلية لأداء الوظائف والمهام التي لن تجري ميكنتها، ومعالجة الأمراض النفسية التي تصيب أعدادًا كبيرة من الشباب حول العالم، وبناء مجتمعات أكثر تسامحًا وتعاطفًا، ومساعدة الشباب في تعزيز شعورهم بالهوية ودعمهم في أن يجدوا لأنفسهم موطأ قدم في هذا العالم المشوب بالتقلبات والتغييرات المستمرة، وتحسين نتائج التعليم لجميع الطلاب وبخاصةً أبناء الطبقات الفقيرة. وفي عام 2013، قال باراك أوباما إن أمريكا تعاني من غياب التعاطف بين مواطنيها أكثر من معاناتها من نقص الاحتياطي الفيدرالي للدولة، ورأى في غياب هذا التعاطف سببًا رئيسيًا وراء تزايد عمليات إطلاق النار الجماعية في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة. والجدير بالذكر أن غياب التعاطف ما زال قائمًا، والتصدي لهذه المشكلة في الوقت الراهن لهو أهم من أي وقت مضى.

كما كشفت الأدلّة فوائد جمّة وممتدة لتضمين فرص التعلُّم الاجتماعي والوجداني في المساقات التعليمية النظامية منها وغير النظامية، لما لها من إسهام في بناء مدارس ومجتمعات وأماكن عمل أكثر شمولاً واحتواءً ونشاطًا وإنتاجيةً، وللحاجة الماسّة إليها في طرح حلول مبتكرة تتطلب تضافر الجهود بين مختلف القطاعات والحكومات والثقافات. ورغم وضوح هذه الدلائل وثبوت جدواها، تتباطأ النُّظم التعليمية عن وضعها موضع التطبيق.

ولو توافرت لجميع شعوب العالم مهارات مثل فهم الذات والمعرفة والكفاءة والتواصل، سيتحول عالمنا إلى مكانٍ أفضل ينعم الجميع في رحابه. ففي الماضي كانت هذه الأنواع من المهارات كثيرًا ما توصف بأنها مهارات "ناعمة" في إطلاق لا يخلو من تحقير ضمني لها، مع مقارنتها سلبًا بأهمية المهارات "الحيوية" كالقراءة والكتابة أو الحساب. ولعل وصفنا لها بالمهارات "الأساسية" يُعدّ أكثر دقةً، فهي التي تحدد سماتنا وهويتنا البشرية، ولا غنى عنها لأداء أنواع المهام التي لا يمكن أن نكلها إلى الخوارزميات أو إلى الذكاء الاصطناعي. وهذه المهارات تعضّد بدورها الأفكار الأساسية حول مفاهيم الرفاه والهوية في جميع أنحاء العالم. وكذلك قامت أدلّة كثيرة على مدى التأثير الهائل لمهارات التعلُّم الاجتماعي والوجداني في بيان أوجه التفاوت في نتائج التعلُّم (فقد بيّنت على سبيل المثال أسباب ضعف التحصيل الدراسي

عند الأطفال الذين نشأوا في مختلف البيئات الفقيرة). وتلك مهارات لا غنى عنها في بلوغ أهداف التنمية المستدامة، وهي مطروقة في العديد من الأفكار المطروحة لتحسين التعليم بغية الخروج من عنق الأزمة الراهنة.

وإذا أردنا إحداث تحول حقيقي وتغيير جذري، فلا بد من تجاوز العقبات الكبرى التي تحول دون ذلك من الهياكل النمطية القائمة، والإفراط في تسييس سياسة التعليم، والإجراءات الروتينية المعيقة، والعقليات القائمة على السيطرة والتحكُّم، ومعايير النجاح ضيقة الأفق. وعلينا أن ندرك حقيقة أن شباب هذا العصر لا يصبرون على أي نظام تعلُّم لا يراعي عقلياتهم ولا يُلبي احتياجاتهم، ما قد ينجم عنه احتمالية زوال سيناريو التعليم بوضعه المعهود حاليًا. وعلينا نحن القادة والباحثين والمعلمين وصانعي السياسات أن نتحلى بالشجاعة حتى نبادر إلى تحقيق ما ننشده، فلا يقتصر دورنا على التخلص من الجوانب التعليمية التي لا تفيدنا، بل علينا أولاً إعادة تصوّر نظام تعلُّم جديد ثم إعادة تشكيله. وكما أشار الراحل السير كين روبنسون بأنه "نظرًا للتحديات التي تعترض سبيلنا، فإن التعليم ليس بحاجة إلى الإصلاح، بل بحاجة إلى التغيير. وحل هذه المعضلة لا يكمن في توحيد معايير التعليم، بل في تخصيصه ليتناسب مع شخصية كل طالب وطالبة، وفي اكتشاف المواهب الفردية لكل متعلم، ووضع الطلاب في بيئات ترغبهم في التعلُّم وتتيح لهم استكشاف شغفهم الحقيقي ".

أختتم مقالتي بجملة سطرها الروائي الفرنسي غوستاف إيمارد من القرن التاسع عشر وهي أن "هناك ما هو أقوى من طعنة الحراب، وهي الفكرة التي حان وقتها وآن أوانها". وعبر الإبحار في ثنايا هذه المقالات، والنظر في تنوع مشارب المؤلفين، والتأمل في العديد من جلسات المؤتمرات التي انتهت بإصدار هذا الكتاب، يتضح جليًا أن فكرة التعلُّم الاجتماعي والوجداني هي الفكرة التي حان وقتها وآن أوان العمل بها.

نبذة عن المؤلفين: جينيفر آدامز هي المؤسسة والرئيسة التنفيذية لمؤسسة Educating Leaders، وجوان مسياشين هي الرئيسة التنفيذية والمؤسسة لشركة The Learner First، ولوكا باري هو الرئيس التنفيذي ومؤسس منظمة The Learning Future، ودومينيك ريجستر هو مدير البرامج في مؤسسة سالزبورغ جلوبال سيمنار. وجميعهم أعضاء باللجنة التنفيذية في تحالف كارانجا: التحالف العالمي للتعليم الاجتماعي والوجداني ومهارات الحياة.

خاتمة

إعادة تصوّر التعليم والدور الجديد المنوط بقادة المدارس

بقلم: أسماء الفضالة

أحدثت جائحة كورونا الراهنة هزّة دولية طالت جميع الاقتصادات الكبيرة والصغيرة في شتّى ربوع العالم. وإلى جانب اضطراب الاقتصاد، تعطلت فجأة أعمال الشركات التجارية والفعاليات اليومية وقطاع التعليم متمثلاً في المدارس والجامعات، وذلك على إثر قرارات الإغلاق التي فرضتها دول العالم في شهري مارس وأبريل من العام الماضي. فما كان من القائمين على المدارس والنُّظم التعليمية إلا أن ابتكروا سُبُلاً مختلفة لضمان استمرارية تعلُّم الأطفال بعد إغلاق الصفوف الدراسية الفعلية. ويعاني العالم في الوقت الحالي من إشكالية تطوير أنظمة تستطيع الصمود أمام مثل هذه التحديات بمرونة عالية، فيما تقع على عاتق القيادة المدرسية مسؤولية كبيرة في إعادة تعريف النظام التعليمي على نحو يلائم الاحتياجات الحالية والمستقبلية للأطفال. وستقتصر هذه المقالة على تناول الأنظمة المدرسية والقيادة المدرسية التي يمكن أن تصمد في وجه الأحداث التي تفضي إلى هذه الحالة من الإرباك وعدم اليقين.

خلال شهري أبريل ويونيو من عام 2020، عقد مؤتمر "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" جزأين من فعاليات مؤتمر "تعطُّل التعليم، وإعادة تصوّره"، ووجهت الدعوة إلى المختصين والباحثين وصانعي السياسات من جميع أنحاء العالم لطرح آرائهم والتدارس بشأن تأثير جائحة كورونا على النُّظُم التعليمية. وقد جمعنا ما تمخض عنه هذين الجزأين والتجارب الشائقة التي طرحها المشاركون، بين دفتّي هذا الكتاب الإلكتروني الخاص بعنوان "تعطّل التعليم، وإعادة تصوّره: آراء ومشاركات روّاد التعليم إبّان جائحة "كوفيد-19" وما بعدها"، والذي نختتمه بهذه المقالة التي بين أيديكم.

ذكرت منظمة اليونسكو أن هناك أكثر من 1.5 مليار طالب طالهم الضرر من تلك الجائحة العالمية بعد إغلاق المدارس إلى أجل غير مسمى اعتبارًا من أبريل 2020. وخصصت الحكومات الجزء الأكبر من مواردها لقطاع الصحة بغية مواجهة الجائحة، لكنّ قطاع التعليم لم ينل إلا نذرًا يسيرًا من هذه الموارد، ما حدا بالقائمين على قطاع التعليم أن يفكروا بجدية أكبر للتغلب على مثل هذه الكوارث المستقبلية (سيمبسون، 2020).

وبناءً على ما ذلك، تعرض قطاع التعليم لخسائر لا يمكن تعويضها، حتى في أكثر الدول المتقدمة اقتصاديًا. فقد تكبدت الولايات المتحدة بسبب إغلاق المدارس لمدة أربعة أشهر أثناء جائحة كورونا فيما يخص تعلُّم الطلاب من رياض الأطفال حتى الصف الثاني عشر خسائر قاربت في المتوسط 33,464 دولارًا أمريكيًا من الأرباح المستقبلية لكل طالب، وهذا له أثر فادح على الاقتصاد الإجمالي يُقدر بما يزيد عن 2.5 تريليون دولار أمريكي (سيمبسون، 2020).

كذلك شكّل إغلاق المدارس تحديات للقيادة المدرسية، على حد تعبير آلان ووكر في مقالته الذي أشار فيها إلى أن هذه الأزمة قد نشأت عنها ظروف أدت إلى فهم مغلوط وخالفت أعرافًا مقررة في القيادة، حتى تلك التي نشأت خلال فترات التعطل التي أصابت العملية التعليمية في السابق. ولم يمتلك القادة سوى القليل من الأدلّة التي توجه جهودهم، فضلاً عن طرح القليل من الحلول التي تتواءم مع تلك الظروف المتغيرة بصفة يومية. وأصدرت منظمة اليونسكو تقريرًا يحذر الدول النامية من أن أضرار إطالة أمد إغلاق المدارس قد تفوق المنافع المتوخى كسبها، ومن المحتمل أن يتجاوز الأمر الأضرار الاقتصادية ليصل إلى الإضرار بالحماية الاجتماعية وسلامة الأطفال (كيربي، 2020).

لقد أفضت هذه الجائحة إلى ظهور ابتكارات مختلفة وتطبيق تصاميم لم يسبق تنفيذها في قطاع التعليم؛ ومن تلك الابتكارات: التعلُّم الرقمي، والاعتماد على التكنولوجيا في التواصل مع الأطراف المعنية، وتقديم الإرشاد والدعم النفسي للأطراف المتضررة. وفي ظل شدة تفشي الجائحة في معظم أنحاء العالم، تغيرت طرق التدريس وكيفية تعليم الطلاب في جميع

أنحاء العالم. وقد أدّى الانتشار السريع للفيروس في أوروبا وآسيا والولايات المتحدة والشرق الأوسط إلى اتخاذ إجراءات حاسمة للتخفيف من آثاره في القطاعات المركزية مثل التعليم، فاعتمدت المدارس على التعلُّم عبر الإنترنت باستخدام مختلف المنصّات لنقل المعلومات إلى الطلاب الذين يتعلمون من المنزل. وبفضل توافر تقنية الجيل الخامس في دول مثل الولايات المتحدة واليابان والصين، استطاع الطلاب في هذه الدول تلقي معلومات آنية من المعلمين. واضطر الطلاب إلى التوسع في دراسة المهارات الرقمية لأنها صارت ضرورية أثناء الجائحة. وأسهمت معظم شركات التكنولوجيا في جهود هذا التحول بتوفير الاتصال الشبكي وطرح الأجهزة الرقمية مثل أجهزة الحاسوب والأجهزة اللوحية ليستخدمها المعلمون والطلاب (تام والأزعر، 2020).

ويُعدّ التباعد الاجتماعي من أهم البروتوكولات والتدابير الإرشادية التي يتعين على المدارس الالتزام بها إذا ما قررت إعادة الأطفال إلى المدارس. ولا بد من بيان أنه يتوقع أن تتغير تصاميم ونماذج الصفوف الدراسية تغيرًا دائمًا. وصارت هناك دول كثيرة في ربوع العالم تستخدم التكنولوجيا في التعليم، منها على سبيل المثال المملكة المغربية. وذكر محمد الإدريسي، المؤسس والرئيس التنفيذي لمنظمة "علِّم لأجل المغرب"، في مقالته أن منظمته أطلقت نظامًا للتواصل المباشر مع الأطراف المعنية من أولياء الأمور والمعلمين والقيادات المدرسية، وأتاح هذا النظام لمديري المدارس التواصل الفعال وإرسال المحتوى التعليمي عبر تطبيق واتساب والرسائل الصوتية والرسائل النصية القصيرة. وأثبت التواصل الفوري نجاعته في تحقيق الرفاه للطلاب ومنح مديري المدارس الفرصة للتخطيط الاستراتيجي. وذكرت ديبورا كيماثي، المديرة التنفيذية لمؤسسة ديجنيتاس، في مقالتها أنه يتعين على القيادات التعليمية في كينيا وغيرها من الدول النامية أن تحقق التوازن بين الطلاب الأوفر حظًا الذين استطاعوا تحمل تكاليف التعلُّم عبر الإنترنت وأبناء المجتمعات المهمشة الذين عجزوا عن الحصول على أي نوع من أنواع التعليم طيلة مدة الجائحة. ويواجه قادة المدارس تحديًا صعبًا نظرًا لهشاشة الأنظمة التي انهار أكثرها مع تفشي هذه الجائحة.

وبالنظر إلى قدرة العنصر البشري على التأقلم والتكيّف في مقابل ضعف النُّظم المدرسية، فقد اضطر القادة إلى إجراء تطويرات وابتكارات جديدة لزيادة مرونة القطاع وقابليته للتكيُّف والتأقلم.

لقد طال العالم معوّل الهدم في أعقاب جائحة كورونا، بعد أن ناءت معظم الأنظمة بالأعباء والعجز عن إعادة تشكيل البقية الباقية منها بما يُلبي الاحتياجات القائمة. وأعلن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أن هذه الجائحة تسببت في أحد أكبر الاضطرابات التي أصابت التعليم على مر التاريخ، وأكثر المتضررين من هذه الأزمة هم الفقراء وسكان المناطق المهمشة وذوي الإعاقات، وكذلك عانى اللاجئون والأطفال طالبي اللجوء من هذا التغيير المدمر. وبالإضافة إلى هذه الجوائح المتفشية، يمر العالم بأزمة متداخلة وأزمة مناخية وأزمة سجلت مؤخرًا. كما تسببت جائحة كورونا في تفاقم أزمة الصحة النفسية على مستوى جميع القطاعات (سيمبسون، 2020). ويرى الأمين العام للأمم المتحدة أنه لا بُدّ من إعادة تصور التعليم بعد أن أتيحت الفرصة لإضفاء صبغة مستقبلية على التعليم. وعلى قادة المدارس تطوير هيكل يهيئ الأفراد لمواجهة التحديات المختلفة، بما في ذلك الأزمات المتداخلة (جرينهالغ وآخرون، 2020). ويجب أن تتسق المناهج الدراسية مع تلبية الاحتياجات التي تنشأ في الاقتصادات المستدامة لأن هذا هو ما يمثل المستقبل. وقد أتيحت لقادة المدارس أثناء التصدي العاجل لأزمة جائحة كورونا، فرصة سانحة للنظر في مستقبل النظام التعليمي والتأمل في تلك الفرصة التي أتاحها القرن الحادي والعشرين رغم أنها لا تتأتى للأجيال إلا فيما ندر. (أونيما وآخرون، 2020).

إنّ قادة التعليم يحتاجون حاليًا وأكثر من أي وقت مضى إلى التكيف مع التحولات السريعة التي تطرأ على نُظُمنا ومدارسنا، فثَّمة إجماع عام في الوقت الحالي، لا سيِّما عقب جائحة كورونا، على ما ستبدو عليه صورة التعلُّم في القرن الحادي والعشرين، ولكن يتعين علينا أيضًا تطبيق ذات المعايير على المعلمين وقادة المدارس. وإذا كان التعلُّم في القرن الحادي والعشرين يجسد نهجًا تعليميًا يجمع بين المهارات الدراسية والكفاءات السلوكية كالتعاون وحل المشكلات والإبداع والتعلُّم مدى الحياة، فإن هذا سيكفل للطلاب البقاء والتفوق في هذا العالم المضطرب، وكذلك ينبغي أن تتوافر هذه المهارات والكفاءات لدى المعلمين ومديري المدارس حتى يتسنى لهم دعم هذا التعلُّم وإحداث أثرٍ فيه. وعلينا أن نغير من النُهج المتبعة في تطوير المهارات القيادية المدرسية التي تعطي الأولوية لذات المهارات والكفاءات المتقادمة، وهذا سيتطلب وصولاً موسعًا إلى برامج تطوير المهارات القيادية التي تسترشد بنماذج التعلُّم للقرن الحادي والعشرين وتستقي من المعارف والأبحاث المعاصرة الصورة المطلوبة لتصميم نماذج تعلُّم القيادة الجاهزة للمستقبل. وفي السياق ذاته، تطرق بيدوريا سن وآزاد أومن في مقالتهما إلى أن محتوى برامج التطوير هذه لا بد أن يكون وثيق الصلة باحتياجات قادة المدارس مع إرشادهم إلى مسارات جديدة عند الحاجة. وخلال المراحل الأولية من إجراءات الإغلاق التي صاحبت جائحة كورونا، كشف استطلاع الآراء الذي أجرته مؤسسة جلوبال سكول ليدرز أن قادة المدارس يدركون مدى الحاجة إلى التفاعل مع الطلاب، لكنهم لم يكونوا يعرفون كيفية فعل ذلك. ومن ثمَّ يحتاج قادة المدارس إلى دعمهم بإنشاء مسار لهم للانتقال من تحقيق الراحة النفسية والرفاه للطلاب أولاً ثمّ الشروع في تعليمهم.

إن جائحة كورونا قد أثبتت أن جميع النُّظُم ليست بالتقدمية المرجوة؛ فبعضها يتسم بالجمود الذي تسبب لها في أضرار بالغة إبّان الأزمة، والتعليم يندرج ضمن هذه الفئة الأخيرة. إن المأمول من التعليم بعد جائحة كورونا أن يلبي احتياجات ومتطلبات القرن الحادي والعشرين كما ذكرت جوليا كيربي في طيات مقالتها في الجزء الثاني من هذا الكتاب. ولم تواجه الدول التي كانت تفكر على نحو تقدمي صعوبة في التكيف مع أجواء الفيروس التي أثّرت على الطريقة المعتادة للدراسة، ففي سيراليون، على سبيل المثال، وبمساعدة منظمة اليونيسف أنشأت الدولة محطة إذاعية تعليمية أثناء تفشي فيروس إيبولا وخصصتها لبث المحتوى التعليمي وتيسير التعلُّم (تام والأزعر، 2020)، وبعد تفشّي جائحة كورونا في البلاد، كان من السهل على قطاع التعليم التكيّف مع الدروس الإذاعية دون مساس بمسار العام الدراسي. لذلك، يتعين على الأطراف المعنية في قطاع التعليم إعادة النظر في بعض التغييرات التي تبين أنها نقاط ضعف إبّان هذه الجائحة والعمل على إنشاء نظام أكثر مرونة وقدرة على التأقلم مع المتغيرات. فحتى ولو مرّت هذه الأزمة، لن يتخلص المعلمون والطلاب من المواد والأدوات التعليمية الجديدة القائمة على استخدام التكنولوجيا.

وممّا يظهر جليّا أن الأجهزة الإلكترونية ستظل لصيقة بالثقافة التعليمية بعد جائحة كورونا. وقد تأخرت المدارس في الاعتماد على مثل هذه الأجهزة على الرغم من تعاظم تطبيقات التكنولوجيا في القرن الحادي والعشرين. وقد أسفرت خطط الطوارئ المستقبلية عن تحديد بعض الفئات الطلابية الأكثر ضعفًا، كالطلاب ذوي الإعاقات وسكان المناطق منخفضة الدخل مثل اللاجئين وطالبي اللجوء. وقد تضرر بعض الطلاب المعاقين من هذا التغير المفاجئ في الأوضاع الدراسية بسبب عجزهم عن رؤية أو سماع ما يشرحه المعلم عبر المنصّة الإلكترونية. وتجدر الإشارة إلى أن جائحة كورونا قد جعلت التكنولوجيا في متناول الطلاب وزادت من اهتمامهم، علاوةً على تحفيز الابتكارات الموجهة نحو صالح نظام التعليم. وفي إطار مواظبة الطلاب على الاستقصاء والاستكشاف، سيكون بمقدورهم الابتكار والعمل على حل بعض إشكاليات القرن الحادي والعشرين حاضرًا ومستقبلاً. ولقد بات التعليم مهيئًا لإعادة بلورته

وتصميمه بغية التغلب على تحديات القرن الحادي والعشرين. أمّا قادة المدارس ومديروها فقد ألجأتهم أزمة كورونا بصورة غير مباشرة إلى تغيير طرائقهم في تقديم التدريس والتعلُّم وجعله أكثر جدوى للاقتصاد الحالي.

ويتفق جميع المؤلفين في هذا الكتاب على نوع التغييرات المطلوبة، ونوع المدارس الرائدة المنشودة، غير أننا نحتاج إلى التركيز على "كيفية" إعادة البناء على نحو أفضل. وأود أن أختم حديثي ببعض المقترحات التي تجيب عن مسألة كيفية إحداث التحول وتنفيذ تغيير منهجي لإعادة تصوّر التعليم إبّان جائحة كورونا وبعدها، وفيما يلي بيان هذه المقترحات:

1. يتطلب عالمنا اليوم من جميع الأفراد أن يتحلوا بالسمات الإنسانية العميقة مثل الإبداع والتعاطف. وعلى الرغم من تعطيل الجائحة للنظام التعليمي، فإنها أتاحت لنا فرصة عظيمة لإعادة تصوّر النظام التعليمي أو تجديده برمّته.

2. على القائمين على النظام التعليمي أن يتجهوا صوب تعزيز التكافؤ والمشاركة في الابتكار بين المعلمين والطلاب، وسيفضي ذلك إلى بناء بيئة تعليمية مشجعة ترتقي بالطلاب من جميع الجوانب. وهذا يتطلب زيادة استقلالية المدارس والمعلمين وتقليل التكليفات المركزية.

3. أفضت جائحة كورونا إلى توسيع هوّة الفوارق الاجتماعية، لا سيما في التعليم عن بُعد. وكشفت الجائحة عن فرصة مواتية لإعادة صياغة السياسات العامة دونما تمييز. ونحن بحاجة الآن وأكثر من أي وقت مضى إلى رأب الصدع الناجم عن انعدام التكافؤ في نُظُم التعلُّم على مستوى العالم.

4. قد تتضمن إعادة تصور النظام المدرسي إلغاء الامتحانات لمدة عام، وتدريب المعلمين على تدريس التعلُّم الاجتماعي والوجداني حتى يتمكنوا من معالجة آثار الصدمات بين صفوف الطلاب، وإعادة تنظيم التقيم المدرسي بهدف إعداد أبنائنا للمستقبل المرتقب.

أختتم مقالتي بالتأكيد على أن عالمنا يمرّ بمفترق طرق إما أن يؤول إلى توقف تام أو إلى تجديد عظيم؛ ولقد كان قطاع التعليم أكثر القطاعات التي تضررت بفعل الجائحة، ولا بدّ من وضع التعليم ضمن أولوياتنا إبّان الأشهر والسنوات المقبلة، وألا نتركه عرضة للضياع بين تخفيضات الميزانية وتراجع الدعم المالي. وفي الغالب الأعم يكون التعليم أول الخدمات تعطُّلاً وآخرها استئنافًا للعمل في أوقات الأزمات. وليس لدى قادة المدارس ومديريها إجابات أو مسارات واضحة قد تساعدهم في مواجهة المصاعب المستمرة الناجمة عن جائحة كورونا ، إلا أنه لا غنى عن دورهم المهم في بقاء النظام التعليمي واستمراره إبّان الجائحة وبعدها.

*****

نبذة عن المؤلفة: تشغل الدكتورة أسماء الفضالة منصب مدير إدارة البحوث وتطوير المحتوى في مؤتمر القمة العالمي للابتكار في التعليم "وايز"

هذا الكتاب صادر عن مؤتمر "وايز" بالتعاون مع مؤسسة "سالزبورغ جلوبال سيمنار" و"دبلوماتيك كوريير".